أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الثاني

دار القلم العربي

السيرة النبوية

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

عنوان الدار

سُورِيَة ـ حَلَبْ ـ خَلفَ الفُنْدُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشَعْرَاوِيْ

هاتف ٢١٣١٢٩ ص.ب ٧٨ فاكس ٠٢١،٢١٢٣٦١

فهرست

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بني سليم

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وعلى الصلاة ابن أم مكتوم ، بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على أن قضاء الأعمى غير صحيح . وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ﷺ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام ﷺ ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ، ولم يلق حرباً وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها ﷺ وانحدر بها الى المدينة ، وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير ، وكانت مدة غيبته خمس عشر ليلة .

غزوة بني قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم : أشهر قوم من اليهود ، كانت منازلهم بطحان مما يلي العالية وكانوا أشجع اليهود ، وكانوا صاغة ، وكانوا حلفاء عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ، وعبد الله بن أبي سلول ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أي لأنه ﷺ كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوّه ، وقيل على أن يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوّه ، فهم أوّل من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله ﷺ ، وسبب غدرهم ونقضهم العهد أن امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الأنصار الساكنين بالبدر ، وقدمت بجلب لها وهو ما يجلب ليباع من إبل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يرادونها عن كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر . فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة . فبلغ الخبر النبي ﷺ فقال : ما على هذا أقررناهم ، فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال : أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار . وتشبث به عبيد الله بن أبي ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ الى قوله : ﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾ فجمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانبكم قد عرفتم أني مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قوم أي تظننا أنا مثل قومك ، ولا يغرنك أنك لقيت

قوماً لاعلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنـا نحـن الناس . وفي لفظ : لتعلمن : أنك لم تقاتل مثلنا أي لأنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً وأشدهم بغياً . وأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقا ﴾ يعني وقعة بدر وأنزل الله تعـالى : ﴿ وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذا اليهم على سواء ﴾ الآية ثم ان القوم تحصنوا في حصونهم فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار ، وكان خروجـه في نصف شوّال ، واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبـا لبابـة الأنصـاري رضي الله عنـه فقـذف الله في قلوبهم الرعب وكانـوا أربعمائـة حاسر وثلثمائـة دراع ، فسألـوا رسـول الله ﷺ أن يخلي سبلهم ، وأن يجلوا من المدينة أي يخرجوا منها وأن لهم النساء والذرية ، ويجعلون بقية الأموال للنبي ﷺ ، ومنها الحلقة التي هي السلاح .

ولم يكن لهم نخيل ولا أراضي تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست أموالهم ، جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين ، وخمس له ﷺ ثم أجلاهم الى الشام . وقيل انهم نزلوا على أمر ركسول الله ﷺ فأمر بهم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم ، فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وألحّ عليه فقال : يا محمد ، أحسن في موالي فأعرض عنه ﷺ ، فأدخل يده في جيب درع رسـول الله ﷺ من خلفـه فقـال له رسـول الله ﷺ : ويحـك أرسلني ، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ، ثم قال : ويحك أرسلني ، فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فأنهم أعزتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفي لفظ : والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ أربعمائـة حاسر أي لا درع له وثلثمائـة دراع ، وقد منعوني من الاحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال ﷺ : خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، وتركهم من القتل وقال له : خذهم لا بارك الله لك فيهم .

وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ الآية . ثم أمر ﷺ أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعـد ثلاث أي بعـد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث : فقال : لا ولا ساعة واحدة ، وتولى إخراجهم وذهبوا إلى أذرعات بلدة بالشام ، ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين

بدعوتهﷺ في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم . ويذكر أن ابن أبيّ قبل خروجهم جاء الى منزلهﷺ ليسأله في إقرارهم ، فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه في الحائط فشجه فانصرف مغضباً فقال بنو قينقاع : لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا تنتصر له ، وتأهبوا للجلاء وقيل الذي تولى إخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في إخراجهم . ووجدﷺ في منازلهم سلاحاً كثيراً لأنهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالاً وأشدهم بأساً وأخذ رسول اللهﷺ من سلاحهم ثلاث قسي قوساً تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت إذا رمى بها ، وقوساً تدعى الروحاء وقوساً تدعى البيضاء ، وأخذ درعين درعاً يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال أنها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ، والأخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف . ووهبﷺ درعاً لمحمد بن مسلمة ودرعاً لسعد بن معاذ . رضي الله عنهما وقسم بقية الأموال والسلاح كما تقدم .

قتل أبي عفك اليهودي

وقدّم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال: ثم في شوّال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك ـ بفتح المهملة والفاء ـ اليهودي وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة ، وكان يحرّض الناس على قتال النبيﷺ ويقول فيه الشعر فقال ﷺ : من لي بهذا الخبيث ؟ فقال سالم بن عمير : على نذر أن أقتل أبا عفك او أموت دونه ، فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة ، نام أبو عفك بفناء منزله ، وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم أعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش ، فصاح عدوّ الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض ، فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير ـ رضي الله عنه ـ الى النبي ﷺ فبشر بذلك فدعا له بخير .

غـزوَة السويق

لما أصاب قريشاً في بدر ما أصابهم ، حلف ابو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمداً. فخرج في مائتي راكب من قريش ليسيرٌ يمينه ، حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ، ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود ، وقصد حي بن أخطب وكان من رؤساء بني النضير ، وكان مجيئه اليه في الليل : فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لأنه خافه ، فانصرف وجاء إلى سلام بن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم ، فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ، ثم خرج به إلى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلاً ، منها ووجدوا رجلاً من الأنصار وهو معبد بن عمرو وحليفاً للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فعلم بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار ، وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة . واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم للهرب ، فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم ، وانصرف رسول الله ﷺ راجعاً الى المدينة ، وكانت غيبته ﷺ خمسة أيام ، ورأى أبو سفيان انه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لا يمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمداً .

وحكى بعضهم أن أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، وهذا يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة . ومن ثم قال الدميري : إن الحكمة في عدم بيان الغسيل في آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوماً قبل الإسلام ، وذلك من بقية دين إبراهيم وإسمعيل ـ عليهما السلام ـ فهو من الشرائع القديمة . قال بعضهم : كانوا في ا لجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم ، وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثني عليه ثم يقول رحمه

الله ثم يدفن ، وما ذكره الدميري تبع فيه السهيلي حيث قال : إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية دين ابراهيم واسمعيل - عليهما الصلاة والسلام - كما بقي فيهم الحج والنكاح . وكان الحدث الأكبر معروفاً عندهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وإن كنتم جُنُباً فاطهروا ﴾ فلم يحتاجوا الى تفسيره . وأما الحدث الأصغر فلم يكن معروفاً عندهم قبل الإسلام ، فلهذا لم يقل وإن كنتم محدثين فتوضئوا ، بل قال فاغسلوا ، ونـازع بعضهم في ثبوت ذلك عندهم وقال : إن أبا سفيان إنما قال لا يمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء ، فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة لأن هذا اللفظ صار عند أهل الإسلام كناية عن التمتع بالنساء ، فساوى المراد منه ما قصده أبـو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال .

ذكر تزويج فاطمة رضي الله عنها

بنت رسول الله ﷺ بعلي - رضي الله عنه - وهي الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم - رضي الله عنها - كما اختاره المقريزي والزركشي والحافظ السيوطي في كتابيه ، شرح النقاية وشرح جمع الجوامع ، بالأدلة الواضحة التي منها : ان هذه الأمة أفضل من غيرها . والصحيح أن مريم ليست نبية ، بل حكى الإجماع على انه لم يتنبأ أمرأة قط وقد قال ﷺ : مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها ، رواه الترمذي وقال ﷺ : يا بنية ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين : قالت يا أبت فاين مريم ؟ قال : تلك سيدة نساء عالمها ، رواه ابن عبد البر ، وقد أخرج الطبراني باسناد على شرط الشيخين . قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير أبيها ، وكان تزّوجها من علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة ، عقد عليها في صفر وقيل في المحرم وقيل في رجب وقيل في رمضان ، ودخل بها في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة أشهر ونصف . وكان سنّ علي - رضي الله عنه يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوّج عليها رضي الله عنه حتى ماتت . وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخطبان فاطمة الى النبي ﷺ فسكت ولم يرجع اليهما شيئاً ، وفي رواية قال لكل منهما أنتظر بها القضاء ؟ فانطلقا الى علي رضي الله عنه يأمرانه أن يخطبها لنفسه ، قال علي - رضي الله عنه - فنبهاني لأمر كنت غافلاً عنه ، فقمت أجرّ ردائي فرحاً بما نبهت له حتى أتيت النبي ﷺ فقلت : تزوّجني فاطمة ؟ قال : أوعندك شيء ؟ فقلت فرسي وبدني يعني درعه . قال : أما فرسك فلا بذلك منها وأما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعمائة وثمانين درهماً .

قال الزرقاني : ثم ان عثمان رضي الله عنه ردّ الدرع الى علي رضي الله عنه

فجاء بالدرع والدراهم الى المصطفى ﷺ فدعا لعثمان بدعوات ، ولما جاء علي رضي الله عنه بالدراهم وضعها في حجر النبي ﷺ فقبض منها قبضة فقال : أي بلال ابتع بها لنا طيباً وأمرهم أن يجهزوها ، فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف ، وقال لعلي رضي الله عنه إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك ، فأرسل ﷺ أسماء بنت عميس، فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضي الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته ﷺ حتى قعدت في جانب البيت وعلي رضي الله عنه في جانب آخر . ثم جاء رسول الله ﷺ بعدما صلى العشاء الآخرة فقال : أههنا أخي ؟ قالت أم أيمن : أخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال : نعم أي هو كأخي في المنزلة والمؤاخاة ، فلا يمتنع على تزويجي إياه بنتي . ودخل ﷺ وقال لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ ائتيني بماء ، فقامت تعثر في ثوبها من الحياء إلى قعب في البيت ، فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه أي وضعه في فمه ورمى به في القعب ثم قال لها : تقدمي ، فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال : اللهم أني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . ثم قال أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي .

وفي رواية • ثم قال لعلي : ائتني بماء . قال : فعلمت الذي يريده ، فقمت فملأت العقب ماء فأتيته به فأخذه فمج فيه ثم صب على رأسي وبين ثديي ثم قال لي : أدبر ، فصب بين كتفي . ثم قال اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ، ثم قال له : ادخل بأهلك باسم الله والبركة . وفي رواية : انه ﷺ توضأ في اناء ثم أفرغه على عليّ وفاطمة ـ رضي الله عنهما ـ ثم قال : اللهم بارك فيهما وبارك لهما في شملهما وهو بالتحريك الجماع ، وفي رواية : في شبليهما والشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفاً واطلاعاً منه ﷺ على أنها تلد الحسن والحسين رضي الله عنهما فأطلق عليهما شبلين . وفي رواية انه ﷺ دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوّذه بقل هو الله أحد والمعوذتين . والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة في كل رواية على البعض . وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه خطبها علي رضي الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فقال ﷺ لعلي : قد أمرني ربي أن أزوّجها منك . وروى الطبراني مرفوعاً برجال ثقات ، ان الله أمرني أن أزوّج فاطمة رضي الله عنها من علي رضي الله عنه قال أنس : ثم دعاني عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لي : إدع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف

وعدة من الأنصار رضي الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان علي رضي الله عنه غائباً قال ﷺ : الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع سلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ أن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام ، وألزم به الأنام ، فقال عزَّ من قائل وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً فأمر الله يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري الى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرني أن ازوّج فاطمة من علي ابن ابي طالب فاشهدوا أني قد زوّجته إياها على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي ، ثم دعا ﷺ بطبق من بسر ثم قال : انتهبوا فانتهبنا ودخل علي رضي الله عنه فتبسم النبي ﷺ في وجهه ثم قال :

ان الله عز وجل أمرني أن أزوّج فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك ؟ قال : قد رضيت بذلك يا رسول الله أي بعد أن خطب خطبة منها : الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، وأشهد أن لا إلّه إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوّجني ابنته على صداق مبلغ أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول : واشهدوا . وقالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : اشهدوا أني قد زوّجته كذا ، رواه ابن عساكر . ثم قال ﷺ : جمع الله شملكما وعز جدكما أي حظكما ، وبارك عليكما ، وأخرج منكما كثيراً طيباً . وفي رأواية أبي الحسن بن شاذان : لما زوّجه وهو غائب قال : جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الامة . فلما حضر علي رضي الله عنه تبسم رسول الله ﷺ وقال : إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة ، وان الله أمرني أن أزوّجكما على أربعمائة مثقال فضة . فقال : رضيتها يا رسول الله . ثم خرّ عليّ رضي الله عنه ساجداً شكراً لله تعالى ، فلما رفع رأسه قال ﷺ : بارك الله لكما وبارك فيكما وأعزّ جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب . قال أنس رضي الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب . وقد روى الطبراني والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لم يبعث الله نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري ، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي رضي الله عنه والعقد لعلي رضي الله عنه وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر أو على أنه لم يرد به العقد بل إظهار ذلك . ثم عقد معه لما حضر كما

علم من الروايات السابقة ، أوعلى تخصيصه بذلك لأنهﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فله أن يزوّج من شاء لمن شاء جمعاً بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور ، وقد ذهب المالكية إلى أن التفريق اليسير لا يضرّ فلعل غيبة علي كانت قريبة جداً ، وقد يفهم من ظاهر الحديث أنه أتى في المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده ، وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقاً ، ومنه الشافعي مطلقاً .

وكانت وليمة علي رضي الله عنه آصعاً من شعير وتمر وحيس ، والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديداً . وفي رواية : أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار .

وكان جهاز فاطمة رضي الله عنها خميلة اي بساطاً له خمل اي هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسريراً مشروطاً . وكان فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش . وعن الحسن البصري : كان لعلي وفاطمة رضي الله عنهما قطيفة إذا لبسوها بالطول انكشفت ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤوسهما . وجاء انهﷺ مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ، ثم دخل في الرابع في غداة باردة وهما في لحاف واحد فقال : كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما أخذ علي إحداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئهما ، وأخذت فاطمة الأخرى فوضعتها على صدرها وبطنها لتدفئها . وعن أنس رضي الله عنه قال : جاءت فاطمة الى النبيﷺ فقال : يا رسول الله إني وابن عمي مالنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار . فقال : يا بنية ، اصبري فان موسى بن عمران أقام مع أمرأته عشر سنين ما لهما فراش إلا عباءة قطوانية أي بيضاء كثيرة الخمل . وفي مسند الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحى مما تطحن ، فأتى النبيﷺ سبى فانطلقت فلم تجده ، فأخبرت عائشة فلما جاءﷺ أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضي الله عنها فجاء ﷺ الينا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت لأقوم فقال : على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال : ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني ؟ قلنا : بلى . قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام إذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثاً وثلاثين ، وسبحا ثلاث وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، فهنّ خير لكما من خادم ولم يتزوّج علي رضي الله عنه عليها حتى توفيت رضي الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبي جهل قامﷺ على المنبر وقال :

إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، انما هي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما أذاها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله عند رجل أبداً ، فترك علي الخطبة .

قال أبو داود : حرم الله على عليّ رضي الله عنه أن ينكح على فاطمة رضي الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وألحق بعضهم أخواتها بها ، ويحتمل اختصاصها بذلك رضي الله عنها وعنهنّ وقد ورد في فضائل علي رضي الله عنه أحاديث كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما ورد لأحد من الصحابة رضي الله عنهم ما ورد لعلي كرم الله وجهه أي من ثنائه ﷺ عليه وسبب ذكل كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم ، فاضطر الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه رداً على الخوارج وغيرهم : وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما نزل في أحد من الصحابة في كتاب الله ما نزل في عليّ كرم الله وجهه. نزل في علي ثلثمائة آية . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كل ما تكلمت به في التفسير فانما أخذته عن علي كرم الله وجهه ، وقد أفردت مناقبه التأليف رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم .

سريّة محمّد بن مُسلمَة

التي قتل فيها كعب بن الأشرف اليهودي لعنه الله وكانت لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة ، بعثﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي ومعه أربعة من الأنصار الى كعب بن الأشرف اليهودي ليقتلوه . قال ابن إسحق أن كعب بن الأشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبو اعرابياً من بني نبهان اصاب دماً في الجاهلية ، فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوّج عقيلة بنت أبي الحقيق ، فولدت له كعباً . وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة ، شاعراً مجيداً ساد يهود الحجاز بكثرة ماله ، فكان يعطي أحبار يهود ويصلهم . فلما قدم النبيﷺ المدينة جاء أحبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة الى كعب بن الأشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم : ما عندكم من أمر هذا الرجل ؟ فقالوا : هو الذي كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيئاً . فقال لهم : قد حرمتم كثيراً من الخير أرجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثير . فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا : إنا عجلنا فيما أخبرناك به أولاً ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر ، فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله ، وكان يهجو رسول اللهﷺ في أشعاره ويحرّض كفار قريش على قتاله . وكان النبيﷺ حين قدم المدينة مأموراً بتألف الناس وبالصبر على الأذى كما قال تعالى : ﴿ ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ﴾ لأنهﷺ ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى ، مختلفة أحوالهم وعقائدهم ، فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الإسلام .

وكان المشركون واليهود يأذون المسلمين أشد الأذى فصبروا على ذلك ، وكان كعب بن الأشرف من أشدّ الناس أذى للنبيﷺ وللمسلمين ، وكان قد عاهد النبيﷺ أن لا

يعين عليه أحداً ، فنقض العهد وسبه وسب أصحابه . وكان من عداوته انه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب : أحق هذا ترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرّنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكي على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي ﷺ ، فنزل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيض ، فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبي ﷺ وينشد الأشعار ، فبلغ النبي ﷺ ذلك فدعا حساناً فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضي الله عنهما ، فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت : مالنا ولهذا اليهودي فخرج من عندها وصار يتحوّل من قوم الى قوم ، فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي ﷺ فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة . ثم رجع الى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذكرهنّ بسوء ، فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله ﷺ : من لنا بابن الأشرف . وفي رواية : من لكعب ابن الاشرف أي من ينتدب لقتله ؟ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا : وجاء في رواية : إنه حالف قريشاً عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبي ﷺ أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم : إن الله أخبرني بذلك ، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه : ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ .

عن عروة بن الزبير قال : انبعث عدوّ الله يهجو رسول الله ﷺ والمؤمنين ويمتدح عدوّهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستقواهم على رسول الله ﷺ فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه ؟ واي دينا أهدى في رأيك وأقرب الى الحق ؟ فقال : أنتم اهدى سبيلاً وأفضل . فأننزل الله تعالى : ﴿ ألم تر الى الذين أوتو نصيباً من الكتاب ﴾ الآية ، وخمس آيات فيه وفي قريش ، فجزم عروة بانها نزلت في كعب ونحته ما روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم كعب مكة قالت له قريش : ألا ترى إلى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية ؟ وقال : أنتم خير ، فنزل فيهم : ﴿ ان شانئك هو الأبتر ﴾ ونزلت : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ،

الى نصيرا ﴾ .

واخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حُيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأبا رافع ، والربيع ، وعمارة وهوذة ، فلما قدموا مكة قالت قريش : هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الأولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم فقالوا : دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله : ﴿ ألم تر الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، الى قوله : ملكاً عظيماً ﴾ ولذا قال الجلال والبيضاوي : انها نزلت في كعب وفي جمع من اليهود خرجوا الى مكة ، وساق نحو القصة . وزاد البيضاوي أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الأشرف له ﷺ ونقضه العهد ، ما جاء ان كعباً صنع طعاماً وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو رسول الله ﷺ الى الوليمة ، فإذا حضر فتكوا به .

ثم دعاه فجاء ﷺ ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه ، فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ : من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ؟ ولما قال ﷺ من ينتدب لقتل كعب ؟ قال محمد بن مسلمة الأوسي رضي الله عنه : أنا أتكفل لك به يا رسول الله . وفي رواية : انه اقتله قال : فافعل ان قدرت . وفي رواية : انت له ثم قال له : ان كنت فاعلاً فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فشاوره فقال : توجه اليه واشْكُ اليه الحاجة وسله أن يسْلفكم طعاماً فمكث محمد بن مسلمة ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال : لم تركت الطعام والشراب ؟ قال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا ؟ قال : انما عليك الجهد . ثم أتى أبا نائله وعباد بن بشر والحرث ابن أوس وأبا عبس بن جبر فاخبرهم بما وعد به رسول الله ﷺ من قتله فاجابوه وقالوا : كلنا نقتله . ثم أتوا رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله لا بد لنا أن نقول أي قولاً غير مطابق للواقع يسر كعباً لنتوصل به الى التمكن من قتله . وقال : قولا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك ، فأباح لهم الكذب لأنه من خدع الحرب وكأنهم استأذنوه في أن يشكوا منعه ويعيبوا دينه ، لأن كعباً كان يحرض على قتل المسلمين وكان في قتله خلاصهم ، فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه إياهم للقتل ، فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع ان قلوبهم مطمئنة بالإيمان ، ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفراً ، لكنه يباح بالإكراه وهذا بمنزلته . فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف

فقال : ان هذا الرجل يعني النبي ﷺ قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل .

وفي رواية : ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا وإني قد أتيتك استسلفك قال كعب : وأيضاً والله لتملنه قال : إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين . وفي رواية : وأحب أن تسلفنا طعاماً . قال : وأين طعامكم : قالوا : أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه . قال : ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ؟ ثم أجابهم بانه يسلفهم ، وقال : ارهنوني . قالوا : اي شيء تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك واي امرأة تمتنع منك لجمالك ؟ وقولهم هذا له على سبيل التهكم وإن كان هو في نفسه جميلاً قال فارهنوني ابناءكم . قالوا : وكيف نرهنك ابناء فيسيب أحدهم فيقال رهن بوسق او بوسقين ؟ هذا عار علينا ولكن نرهنك للامة يعني السلاح مع علمك بحاجتنا . قال : نعم إنما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح ، فواعده أن يأتيه . وجاءه أيضاً ابو نائلة وقال له : ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني . قال : افعل قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل ، حتى جاع العيال وجهدت الأنفس . واصحبنا قد جهدنا وجهد عيالنا .

فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الأمر سيصير الى ما أقول فقال : إني أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك وان معي أصحاباً على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء . فقال : إن في الحلقة لوفاء وكان ابو نائلة أخاً لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع ، فجاءه محمد بن مسلمة وابو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحرث بن اوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر ، وكلهم من الأوس ، ولما فارقوا النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ثم رجع ﷺ الى بيته وكان ذلك بالليل . وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه ابو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب في ملحفته فاخذته امرأته بناحيتها وقالت : انك امرؤ وتحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال لها : انه ابو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت والله إني لأعرف في صوته الشر . وفي رواية ، قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم ، قال انما هو ابن اخي محمد

بن مسلمة ورضيعي ابو نائلة ، إن الكريم لو دعى الى طعنه بليل لأجاب فنزل فتحدث معه ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي الى شعب العجوز اسم موضع كان قريباً منهم نتحدث به بقية ليلتنا ؟ فقال : إن شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم أن أبا نائلة أدخل يده في باطن رأسه ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، وأمسكه من شعره وقال : اضربوا عدوّ الله .

وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه : إذا ما جاء كعب فإني قائل بشعره أي آخذ به فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه . فنزل اليهم متوحشاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة : ما رأيت كاليوم طيباً . فقال : عندي أعطر نساء العرب وأجملهن . فقال : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم فشمه ثم أشم أصحابه . ثم قال : أتذأن لي ؟ قال : نعم ، فيحتمل أن كلاً من محمد بن مسلمة وأبي نائلة استأذنه في ذلك . وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه ، فلما تمكن أبو نائلة او محمد بن مسلمة من إمساكه وضربوه بأسيافهم ، وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقدت عليه نار . قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفي في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدوّ الله فجزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قد قتلوه ، ثم انتهوا اليه فأخبروه بمقتل عدو الله فقال : أفلحت الوجوه قالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أصاب ذباب السيف الحرث بن أوس بن معاذ رضي الله عنه ، فجرح في رجله أو في رأسه حتى نزف الدم ، فتفل ﷺ على جرحه فلم يؤذه بعد ، وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودي ، إلا وهو يخاف على نفسه . وفي رواية : فلما أصبح ﷺ قال : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت . وفي رواية : فأصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي ﷺ فقالوا : قتل سيدنا غيلة . فذكرهم صنعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين ، فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى أن يكتبوا بينهم وبينه

صلحاً فكان ذلك الكتاب مع علي رضي الله عنه . وفي قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر :

صرخت به فلم يعرض لصوتي   ووافى طالعاً من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادي   فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها   لشهران وفي أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا او جاعوا   وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي صريعاً   وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفي إيماننا بيض حداد   مجربة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المردي   به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه   فقطره ابو عبس بن جبر
وكان الله ساد سنافا بنا   بانعم نعمة واعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام   هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لأنه نقض عهد النبيﷺ وهجاه وسبه : وكان عاهده أن لا يعين عليه أحداً ، ثم جاء مع أهل الحرب معيناً عليه قال القاضي عياض : إن محمد بن مسلمة لم يصرح له بالأمان في شيء من كلامه إنما كلمه في أمر البيع والشراء ، واشتكى اليه وليس في كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لأحد أن يقول إن قتله كان غدراً . وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأمر به فضربت عنقه ، وإنما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهدهﷺ ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان . قال الحافظ ابن حجران كعباً كان محارباً حيث ترجم لقصته البخاري بالفتك بأهل الحرب والكذب في الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم .

غـزوَة غطفـَان

ويقال لها غزوة ذي أمر ـ بفتح الهمزة والميم وشد الراء ـ وغزوة أنمار وهي بناحية نجد ، وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة وسببها ان جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة جمعهم دعثور ابن الحرث المحاربي سماه بعضهم غورث بن الحرث ، فخرج ﷺ إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما سمعوا بمجيئه ﷺ هربوا في رؤوس الجبال ، وأصاب المسلمون رجلاً منهم يقال له جبار وقيل حبان ، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره بخبرهم وقال : لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله ﷺ للإسلام فأسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع ، وأخذ ذلك الرجل بالنبي ﷺ والمسلمين طريقاً وهبط بهم على قومه ، فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر ، فعسكر به ﷺ وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله ﷺ وثياب أصحابه ، فنزع رسول الله ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها ، وكان ذلك بموضع قريب من المشركين ، فكانوا ينظرون اليه وهم في رؤوس الجبال واشتغل المسلمون بشؤونهم . فقال المشركون لدعثور وكان شجاعاً سيد قومه : قد انفرد محمد فعليك به ، فأقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه ﷺ . فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال له النبي ﷺ : الله . ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فأخذ السيف رسول الله ﷺ وقال له : من يمنعك مني ؟ قال له : أجل أشهد أن لا إلٓه إلا الله وأنك رسول الله . فرد عليه رسول الله ﷺ سيفه ، ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الإسلام . وأخبرهم أنه رأى رجلاً طويلاً دفع في صدره فوقه على ظهره قال : فقلت إنه ملك فاسلمت وعلمت انه رسول الله ولا أكثر عليه جمعاً فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديكم

عنكم ﴾ وقيل : نزلت في بني النضير حين ارادوا اغتياله ﷺ كما سيأتي : وقيل : نزلت في كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف . قال القشيري : وقد تنزل الآية في قصة ثم تنزل في أخرى لاذكار ما سبق . ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة .

غـزوَة بَـحرَان

ـ بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة ـ موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بني سليم أيضاً فخرج ﷺ في ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادي الأولى ولم يظهر وجهاً للمسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وكان قد بلغه ان جمعاً كثيراً من بني سليم اجتمعوا بجران فأحثّ السير حتى بلغها وكان قبل وصوله إليها لقي رجلاً فأخبره ان القوم قد تفرقوا ، فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا في مياههم . فرجع ولم يلق كيداً وأطلق الرجل ، وكانت غيبته عشر ليال .

وفي هذه السنة عقد لعثمان رضي الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد موت اختها رقية ، وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر ، وفي شعبان من هذه السنة تزوّج ﷺ بحفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضي الله عنه ، وفي رمضان تزوّج زينب بنت جحش .

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى القردة :

ـ بالقاف المفتوحة وسكون الراء ـ اسم ماء من مياه نجد وسببها أن قريشاً خافوا من طريقهم التي يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ، وكلهم أسلموا عام الفتح رضي الله عنهم ومعهم فضة كثيرة . فبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة رضي الله عنه في مائة راكب ، فلقيهم على ذلك الماء فأصاب العير وما فيها ، وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله ﷺ فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم ، وكانت هذه السرية في جمادي الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة .

غزوة أحُد

وهو جبل مشهور بالمدينة ، وكانت في شوّال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة من شوّال وسببها ان قريشاً لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن ابي جعل وصفوان بن أمية ، وكلهم أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ، ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى ابي سفيان رضي الله عنه ، فأنه أسلم بعد ذلك أيضاً، والى كل من كان له تجارة في تلك العير التي كانت سبب وقعة بدر، وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لأربابها فقالوا : ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينوا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأراً عمن أصاب منا ونحن طيبوا النفس ، إن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمد . فقال ابو سفيان : وأنا أوّل من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي فجعلوا لذلك ربح المال ، فسلم لأهل العير رؤوس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار ديناراً ، فكان الذي أخرج خمسين ألف دينار . وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة . وقال صفوان بن أمية لأبي عزة الجمحي : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك عليّ أن رجعت ان أغنمك وإن أصبت اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال : ان محمداً قد منّ علي وأطلقني يعني يوم بدر واخذ عليّ ان لا أظاهر عليه أحداً حين أطلقني ، فلا أريد أن اظاهر عليه . قال : بلى فأعنا بلسانك . فخرج أبو عزة ومسافع يستنقران الناس بأشعارهما فقيل : ان مسافعاً لم يعرف له إسلام وقيل : أسلم بعد ذلك . وأما أبو عزة فجيء به إلى النبيﷺ فأمر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ، ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فضرب عنقه ، فإنه أسلم بعد ذلك غلاماً حبشياً يقال له وحشي رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطيء بها . فقال له : اخرج مع الناس فان انت

قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فانت حر لأن حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر ، وقيل ان ابنه سيده طعيمة قالت له : ان قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لا أرى في القوم كفؤاً له غيرهم ، فانت عتيق .

فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا ، وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع ازواجهن منهن هند بنت عتبة زوج ابي سفيان رضي الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هي وزوجها، وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فأنهما أسلما أيضاً وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث بن هشام ، وربطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص ، وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر وينحن عليهم ويحرضنهم على القتال ، وعدم الهزيمة والفرار . وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوّال .

وكتب العباس للنبي ﷺ وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فأبى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال ، فجاء كتابه للنبي ﷺ وهو بقباء ، وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها . ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا . ثم نزل ﷺ على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال : والله إني لأرجو أن يكون خيراً فاستكتمه إياه ، ولما خرج رسول الله ﷺ من عنده قالت له امرأته : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقال لها : يا أم محمد ما أنت وذاك . فقالت : قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ ، فاسترجع واخذ بيدها ولحق النبي ﷺ وأخبره خبرها وقال : يا رسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه . فقال له رسول الله ﷺ : خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الأحابيش الذين حالفوا قريشاً وهم بنو المصطلق وبنو لهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على أنهم مع قريش يداً واحدة ، ما سجاليل ووضح نهار ومارسا حبيش مكانه ، فسموا آحابي باسم الجبل . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب في سبعين فارساً من الأوس . وكان ابو عامر الراهب في المدينة مقاوماً للنبي ﷺ ومباعداً له ومنكراً لنبوته . وكان قبل ذلك مترهباً يزعم انه ينتظر النبي المبعوث ويذكر للناس كثيراً من صفاته

ويقول لهم : قد قرب خروجه . فلما هاجرﷺ الى المدينة واتضحت صفاته للأنصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان رئيساً في الأوس كعبد الله بن أبيّ في الخزرج فكل منهما حسد النبيﷺ . لكن عبد الله بن أبي دخل في الإسلام ظاهراً وهذا خرج من المدينة كافراً مباعداً فدعا عليه النبيﷺ بأنه يموت وحيداً طريداً ، فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلاً عن الراهب ، وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ، وهو من المستشهدين بأحد وهو الذي غسلته الملائكة . ومات أبو عامر الفاسق كافراً بأرض الروم وحيداً طريداً إجابة لدعائهﷺ ، لأنه لما فتحت مكة خرج فاراً الى الروم .

ثم ان القوم بعد أن تجهزوا وأخرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وكان وصولهم يوم الأربعاء ثاني عشر شوّال ، فأقاموا به الأربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهمﷺ فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال ، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر . وقد رأى النبيﷺ رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال : والله إني قد رأيت خيراً رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي اي طرفه الذي يضرب به ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وكأني مردف كبشاً ، فاما البقر فناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، وأولّت الدرع الحصينة المدينة وأولّت الكبش بأني أقتل صاحب الكتيبة . وقد صدّق الله رؤياهﷺ فكان الرجل الذي من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه ، وقتل علي رضي الله عنه طلحة بن عثمان العبدري صاحب لواء المشركين ، فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم .

وقال عروة بن الزبير وجماعة : كان الذي بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدوّ أصابوا وجهه الشريفﷺ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ، ثم قالﷺ لأصحابه : امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت . وفي رواية : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فأن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وأرسل النبيﷺ لعبد الله بن أبيّ ابن سلول يستشيره تألفاً له ولم يستشره قبل ذلك ، فكان رأي عبد الله بن أبيّ ابن سلول مع رأيهﷺ فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدراً وأسفوا على ما فاتهم من مشهدها : يا رسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم

اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنًا عنهم . فقال ابن أبي : يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قط إلا أصاب منا ولأخدلها علينا إلا أصبنا منهم ، فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا . وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبيﷺ ورضي الله عنه ، وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الأنصار رضي الله عنهم : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدوّنا إنا كرهنا الخروج جبناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا. زاد حمزة والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة. وقال النعمان: يا رسول الله لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلها فقالﷺ : لم ؟ فقال : لأني أحب الله ورسوله وفي لفظ : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا أفر يوم الزحف . فقال ﷺ : صدقت فاستشهد يومئذ فترجح عندهﷺ موافقة رأيهم وإن كرهه ابتداء ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم بان لهم النصر ما صبروا أي مدة صبرهم على أمره وأمرهم بالتهيؤ لعدوّهم . ففرح الناس بذلك لأنهم لا غرض لهم في الدنيا وزهرتها ، لما وقر في قلوبهم وارتحاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم . ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالي ، ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه في الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أي عاوناه في لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه ، وغير ذلك مما تعاطاه عند إرادة الخروج ، وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد ابن معاذ رضي الله عنه وأسيد بن حضير : استكرهتم رسول اللهﷺ على الخروج فردوا الأمر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الأوس وهو في الأنصار كالصديق في المهاجرين رضي الله عنهم .

قال الزرقاني : فهو أفضل الأنصار فخرجﷺ وقد لبس لامته وهي بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه ما صنعوا وقالوا : ما كان ينبغي لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت . وفي رواية : فان شئت فاقعد فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وعقدﷺ لواء للأوس وجعله بي أسيد بن حضير ، ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر . وقيل بيد سعد بن عبادة ، ولواء للمهاجرين وجعله بيد علي بن أبي

طالب رضي الله عنه ، ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل : طلحة بن أبي طلحة العبدري . فقال : نحن أحق بالوفاء منهم ، فأخذه من علي ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد البر الدار أكبر اولاد قصي ، فجعل ابوه قصّي القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرقادة ودار الندوة كلها إليه ثم اختلف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ، ثم اتفقوا على أن اللواء والحجابة ودار الندوة لبني عبد الدر ، والقيادة والسقاية والرقادة لبني عبد مناف ، وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قالﷺ : نحن أحق بالوفاء منهم . وفي شرح الزرقاني على المواهب : انه لما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، أعطى رسول اللهﷺ الراية علياً رضي الله عنه ، وكان في المسلمية مائة دارع وهو لابس الدرع ، وركبﷺ فرسه السكب وقيل خرج ماشياً وخرج السعدان أمامه يعدوان : سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة :

فإن يسلم السعد إن يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وكانا دارعين وردﷺ جماعة من المسلمين لصغرهم نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهم . ثم اجاز رافع بن خديج لما قيل له إنه رامٍ فخرج وأصيب بسهم ، فقالﷺ : أنا أشهد له يوم القيامة . وعاش الى زمن عبد الملك ، بن مروان ، ولما أجازه قال سمرة ابن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعاً وردّني وأنا أصرعه ، فأعلم النبيﷺ بذلك فقال : تصارعا فصرع سمرة رافعاً فأجازه . ورأىﷺ جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبي يريدون الخروج فقال : وقد أسلموا قالوا : لا يا رسول الله . قال : مروهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين . وكان المسلمون الخارجون معهﷺ ألفا رجل . ثم انخزل عبد الله بن أبي ورجع وهو ومن معه من المنافقين . وكانوا ثلثمائة ، فبقي المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والأحابيش المحالفين لهم . وقال ابن أبي حين أراد الرجوع : عصاني واطاع الولدان ومن لا رأي له علام ، نقتل أنفسنا : أرجعوا أيها الناس . فقال لهم عبد الله بن عمرو ابن حرام والد جابر رضي الله عنه ، وكان خزرجياً كابن ابي : أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعدما حضر عدوّهم قالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناهم فلما أبوا قالوا :

أبعدكم الله سيغني الله عنكم . قال موسى بن عقبة لما انخذل ابن أبي بمن معه سقط في أيدي طائفتين من المسلمين وهمتًا أن تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الأوس . وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه : نزلت هذه الآية فينا إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بني سلمة وبني حارثة ، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول : ﴿ والله وليهما ﴾ أي الدافع عنهما . قال الحافظ ابن حجر : اي أن الآية وان كان في ظاهرا عتاب عليهم لكن في آخرها عتاب عليهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم . قال ابن اسحق : قوله : ﴿ والله وليهما ﴾ أي الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غيروهن منهم في دينهم وفي الصحيح أيضاً عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، لما خرج ﷺ الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه ﷺ فرقتين ، فرقة تقول فقاتلهم ، وفرقة تقول لا نقاتهلم فنزل : ﴿ فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم إلى كفرهم بما كسبوا ﴾ .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي في الجبل ، فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى الصبح بأصحابه صفوفاً ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطفٌ المشركون بالسبخة ، وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك وصار سيفاً لله سله على المشركين ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ، فإنه أسلم بعد ذلك ، وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فانهما أسلما بعد ذلك . وقال النبي ﷺ للزبير بن العوام : استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه وأمر جماعة آخرين ان يكونوا بإزاء خيل اخرى للمشركين ، ولم يكن مع المسلمين إلا فرس أو فرسان . قال الحلبي : وما وقع في الهدي لابن القيم ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير ابن النعمان الأوسي البدري ، المستشهد يوم أحد رضي الله عنه ، وهو أخو خوات بن جبير رضي الله عنه ، وكان الرماة خمسين رجلاً فأقامهم النبي ﷺ على جبل صغير مرتفع وقال لهم : احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا ، وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما ثتبم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم . وفي رواية قال لهم : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم أي مشينا عليهم وهم قتلى ، فلا تبرحوا حتى أرسل أليكم . وفي رواية ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا

تشركونا ، اللهم اني أشهدك عليهم ثم عرض رسول الله ﷺ سيفاً وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ، وكان مكتوباً عليه :

في الجبــن عار وفي الأقــدام مكرمة والمرء بالجبــن لا ينجــو من القدر

فقام رجال وبسطوا ايديهم كل انسان منهم يقول انا يا رسول الله ، منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير رضي الله عنهم ، فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الأنصاري رضي الله عنه فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : ان تضرب به في وجه العدوّ حتى ينحني . قال : أنا آخذه يا رسول الله . قال : لعلك ان أعطيتكه تقاتل في الكيول أي مؤخر الصفوف ؟ قال : لا يا رسول الله . فأعطاه إياه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ،فلما رآه ﷺ يتبختر قال : إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا الموطن . وليس في هذه القصة دليل على أن أبا دجانة أشجع من النفر الـذين منعهم النبي ﷺ إعطاء السيف بل هذه خصوصية لأبي دجانة ، ولعل ذلك يوحي من الله تعالى لإظهار شأن الأنصار وفضلهم حيث أعطاه لرجل منهم . قال الزبير رضي الله عنه : لما منعنيه رسول الله ﷺ وأعطاه أبا دجانة قلت : والله لانظرنّ ما ينصع أبو دجانة ، فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء مكتوباً في أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب ، وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب عار ومن فرَّ لم ينج من النار ،فعصب بها رأسه فقالت الأنصار : أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول :

أنــا الــذي عاهدنــي خليلي ونحــن بالسفــح لدى النخيل
أن لا أقــوم الدهــر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقي أحداً من المشركين إلا قتله قال أنس : ففلق ابو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير : وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف عليه اي قتله ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله ان يجمع بينهما . فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك ابا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه ، وضربه ابو دجانة فقتله . ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال ابو دجانة : رأيت انساناً يحمي الناس اي يشجعهم حمساً شديداً ، فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه

ولول اي دعا بالويل أي قال : يا ويلاه ، فعلمت انه امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة . وعن الزبير رضي الله عنه قال : خرج ابو دجانة بعدما أخذ السيف واتبعه فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه وهتكه وفلق به المشركين . وكان إذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدوّ وكأنه منجل ، حتى اتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهي تغني تحرض المشركين ، فحمل عليها فنادت يا لصخر ، فلم يجبرها أحد ، فانصرف عنها فقلت له : كل سيفك رأيته فأعجبني غير أنك لم تقتل المرأة . قال : كرهت ان أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها . وكان أوّل من انشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبي ﷺ الفاسق ، لأنه كما تقدم كان في المدينة فلما هاجر ﷺ اليها حسده وكفر به ، وخرج الى مكة وكان يعد قريشاً انه لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فخرج بمن معه من خرج من قريش والأحابيش فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر فقالوا : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شر . قاتلهم قتالاً شديداً . قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه ، وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن :

ويها بني عبد الدار	ويها حماة الأدبار

ضرباً بكل بتار

وويها كلمة إغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان ، والأدبار الأعقاب اي الذين يحمون اعقاب الناس ، والبتار والقاطع ويقلن أيضاً :

نحن بنات طارق	نمشي على النمارق
مشى القطا البوارق	والمسك المفارق
والدر في المخانق	ان تقبلوا العانق
ونفرش النمارق	أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

والطارق النجم . قيل : المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وراتفاع القدر كالنجم وكان ﷺ إذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول : اللهم بك اجول ، وبك أصول ، وفيك

اقتال ، حسبي الله ونعم الوكيل . وعند اصطفاف القوم نادى ابو سفيان رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك : يا معشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم ، فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن .

وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثاً فقام اليه الزبير رضي الله عنه ، فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي ﷺ : الذي يلي حضيض الأرض مقتول : فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه . فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : لكل نبي حواريّ وان حواريّ الزبير . وقال ﷺ : لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه .

وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة ؟ كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليَّ بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ، فاختلفا ضربتين . وفي رواية : فالتقيا بين الصفين فبدر علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته ، فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض اصحابه أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم ، وعرفت ان الله قد قتله ، وفي رواية : قال له رسول الله ﷺ : ما منعك أن تجهز عليه ؟ فقال ناشدني الله والرحم . فقال : اقتله فرجع اليه فقتله . فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة . وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة : فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره . فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول : أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فأصاب حجزته فقتله ، فحمله مسافع ابن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم ابن ثابت بن أبي الأفلح فقتله . ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضاً فقتله .

وكانت أمهما معهما واسمها سلافة ، فكان كل واحد منهما بعد أن رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين

رمى يقول : خذها وأنا ابن ابي الأفلح ، فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه ، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الإبل ، فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه . فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب وجلاس الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة ، وكلهم قتلوا كأبيهم وعميهم وهما : عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصّي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه ، وقيل : حمزة رضي الله عنه . ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف ابن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله صواب غلامهم وكان عبداً حبشياً فقتله علي ، وقيل : سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما . ثم لم يزل اللواء طريحاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها إسلام ، فرفعته لقريش فلا ثوابه أي استداروا حوله ، وقد كان أبو سفيان قبل القتال ، قال لأصحاب اللواء أي لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار انكم قد تركتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فأما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهموا به وتواعدوا وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؟ وذاك الذي أراد أبو سفيان . ولما صرع صاحب لواء المشركين الذي هو طلحة بن أبي طلحة استبشر النبيﷺ وأصحابه أي لأنه كبش الكتيبة اي الجيش أي حاميهم ، الذي رأىﷺ انه مردفه في رؤياه المتقدمة . ثم قال : أولت ذلك أني أقتل صاحب الكتيبة ، فهذا كبش الكتيبة .

وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم ،وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت هو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر ، وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهي شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب . وخرج عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما فأنه أسلم بعد ذلك فقال : من يبارز ؟ فنهض اليه أبو بكر رضي الله عنه شاهراً سيفه ، فقال له رسول الله ﷺ : شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك ، وتقدم عبد الرحمن المبارزة أيضاً يوم بدر وقد وقع للصديق رضي الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موته ﷺ

خرج مع الجيش لقتال اهل الردة شاهراً سيفه فأخذ علي كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال : الى اين يا خليفة رسول الله ﷺ : أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد : شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلي رضي الله عنه مع الجيش .

وفي أوّل الأمر يوم أحد حملت اليه خيل المشركين على المسلمين ثلاثاً والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أي أضعفوهم قتلاً ولما حميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن : ويها بني عبد الدار الخ الأبيات المتقدمة . ثم أنزل الله نصره على المسلمين فساروا يحسون الكفار حساً أي يقتلونهم قتلاً كما قال تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه ﴾ حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل . قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة اي ما في ساقها من الحلى وهي وصواحبها مشمرات هو أرب ، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم ، واشتغلوا عن الحرب . فقال اصحاب عبد الله ابن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبي ﷺ بالبقاء بمكانهم : الغنيمة اي قوم قد غلب اصحابكم فما تنتظرون ؟ فقال لهم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ يعني قوله : لا تبرحوا فأبوا ان يطيعوه وقالوا : والله لنأتين الناس ولنصيبنّ من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا . فلما أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتم قوله ﷺ ، ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، ووقعت الهزيمة في المسلمين . قال الحافظ ابن حجر : وفيه شؤم ارتكاب النهي وانه يعم ضرره من لم يقع منه ، كما قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ولذا قال تعالى : ﴿ ولقد صَدَقَكُم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنك من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنك والله ذو فضل على المؤمنين ، اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم ﴾ أي أصابتكم الهزيمة التي أغمتكم بسبب إدخالكم الغم على

النبي ﷺ في مخالفة أمره .

ومع ذلك فقد أخبر الله في كتابه بأنه عفا عنهم بقوله : ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ وصرخ إبليس لعنه الله أي عباد الله يعني المسلمين أخراكم أي احترز من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه ، فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدةّ ما دهنهم ، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذي وصل اليه وقت انهزام المشركين ، ولم تزل قدمه شبراً واحداً عن موقفه ، كما في شرح الزرقاني وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذي يتعارفون به وهو أمت أمت ، فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض فكان ممن قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، فقال ابنه : غفر الله لكم وترك ديته وأحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى ويا لهبل ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتبهوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى بلغ الذين قتلهم أحداً وثلاثين رجلاً كلهم من شجعانهم ، وكان رضي الله عنه يقاتل بسيفين بين يدي رسول الله ﷺ وهو يقول أنا أسد الله . وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعي فقال : هل من مبارز ، فبرز له حمزة رضي الله عنه وقال : هلم يا ابن مقطعة البظور أي لأن أمه أم أنمار مولاة شريق والد الأخفش ، كانت ختانة بمكة . ثم قال له حمزة رضي الله عنه : أتحادّ الله ورسوله اي تحاربهما وتعاندهما ؟ ثم شد عليه حمزة رضي الله عنه فضربه ضربة قتله بها ، فكان كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضي الله عنه . وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه .

قال وحشي غلام جبير بن مطعم : أني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضي الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه ، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها الي فوقعت في ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة ، فأقبل نحوي ثم وقع فأمهلته حتى مات ، فجئته فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره لما تقدم ان حمزة رضي الله عنه قتل طعيمة بن عدي يوم بدر . فقالت ابنة طعيمة لوحشي : أن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فانت عتيق . وفي رواية : قال لي مولاي جبير بن مطعم أن قتلت حمزة بعمي فأنت حر ولا مخالفة لاحتمال أن كلاً من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك . وجاء في بعض الروايات عن وحشي رضي الله عنه : فإنه أسلم بعد

ذلك . قال : وخرجت ما أريد أن اقتل ولا أقاتل إلا حمزة وكان وحشي يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطىء ، ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحرب مسيلمة الكذاب ، وكان يقول : أرجو ان هذه تكفر تلك ، وهذا لا ينافي ما ورد إن الذي قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري أو أبو دجانة رضي الله عنهم ، لاحتمال أن يكون وحشي ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين في قتله لعنه الله . وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة ، وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله ﷺ ، وكان حامل اللواء فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ، فأخذ اللواء ملك في صورته وفي رواية ، لما قتل أعطى النبي ﷺ الراية علياً رضي الله عنه ، فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم ، فلما ظهر وشاع اعطى النبي ﷺ الراية لعلي رضي الله عنه ، وكان الذي قتله عبد الله بن قمئة ـ بكسر الميم ـ لعنه الله وهو يظنه رسول الله ﷺ لأن مصعباً رضي الله عنه إذا لبس لامته يشبه النبي ﷺ ، فصاح ابن قمئة لظنه الخائب ان محمداً قد قتل .

روى ابن سعد : ان مصعباً رضي الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أي أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول : وما محمد إلا رسول . الآية . قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل قد قتل محمد ، وقيل إن الصارخ الذي قال قتل محمد ليس هو ابن قمئة بل إبليس لعنه الله ، وانه تصوّر في صورة جعال بن سراقة الضمري ، وكان رجلاً صالحاً ممن أسلم قديماً ، ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون واستمروا إلى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل . قال الحافظ ابن حجر : انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة فلما رجعوا حتى انقض القتال وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل ، فصارت غاية الواحد منهم أن يذبّ عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة ، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه ﷺ حي .

ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذي نطق

به الشيطان وهو على صورته وشهد خوّات بن جبير وأبـو بردة بان جعـالاً كان عنـدهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة : لما غاب النبي ﷺ عن أعين بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين :لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . وقال بعض منهم : لو كان نبياً ما قتل فارجعوا الى دينكم الأول . وفي ذلك أنزل الله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ﴾ الآيات . وقال رجل منهم لم يعرف اسمه : ليت لنا رسولاً الى عبد الله بن أبي ليستأمن لنا من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت . فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما : يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه ، وشهد له بهذه المقالة عند النبي ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذي تمكن الإيمان في قلوبهم . وروى ابن إسحق أن أنس ابن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجـال من المهاجـرين والأنصـار رضي الله عنهم ، فقال : إن كان قتل فيما تصنعون بالحياة بعد ، قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال أنس : ولقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أوّل قتال قاتلته المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم أني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد الجنة ورب النضر أني أجد ريحها دون أحد قال سعد : فما أستطيع أن أصف ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنه بالرمح ورمية بالسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته عرفته ببنانه ، وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وإنما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضي الله عنه . وممن قال مثل مقاله أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضي الله عنه ، فإنه قال : يا معشر الأنصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم .

فنهض اليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم . وثبت النبي ﷺ وقت رجوع المسلمين لم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذي وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين . قال ابن سعد : ما زال ﷺ يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وكان اقرب الناس الى القوم وجاء عن علي رضي الله عنه وغيره : كنا إذا اشتد البأس اي حمي القتال اتقينا برسول الله ﷺ أي فيجعلونه في وجه القوم ويكونون خلفه ﷺ وروى البيهقي عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه : فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبراً واحداً وأنه لفي وجه العدو وتفيء اليه طائفة من اصحابه مرة وتفترق مرة ، فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحازوا عنه . وروى أبو يعلي بسند حسن عن علي رضي الله عنه : قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى فلم أرَ رسول الله ﷺ فقلت : والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ولكن أرى ان الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم يقاتلهم ﷺ .

وروى الحاكم في المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن ألحق حتى القى رسول الله ﷺ ، فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقري حتى أتوا الجبل ففعل ذلك مراراً ولا أدري من هو ، ؛ وبيني وبينه المقداد ، فبينا أنا أريد ان اسأل المقداد عنه إذ قال المقداد يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك فقلت : وأين هو ؟ فأشار اليه فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى وأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدّد رميته وأجب دعوته . فكان سعد مجاب الدعوة . قال : حتى إذا فرغ النبل من كنانتي نثر ﷺ لي ما في كنانته وانكشف الناس عنه ﷺ وعن سعد رضي الله عنه قال : لقد رأيتني والنبي ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي ، حتى أنه ليناولني السهم ماله نصل فيقول : إرم به . وجاء ان سعداً رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم إلا ورسول الله ﷺ يقول : ارم فداك أبي وأمي

ففدّاه ذلك اليوم ألف مرة . وعن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ قال : فداك أبي وأمي إلا لسعد رضي الله عنه ، يعني يوم أحد . فلا ينافي أن النبي ﷺ قال مثل ذلك للزبير رضي الله عنه يوم الخندق كما سيأتي إن شاء الله . وكان ﷺ يفتخر بعد ويقول هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله أي لأن سعداً رضي الله عنه كان من بني زهر وكانت أم النبي ﷺ منهم وكان رضي الله عنه إذا غاب يقول النبي ﷺ : مالي لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضي الله عنه وثبت معه ﷺ أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضي الله عنهم وكذا علي رضي الله عنه .

قال في فتح الباري : فقد صحت الأحاديث بأن علياً رضي الله عنه ممن ثبت ، وبعض الرواة لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعده مصعب ، فلا يحتاج إلى أن يقال ثبت وسبعة من الأنصار وهم : أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير ، وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضي الله عنهم . وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع . وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافي الروايات ، لأن اختلاف الأحاديث لاختلاف الأحوال فانهم تفرقوا في القتال فلما ولي من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذبّ عن نفسه ، ثم عرفوا بقاءه ﷺ فتراجعوا اليه أولاً . ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به . وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعماراً وابن مسعود رضي الله عنهم . وفي بعض الرويات : لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الأنصار . ولعله في بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر .

وثبت انه ﷺ لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الي يا فلان إلى يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه ، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ وجاء إنه ﷺ قال يومئذ : أنا النبي لأكذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك . قال الحلبي : فليتأمل فان المحفوظ أنه ﷺ إنما قال ذلك يوم حنين وإن كان لا مانع من التعدد ، وممن ثبت معه ﷺ ابو طلحة زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس بن مالك رضي الله عن فانه استمر بين يدي النبي ﷺ يحوز عنه بحجفته وكان رجلاً رامياً شديد الرمي فنثر له النبي ﷺ كنانته

بين يديه وصار رضي الله عنه يقول : نفسي لنفسك فداء ، ووجهي لوجهك وقاء فلم يزل يرمي بها . وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبي ﷺ : انثرها لأبي طلحة ، وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله ﷺ يشرف أي ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له ابو طلحة : يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ، وتطاول أبو طلحة رضي الله عنه بصدره يقي رسول الله ﷺ ، وما زال النبي ﷺ يرمي عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفي القوس اللذين هما محل الوفر . وفي رواية : حتى تقطع الوتر وبقي في يده قطعة قدر شبر فأخذ القوس عكاشة بن محصن رضي الله عنه ليوتر له ، فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال : مدة يبلغ . قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثاً وكان ﷺ أقرب الناس الى القوم .

وممن كان مشهوراً بالرماية سهل بن حنيف رضي الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي ﷺ في هذا اليوم ، وكان بايع النبي ﷺ يومئذ على الموت فثبت معه ﷺ حتى انكشف الناس عنه ، وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ : انبلوا سهلاً أي أعطوا نبلاً ، وممن ثبت مع النبي ﷺ أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهي زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضي الله عنه قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى ، فانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال دونه وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة اليّ روى انه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابن قمئة يقول : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضي الله عنه ، فضربني هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدوّ الله كان عليه درعان .

وجاء في رواية : خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله ﷺ : بارك الله عليكم أهل بيت . فقالت له نسيبة رضي الله عنها . ادع الله أن نرافقك في الجنة . فقال : اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة . وعند ذلك قالت رضي الله عنها : ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا . وقال ﷺ في حقها : ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دوني ، وقد جرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحاً ما

بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضي الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة ، وكان ابنها عبد الله ابن زيد رضي الله عنه مشاركاً كالوحشي في قتل مسيلمة . فعنها رضي الله عنها قالت : قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولاً وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت : أقتلته . فقال : نعم فسجدت شكراً لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشي له بحربته ، وجاء انه شاركهما في ذلك أبو دجانة رضي الله عنه وأنزل الله يوم أحد على المؤمنين النعاس . قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه في صدره ، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قال تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أَمَنَةً نعاساً يغشي طائفة منكم ﴾ الآية .

وعن كعب بن عمرو والأنصاري رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمنة أي لأنه لا ينعس إلا من يأمن فما منهم أحد إلا غط غطيطاً حتى ان الحجف اي الدرق تتناطح ، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما شعر ، وتقدم في غزوة بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء أن النعاس في الصف من الايمان وفي الصلاة من الشيطان وأما الطائفة المنهزمة فانها تفرقت فرقاً فمنهم من ذهب الى المدينة لقيتهم أم أيمن رضي الله عنها ، فجعلت تحثوا التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك أي أعطني سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ، ويشكل على استقبال أم أيمن إياهم أنه جاء انها في الجيش تسقي الجرحى . فقد جاء أن حباب بن الفرقد رمى بسهم فأصاب أم أيمن وهي تسقي الجرحى فتكتشفت فاغرق عدو الله في الضحك . فشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع الى سعد سهماً لا نصل له وقال : إرم به فرمى به فوقع عدو الله مستلقياً حتى بدت عورته ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : استقاد لها سعد أجاب الله دعوته . وفي رواية : اللهم استجب دعاء سعد إذا دعاك فكان مجاب الدعوة ، وقد يقال لا منافة بين كون أم أيمن كانت في الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة ، لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة .

وممن قاتل دون رسول الله ﷺ ابو دجانة الأنصاري رضي الله عنه ؛ فقد جاء انه تترس دون رسول الله ﷺ أي جعل نفسه ترساً ، فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه

حتى كثر فيه النبل ، وممن قاتل دونهﷺ عمارة بن زياد بن السكن رضي الله عنه حتى أثبتته الجراحة أي اصابت مقاتله فقالﷺ : أدنو مني فوسده قدمه الشريف فمات رضي الله عنه وخده على قدمه الشريفﷺ .

وممن قاتل دون رسول اللهﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول اللهﷺ كما مر ، فرجع الى المشركين فقال : قتلت محمداً كما تقدم وقيل : ان القاتل لمعصب بن عمير بن خلف الجمعي اخو أمية بن خلف المقتول ببدر الذي كان يعذب بلالاً رضي الله عنه . يروى أنه أقبل أبي بن خلف يوم أحد نحو النبيﷺ وهو يقول : أين محمد لا نجوت إن نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتل مصعباً فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول اللهﷺ أن يخلوا طريقه ، فأقبل وهو يقول : يا كذاب اين تفر ، فتناول النبيﷺ الحربة من الحرث بن الصمة والزبير بن العوام رضي الله عنه ، فرماه النبيﷺ بها فأصابت عنقه وخدشته خدشاً غير كبير واحتقن الدم أي لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلني والله محمد ، فقالوا له : ذهب والله فؤادك وفي رواية :عقلك إنا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمي بها فما بك والله من بأس ما أجزعك إنما هو خدش ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره فقال : واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز أي السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة . وفي رواية : لو كان بربيعة ومضر . وفي رواية : لو كان بأهل الأرض لماتوا أجمعون إنه قال لي بمكة أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني أي فضلاً عن هذه الضربة ، وكان أبي يقول بمكة للنبيﷺ : يا محمد إن عندي العود يعني فرساً له أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها والفرق ـ بفتح الراء مكيال معروف يسع اثني عشر مداً فيقول له رسول اللهﷺ : أنا أقتلك إن شاء الله ، فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفىﷺ .

وعن سعيد بن المسيب أن أبي بن خلف قال حين افتدى ببدر من الأسر : والله إنّ عندي لفرساً أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتل عليها محمداً فبلغت رسول اللهﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى . ويمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبي لعنه الله ومن النبيﷺ .
وفي رواية : أبصرﷺ ترقوتة من فرجة من سابغة الدرع وهي ما يغطي العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعاً من أضلاعه . وفي رواية : طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مراراً وجعل يخور كما يخور الثور ، إذا ذبح ، وأنهﷺ حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ، ثم استقبله فطعنه في عنقه ولا منافة لان الترقوة في

أصل العنق ولا مخالفة أيضاً بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة. وناهيك بعزمه ﷺ لأن كون الطعنة خدشه إنما هو بحسب ما يظهر للرائي وإلا فالطعنة شديدة في الباطن وذلك أقوى في النكاية ليكون من المعجزات أيضاً . ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مراراً عن الفرس ، وكونه خار كالثور الذي يذبح الطعن في العنق يفضي الى كسر الضلع من خوارق العادة .

وجاء في رواية : أنه ضربه تحت إبطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه ، وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل ﷺ بيده الشريفة أحداً إلا أُبيّ بن خلف لا قبل ولا بعد . ثم مات عدوّ الله وهم راجعون إلى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف . وقيل : مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إني لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل وإذا نار تأجج لي فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فناداني : يا عبد الله فلا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال : اسقني ، فأردت أن أفعل وإذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول : لا تسقه هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبيّ بن خلف لعنه الله ، رواه البيهقي . ويدل لهذا ما جاء في الحديث : كل من قتله نبي أو قتل بأمر نبي في زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ في الصور ، وجاء اشد الناس عذاباً من قتله نبي .

وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقاً لأصحاب السعير أي لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله ، فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص إلا أمر عظيم ورسول الله ﷺ أكملهم لطفاً ورفقاً وشفقة على عباد الله . وتقدّم ان ابن عمر رضي الله عنهما مرَّ ببدر وإذا رجل يعذب ويئنّ فناداه : يا عبد الله . قال : فالتفت اليه فقال : اسقني ، فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه : لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قتلهم اصحابه ، رواه الطبراني في الاوسط ولا بعد في تعدد الواقعة بل في الخصائص الكبرى للجلال السيوطي ما يدل على التعدد ، وذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذي رآه ببدر للنبي ﷺ فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه إلى يوم القيامة . وقد حفر أبو عامر الفاسق الذي كان مع المشركين كما تقدم حفراً في موضع المعركة وزعم أن ذلك من مكايد الحرب فوقع النبي ﷺ في حفرة منها فأغمي عليه ﷺ وجحشت اي خدشت ركبتاه ،

فأخذ علي رضي الله عنه بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائماً ، وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف ، إلا أن ثقل السيف أثر في عاتقه . فشكا ﷺ منه شهراً أو أكثر وقذف ﷺ بالحجارة حتى وقع لشقه ، ورماه عتبة بن ابي وقاص أخو سعد بن ابي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وشق شفته السفلى ودعا عليه ﷺ ، فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه ، كما رواه الحاكم في المستدرك قال : قال حاطب رضي الله عنه ، لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله ﷺ قلت لرسول الله ﷺ : أين توجه عتبة ؟ فأشار إلى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي رضي الله عنك .

وأما ما ذكره ابن منده من انه أسلم واستند لقول أخيه سعد في ابن أمة زمعة عهد إلى أخي عتبة انه ولده فليس فيه ما يدل على إسلامه لاحتمال أن يكون عهد إليه وهو في كفره ، بأن أمة زمعة حملت منه ، وقد شدد أبو نعيم في الإنكار على ابن منده في ذكره في الصحابة ، واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه ﷺ دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه ، فقال : اللهم لا تحوّل عليه الحول حتى يموت كافراً . فما حال الحول حتى مات كافراً إلى النار . قال الحافظ ابن حجر أن ذكره في الصحابة غلط وليس في الآثار ما يدل على إسلامه بل فيها ما يصرّح بموته على الكفر ، فلا معنى لايراده في الصحابة أ هـ .

وروى ابن اسحق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة حين صنع برسول الله ما صنع ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله ، وصح أنه لم يولد من نسل عتبة ولد فيبلغ الحلم إلا وهو أبخر أي منتن الفم ، أهتم أي مكسور الثنايا ، يعرف ذلك في عقبه . وجاء ان الذي جرح وجهه الشريف ﷺ عبد الله بن قمئة وفي رواية : عبد الله بن شهاب الزهري جدّ الإمام الزهري من قبل أبيه شهد أحداً مع الكفار ثم أسلم رضي الله عنه ، وهو الذي شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهي ما ارتفع من لحم خدّه ، فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته ﷺ وهشمت البيضة على رأسه أي كسرت وسال الدم على وجهه ، ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً .

وفي الصحيح عن قيس قال : رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبي ﷺ يوم

أحد ، وجاء أن طلحة رضي الله عنه جرح يوم أحد تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشل اصبعاه اي السبابة والتي تليها ، وكان ابو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة . وروى النسائي والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال : أدرك المشركون رسول الله ﷺ فقال : من للقوم ؟ فقال طلحة : أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من الأنصار قال : ثم قاتل طلحة قتالاً شديداً حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن . فقال ﷺ : لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جوّ السماء . وانتزع ابو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا في وجنته ﷺ وعضّ عليهما حتى سقطت ثنيتاه ، فكان ساقط الثنيتين . قال بعضهم : ولما سقط مقدم أسنان ابي عبيدة صار أهتم ، ولم يرقط أهتم أحسن من أبي عبيدة لأن ذلك الهتم حسن فمه وقيل : إن عقبة بن وهب بن كلدة هو الذي نزع الحلقتين من وجنته ﷺ وقيل : أنه أبو بكر رضي الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الدم من وجنته ﷺ ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام : من مس دمه دمي لم تصبه النار . وفي رواية : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا وأشار اليه فاستشهد في هذه الغزوة رضي الله عنه .

وفي رواية : من سره أن ينظر إلى من لا تمسه النار فلينظر إلى مالك بن سنان . ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ قال : خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله ﷺ : أقماك الله وهو يمسح الدم عن وجهه ، فسلط الله على ابن قمئة تيساً جبلياً فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة في نكاله وخزيه ووباله وجعل ﷺ يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ قال الاوزاعي : بلغنا أنه لما جرح ﷺ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على الأرض ويقول : لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء . ثم قال : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . فاعتذر عنهم ، وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه . وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر أن يُشرَك به ﴾ ولا قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ وعن معمر بن راشد عن الزهري قال : ضرب وجه النبي ﷺ يوم أحد

بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها ، فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة . فان قيل : كيف شجّ وجهه ﷺ وكسرت رباعيته ؟ والله تعالى يقول : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ أجيب : بأن هذه الآية نزلت بعد ، وعلى تسليم أنها نزلت قبل ، فالمراد عصمته من القتل .

قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى لا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له . وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ فانه لم يتفق لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ما اتفق له ﷺ في كثرة طائعي أمة أجابته ، ولا في كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة ، وكان أوّل من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الشيطان ، قتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك الانصاري رضي الله عنه ، وهو أحد الثلاثة المذكورين في قوله تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ الخ . قال : عرفت عينيه ﷺ تزهران اي تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك في أنه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فعرفناه بكتفيه إذا مشى ففرحنا ، حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وجماعة آخرون . وفي خصائص العشرة أن الزبير رضي الله عنه ثبت يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعه على الموت . وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله ﷺ إلا علي بن أبي طالب فممنوع بل ثبت مع علي رضي الله عنه غيره كما تقدم . وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصداً رسول الله ﷺ وهو متوجه للشعب وهو يقول : لا نجوت إن نجا فوقف رسول الله ﷺ فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق ، فمشى اليه الحرث ابن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه ، وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد بن أبي جابر العامري يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله اصحابه ووثب ابو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله ﷺ . ثم أراد ﷺ أن يعلو الصخرة التي في الشعب ، فلما ذهب لينهض لم يستطع لأنه ﷺ ضعف لكثرة ما

خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ : أوجب طلحة اي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع . وقد قيل : إن طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف أي لعرج كان به ، فلما حمل النبي ﷺ تكلف استقامة المشي لئلا يشقّ عليه ﷺ . فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبي ﷺ عطشاً شديداً وقد جاء علي رضي الله عنه بماء في درقته ليغسل به جرح النبي ﷺ فلم يشرب ﷺ من ذلك لتغير وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء ، فلم يجد ثم ذهب إلى موضع بعيد فأتى بماء عذب ، فشرب رسول الله ﷺ ودعا له بخير . وجاء أن نساء المدينة خرجن ومعهنّ فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ ، فلما لقيت رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته ، وعلي يسكب الماء فيتزايد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار حتى صار رماداً فأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم . وبينا رسول الله ﷺ في الشعب مع بعض اصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنهم لا ينبغي لهم أن يعلونا ، اللهم لا قوّة لنا إلا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين رضي الله عنهم ، حتى هبطوا من الجبل ، ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تهنوا او لا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ﴾ .

وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه أرددهم . قال سعد : فأخذت سهماً من كنانتي فرميت به رجلاً منهم فقتلته ثم أخذت سهماً فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ، ثم أخذت سهماً فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ، ثم أخذت سهماً فاذا هو سهمي الذي رميت به ، فرميت به آخر فقتلته ، فهبطوا من مكانهم فقلت : هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعد سعد عند نبيه . وجاء في رواية عن سعد رضي الله عنه قال : لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد ، فيرده عليّ رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت أنه ملك وصلى ﷺ ظهر ذلك اليوم ، وهو جالس من الجراح التي أصابته ﷺ وصلى المسلمون خلفه قعوداً ، ثم نسخ وقيل : إن الذين صلو قعوداً هم الذين أصابتهم الجراح . قد جاء انه وجد بطلحة رضي الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية ، وقطعت اصبعه . وفي رواية : أنامله . وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم

قال : رأيت يد طلحة بن عبيد الله التي وقى بها رسول الله ﷺ شلاء ونزف الدم بطلحة رضي الله عنه حتى غشي عليه . فجاءه أبو بكر رضي الله عنه ونضح الماء في وجهه حتى أفاق فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه : هو بخير وهو أرسلني . فقال : الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أي قليلة ، وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وجرح عشرين جراحة فأكثر . وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل الأصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الإسلام على قومه بني عبد الأشهل . فلما كان يوم خروج النبي ﷺ إلى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له الإسلام أي رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل في عرض الناس أي جانبهم ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة .

فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا : والله إن هذا الاصيرم فسألوه : ما جاء بك مناصرة لقومك ام رغبة في الاسلام ؟ فقال : بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله ، ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث ان مات في ايديهم . فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : حدثوني برجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم وقتل حنظلة رضي الله عنه وهو ابن أبي عامر الراهب الذي سماه النبي ﷺ الفاسق . ويقال لأبي عامر بن صيفي ، وتقدم أن أبا عامر خرج من المدينة مباعداً للنبي ﷺ ، ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبي ﷺ فاستأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه ، فنهاه ﷺ وقد دعا ﷺ على أبي عامر أن يموت طريداً وحيداً ، فأستجاب الله دعوته فخرج الى الشام بعد فتح مكة فمات وحيداً طريداً ، قال السبكي في تائيته :

ومات ابن صيفي على الصفة التي ذكرت وحيداً بعد طرد وغربة

وسبب قتل أبنه حنظلة رضي الله عنه أنه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الأوس وهو غلطوالصواب شداد بن الأسود فحمل عليه فقتله فقال ﷺ : إن صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة . وفي رواية : رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف الفضة ، فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ، وكانت من المؤمنات

الصادقات فقالت : خرج جنباً فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروساً تلك الليلة التي صبيحتها وقعة أحد ، وكان استأذن رسول الله ﷺ في الدخول بها ، فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ ، فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله ﷺ بالخروج إلى العدو ، فعجل عن الغسل إجابة للداعي . وفي رواية : إنها قالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدوّ . وفي رواية : أنه غسل أحد شقيه ، ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر ، فلذلك غسلته الملائكة . وجاء انه التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقاً لقوله ﷺ . وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت . وجاء أنها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بأنه دخل بها خشية أن يحصل له موت ، فيكون في ذلك نزاع . قالت : لأني رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة . وعبد الله هذا هو الذي ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية ، وكان ذلك سبباً لوقعة الحرة .

ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق ، وقد جاء أن أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد أن يمثل بقتلاهم : فقال له النبي ﷺ أن قريشاً أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبّه الله على فيه . وعساك إن طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى .

فقال ابو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله . فقال : صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم . وجاء ان النبي ﷺ أراد أن يدعو عليهم أي يكرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافي أنه قد دعا عليهم في بعض الأوقات فأنزل الله : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال : لئن ظفرت بهم لأمثلن بأربعين منهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ فقال : إصبر واحتسب . وأقبل رجل من المشركين مقنعاً بالحديد يقول : انا ابن عوف فتلقاه رشيد الأنصاري الفارسي فضربة على عاتقه فقطع الدرع فقال : خذها ، وأنا الغلام الفارسي ورسول الله ﷺ يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله ﷺ : هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري ؟ وكان قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدوا كأنه كلب وهو يقول : أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق

رأسه فقال : خذها وأنا الغلام الأنصاري . فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أحسنت يا أبا عبد الله ، وكان يومئذ لا ولد له ، وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسود يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد . فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له : قد عذرك الله . فأتى رسول الله ﷺ وقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك فوالله إني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك . وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج ونوجه إلى القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائباً إلى أهلي فقتل . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبرّه منهم عمرو بن الجموح ، ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته .

وفي رواية : أنه قال : يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى اقتل المشي برجلي هذه صحيحة في الجنة فقال له ﷺ : كأني أنظر اليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة . ويمكن الجمع بأنه في أوّل دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة .

واصيبت يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الأوسي رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل : صارت في يده فأتى بها رسول الله ﷺ فقال له : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً فقال : يا رسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلي يحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردنني ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فقال : آفعل يا قتادة وفي رواية : وأن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني أن تقذرني ، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسه جمالاً . وعند الطبراني عن قتادة رضي الله عنه قال : كنت أتقي السهام بوجهي دون وجهه ﷺ فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردها الي موضعها . وقال : اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدّهما أي أقواهما نظراً ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وفي رواية : أصيبت عيناي وهو من تصرف الرواة ، بل قال الدارقطني : ان هذه الرواية تفرد بها عمار ابن نصر . قال النووي : وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة . وروى الأصمعي عن أبي معشر قال : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال : ممن الرجل فقال :

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردّت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأول امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فقال عمر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاد أبعد أبوالا

وفي رواية فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبو رهم الغفاري واسمه كلثوم بن الحصين ابن خالد بسهم فوقع في نحره فبصق عليه ﷺ فبرىء ، وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه ﷺ عرجون نخلة فعاد في يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضي الله عنه ، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي فقتل علي رضي الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ، ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بن الرشيد في بغداد بمائتي دينار . وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر : ألا إن سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون . واشتغل المشركون ذكوراً وإناثاً بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ وأشراف أصحابه .

وجاء وحشي بعد ان مات حمزة رضي الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به إلى هند بنت عتبة وقال لها : هذا كبد حمزة قاتل أبيك ، فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة . وجاء في رواية : أن النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد . وكانت هند نذرت أن تأكل من قلب حمزة رضي الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج لها وحشي فلذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها . ولما أراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته وقال : انعمت فعال إن الحرب سجال حنظلة بحنظلة ، يوم أحد بيوم بدر أعل هبل . وسبب قوله ذلك أنه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا وأجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال اعل هبل أي زد علواً فقال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه : أجبه فقل : الله أعلى وأجل . وقوله انعمت فعال ـ بسكون التاء ـ أي اجابت بنعم في فعلها البالغ ففعال معدول

عن فاعله صيغة مبالغة يعني بالغت هذه الفعلة أي الوقعة . ثم قال له عمر رضي الله عنه : لا سواء اي لا نستوي نحن وانتم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . فقال ابو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقالﷺ : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أي لا ناصر لكم . قال ابن اسحق : وعلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه بكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي عليّ عمري حتى ترم اعظمي في قبري

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عياد بن المطلب المطالبية اخت مسطح بن اثاثة فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شيب وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقاني ، قال الحافظ ابو الربيع في الاكتفاء : هذا قول هند والكفر يخنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها . ثم ان الله هداها للإسلام وعبادة الله ، وترك الاصنام واخذ يحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الإسلام فصلحت حالها ، وتبدلت أقوالها ، حتى قالت لهﷺ : والله يا رسول الله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إليّ أن بذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب إليّ أن يعزوا من أهل خبائك . وكان إسلامها وإسلام زوجها أبي سفيان عام الفتح . وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبيﷺ فقال له : إن شئت يرجعها الله إليك أحسن مما كانت وإن شئت عيناً خيراً منها في الجنة فرمى بها وقال : خيرا منها في الجنة . وشهد غزوة اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول : الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ، ثم قلعت عينه الأخرى . وتوفي بالمدينة سنة إحدى أو

أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه وكان أبو سفيان رضي الله عنه في أوّل دخوله في الإسلام مكرهاً فتألفه النبيﷺ حتى شرح الله صدره للهدى وحَسُنَ إسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة . وقال له العباس رضي الله عنه بعد اسلامه : أين قولك : أنعمت فعال وقولك اعل هبل ؟ فقال للعباس : قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للإسلام . فإياك ان تصغي إلى طعن الطاعنين فيه أو في أحد من أصحاب النبيﷺ . وقد قالﷺ الله الله في أصحابي وأصهاري وهو من أصهاره .

وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد ، وكانا من أشد الناس على المسلمين ، ثم أسلما وحسن إسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفاً من سيوف الله صبه الله على المشركين ، وصار عكرمة إذا فتح المصحف يصيح ويقول : هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه ، فالحمد لله الذي هدانا برسوله أجمعين وقال ابو سفيان يوم أحد : الحرب سجال . وفي رواية : يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر . وقد قال تعالى : ﴿ إن يمسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ثم قال ابو سفيان : انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني . وفي رواية : والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني .

ويروى ان الحليس سيد الاحابيش مر بأبي سفيان وهو يضرب بزج الرمح في شدق حمزة ويقول : ذق عقق اي ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذي كنت عليه يا عاق قومه جعل إسلامه عقوقاً . فقال الحليس : يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون . فقال ابو سفيان : اكتمها عني فانها زلة ثم بعد إجابة عمر لأبي سفيان . قال له ابو سفيان : هلم يا عمر فقال له رسول اللهﷺ : ائته فانظر ما شأنه فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال عمر اللهم لأوانه ليسمع كلامك الآن قال : إنك عندي أصدق من ابن قمئة وأبرّ أي لأن ابن قمئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبيﷺ فقال لهم : قتلت محمداً كما تقدم . وفي رواية أن أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى : أفي القوم محمد ثلاثاً فنهاهم ﷺ أن يجيبوه ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثاً ثم قال : أفي القوم عمر بن الخطاب ، ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم إذ لو كانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إن الذي عودت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك ما يسوءك . ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم

بدر العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل . ثم ارتحل القوم وساروا وبعث رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه فقال له : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ؟ فان كانوا قد جنبوا الخيل اي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الإبل أي ركبوا مطاها أي ظهورها فانهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فانهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرنّ اليهم فيها ثم لأناجزهم .
قال علي أو سعد بن أبي وقاص : فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل وتوجهوا إلى مكة بعدما تشاوروا في نهب المدينة ، فاشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا فإنكم لا تدرون ما يغشاهم .

ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الأموات ؟ : أي لأن النبي ﷺ رأى الأسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الأنصار وهو أبي بن كعب رضي الله عنه : أنا أنظره لك يا رسول الله ، فقال له : ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه مني السلام وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ كيف يجدك ؟ فنظر أبي فوجده جريحاً وبه رمق اي بقية روح فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الاموات ؟ فقال : قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وقد انفذت إلى مقاتلي ، فأبلغ رسول الله صل ﷺ عني السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيراً ما جزى الله نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم أي يصل اليه شيء من الأذى وفيكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره وفي رواية : اقرأ على قومي السلام وقل لهم : يقول لكم سعد بن الربيع : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فوالله مالكم عند الله عذر فقال رسول الله ﷺ : رحمه الله نصح لله ولرسوله حياً وميتاً .

ثم خرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل : رأيته بتلك الصخرات وهو يقول : أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر يعني أبا سفيان واصحابه ، واعتذر اليك مما صنع هؤلاء اي بانهزامهم فجاء رسول الله ﷺ نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به ، فجدع أنفه وقطعت أذناه ومذاكيره فنظر ﷺ إلى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه

وقال : أصاب بمثلك ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا .

وقال : رحمة الله عليك فقد كنت فعولاً للخيرات وصولاً للرحم ، أما والله لأمثلن بسبعين منهم . ولما رأى المسلمون جزع رسول الله ﷺ على عمه قالوا : لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنّ بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب ، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبروا وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ فصبر رسول الله ﷺ ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفي كلام بعضهم : أن هذه الآية مكية . قال الحلبي : يجوز أن تكون مما تكرر نزوله .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه ، فانه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشي وقال : يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله ، يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذابّ عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فيقال هذا من الندب المحرم هو تعديد محاسن الميت لأن ذلك مخصوص بما إذا قارنه البكاء وليس من نعي الجاهلية المكروه ، وهو النداء بذكر محاسن الميت لأن محل كراهته إذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفاً لنحو صالح على سلوك طريقته وقال ﷺ : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

وأمر رسول الله ﷺ الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها : يا أمة الله إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي فدفعت في صدره وقالت له : لم وقد بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضاني بما كان في الله من ذلك أي أنا أشد رضا بذلك من غيري لأحتسبنّ ولأصبرن ان شاء الله تعالى .

فجاء الزبير فاخبر النبي ﷺ بذلك فقال : خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له . وفي رواية : أن صفية لقيت علياً و الزبير رضي الله عنهما فقالت لهما : ما فعل حمزة فأرياها انهما لا يدريان أي رحمة بها فجاءت النبي ﷺ فقال : إني أخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته . وفي رواية : أنها لما منعها علي والزبير رضي الله عنهما قالت : لا أرجع حتى أرى رسول الله ﷺ . فلما

رأته قالت : يا رسول الله أين ابن أمي حمزة قالﷺ : هو في الناس . قالت : لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يمنعها فقال رسول الله ﷺ : دعها . فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول اللهﷺ .

ثم أمر به فسجي ببرده وفي رواية ، قال : ألا كفن فرمى رجل من الأنصار بثوبه عليه ثم قام آخر ورمى بثوبه عليه فقال : يا جابر هذا الثوب لأبيك وهذا لعمي . وفي رواية : جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الأنصار ولعله والد جابر رضي الله عنه وفي رواية : كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الإذخر . وفي رواية . الحرمل . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قتل مصعب ابن عمير يوم أحد وكفن في بردين غطى بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه بدا رأسه . وفي رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك إلا نمرة إذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول اللهﷺ : غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر ، وكان مصعب بن عمير قبل الإسلام فتى مكة شباباً وجمالاً ولباساً وعطراً فلما أسلم رضي الله عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يوماً صائماً فجيء له بطعامه فقال : قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه ، وقد بسطلنا من الدنيا ما بسطوأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام انس رضي الله عنه . قال : قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في القبر الواحد .

وقال ﷺ في حق حمزة : لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أي يتطاول جزعهن وفي رواية : لولا تجد صفية في نفسها ويكون سنة من بعدي لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع . وفي رواية : حتى تأكله العافة ويحشر في بطونها لشدة غضب الله على من فعل به ذلك . ثم صلي عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة رضي الله عنه واحداً بعد واحد فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة . ثم يرفع ، ويؤتى بآخر فصلي عليهم وعليه حتى صلى عليه إثنين وسبعين صلاة ولم يغسلهم . وفي رواية : ولم يصلّ عليهم وهذا هو الذي في صحيح البخاري ولفظه أمر النبيﷺ بدفن شهداء أحد ولم يصلّ عليهم ولم يغسلوا ، وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو ان

الصلاة بمعنى الدعاء . وحملوا على ذلك أيضاً حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للأحياء والأموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك .

قال السهيلي : لم يروعن رسول الله ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في أحد ، وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الأئمة بعده نعم جاء أن حنظلة كان جنباً فغسلته الملائكة كما تقدم .

وممن مثل به عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد بيوم : اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه فيقتلني ثم يجدع أنفي ويقطع أذني فاذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت ، وهذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه لأن المنهى عنه أن يكون ذلك لضرر نزل به ، وتقدم ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة فصار سيفاً في يده ، وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد ، وإنما كان حمزة خاله لأن أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي ، أبو الحكم هذا قتل كافراً في ذلك اليوم أعني يوم أحد قتله علي رضي الله عنه كما تقدم .

وقال ﷺ : ادفنوا عبد الله بن عمرو وهو وعمرو ابن الجموح في قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمر ، وهذا هو والد جابر رضي الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجاً بعمة جابر أخت عبد الله بن عمرو ، وجاء ان عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنه أصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده إلى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو وهذا وهو أيضاً قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كانما ماتا بالأمس فأزيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : استصرخنا إلى قتلانا بأحد وذلك حين أجرى معاوية رضي الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم ، فأتيناهم فاخرجناهم طرايا تنثني أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة ، وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث الدم وذكر انه فاح من قبورهم مثل المسك وفي لفظ : على رأس خمسين سنة مع ان أرض

المدينة سبحة بتغير الميت في قبره من ليلة ، وإنما لم يتغيروا لأن الأرض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وزاد قارىء القرآن والعالم العامل ومحتسب الأذان ، ويدل له حديث الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره اي كشهيد المعركة لا يأكله الدود . وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي فقال :

لم تأكل الأرض جسماً للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارىء قرآن ومحتسب اذ انه لإله مجري الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لأنه كان ابن عمه . وذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحاً فمرَّ صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال : الآن شفيت نفسي حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد ، قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل ، وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضي الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادي رسول الله ﷺ يقول ردوا القتلى إلى مضاجعهم . فأدرك المنادى واحداً لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه .

وجاء أنه ﷺ قال في قتلى أحد : أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه ، اللون لون الدم والريح ريح المسك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا أي يمتنعوا عن الحرب فقال الله : أنا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ وقال النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه : ان الله كلم أباك كفاحاً فقال : سلني أعطك فقال : أن أردّ إلى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل : انه [illegible] إنهم لا يرجعون إلى الدنيا قال : أي رب فأبلغ من ورائي فانزل الله :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ الآية . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما قتل ابي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل اصحاب النبي ﷺ ينهونني والنبي ﷺ لم ينه وقال : تبكيه أولا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضي الله عنه لم يحضر القتال إنما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضي الله عنه قال : أصيب أبي يوم أحد فمرَّ بي النبي ﷺ وأنا أبكي فقال : أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ؟ ومر رسول الله ﷺ بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد ، فلما نعوا لها أي بلغها خبر موتهم قالت : ما فعل رسول الله ﷺ أي ما فعل به ؟ قالوا خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبيرة فهو من اضداد ، وبعلم المراد بالقرينة . وفي رواية : انها مرت بأخيها وزوجها وابنها وابيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت : من هذا ؟ قيل لها : أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكترث ، بل صارت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت بمن عطب . واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا : قال مجاهد : حضرت الملائكة ولم تقاتل ، وما قاتلت إلا يوم بدر . ولكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيناهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل . قال البيهقي لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم أُحد عن القوم فلا ينافي انهم قاتلوا عنه ﷺ خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضي الله عنه قال : سألني رسول الله ﷺ وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت : رأيته في جنب الجبل فقال : الملائكة تقاتل معه . قال الحرث : فرجعت الى عبد الرحمن فإذا بين يديه سبعة صرعى فقلت : ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت ؟ فقال : اما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله ﷺ . قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا تنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم . وتقدم أنه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب ، وجاء أنه لما تصوّر الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله ﷺ يقول : تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك وقال : لست بمصعب . فعرف رسول الله ﷺ انه ملك . وفي رواية : أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول

الله ﷺ يقول : اقدم مصعب قال يا رسول الله ألم يقتل مصعب ؟ قال : بلى ، ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه ، وتقدم ان النبي ﷺ أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه . وجاء في رواية : ابو الروم ويجمع بين الأحاديث باحتمال أن يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن .

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون وحوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن بأصل أحد ، وقال : اصطفوا حتى اثني على ربي عز وجل . فاصطف الرجال خلفه صفوفاً وخلفهم النساء فقال : اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن اضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت . ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما أبعدت ، ولا مبعد لما قربت الحديث . ثم توجه ﷺ إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها بنت عمته ﷺ أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله ﷺ : احتسبي فقالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة قالت : إنا لله وإنا اليه راجعون غفر الله له هنيئاً له الشهادة : ثم قال لها : احتسبي . قالت : من يا رسول الله ؟ قال : أخاك عبد الله بن جحش قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون هنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها : احتسبي . قالت : من يا رسول الله ؟ قال : زوجك مصعب بن عمير فقالت : واحزناه ، وصاحت وولولت . فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة لبمكان ما هو لأحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها . ثم قال لها : لم قلت هذا ؟ قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها أن يحنن الله عليهم الخلق ، فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة .

وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله ﷺ فقال له سعد : يا رسول الله أمي فقال ﷺ : مرحباً بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ فقالت : أما إذا رأيتك سالماً فقد اشويت المصيبة اي استقللتها . ودعا رسول الله ﷺ لمن قتل باحد بعد أن قال لأم سعد : يا أم سعد أبشري وبشّري أهلهم إن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شفعوا في أهليهم . قالت : رضينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا ! ثم قالت : يا رسول الله ادع الله لمن خلفوا . فقال : اللهم أذهب

حزن قلوبهم وأجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا .

وسمع ﷺ نساء الأنصار يبكين على أزواجهنّ وأبنائهن وإخوانهن فقال حمزة : لا بواكي له وبكى ﷺ ولعله لم يكن لحمزة رضي الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فأمر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة بين المغرب والعشاء ، وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن إلى بيت رسول الله ﷺ يبكين حمزة . ولما وصل رسول الله ﷺ المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذّن بلال لصلاة المغرب ، فخرج رسول الله ﷺ على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ﷺ المغرب .

فلما رجع من صلاة المغرب إلى بيته سمع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن يرجع النساء إلى بيوتهن وفي رواية : خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وأن بلالاً أذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ ، فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافات لاحتمال أن يكون الأمر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتي رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة اخرى فقال لهن : ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الأنصار ، فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الأنصار بعد ذلك لا تبكي على ميتها الا ابتدأت بحمزة رضي الله عنه أي بكت عليه ثم بكت على ميتها ، وباتت وجو الأوس والخزرج تلك الليلة على بابه ﷺ بالمسجد يحرسونه خوفاً من قريش أن تعود إلى المدينة . وجاء انه ﷺ نهى نساء الأنصار عن النوح فقال له الأنصار : بلغنا يا رسول الله أنك نهيت عن النوح وإنما هو شيء تندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه . فقال ﷺ : إن فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعراً ولا يشققن جيباً .

وجملة القتلى من المسلمين يوم أحد سبعون : أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان ، وقيل ثمانون : أربعة وسبعون من الأنصار وستة من المهاجرين . قال الحافظ ابن حجر : لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمر وحليف بني عبد شمس . والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر . فانه جاء أن حمزة وحده قتل أحداً وثلاثين ، فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أو دفنوهم ، ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا

الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا : ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وقالوا : لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في قتل هؤلاء المنافقين فقال : أليسوا يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله واني رسول الله ؟ فقال : بلى ولكن تعوذا من السيف ، وقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم فقال ﷺ : نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة . فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير . وكان من عادة عبد الله ابن أبي بن سلول انه إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر قام فقال : يا أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعززوه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك ، فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له : اجلس يا عدوّ الله لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني إنما قلت شراً . وقال له بعض الأنصار : ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران في قوله : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبي ﷺ وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة . بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ .

ومن الحكم في ذلك ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلي ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى : ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ ولو انغلبوا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً ومستوراً عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهر ومن الفعل والقول ، كانخذالهم وقولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه ويتكلمون به فيما بينهم ويخفونه عن المسلمين مصرحاً

به . وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدّوا لهم وتحرزوا منهم . ومن الحكم في ذلك أيضاً أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها وتكبرها وتعاظمها . فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ، ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ، قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ قال ابن اسحق : أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدقكم في الايمان بي والصبر على ما أصابكم أي أعاملكم معاملة المبتلي المختبر ليظهر علمي لكم ويكون ما أظهره مطابقاً لما ، بق في علمي .

ومنها ان الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقهم الله اليها إكراماً لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل بقاء العدوّ كما قال تعالى : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن يمسكم قرْح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ وقد قالﷺ : والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب نفوسهم ان يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيي ، ثم أقتل ثم أحيي ، ثم اقتل ثم احيي ثم أقتل ، ومنها ان الله أراد إهلاك اعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا أنهم على شيء من ظفرهم الصوري بالمسلمين فزاد عتواً وتجبيراً وطغياناً في إيذاء أوليائه . ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق لذلك الكافرين كما قال تعالى : ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا الكافرين ﴾ أي يهلك الكافرين الذي حاربوا يوم أحد ولم يسلموا ، والمعنى إنْ كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم . ومنها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآم والأسقام تعظيماً لأجورهم تأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره . قال تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه وبيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا

واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

قال ابن اسحق : أنزل الله في شأن أحد ستين آية من آل عمران . وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها . ﴿ واذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم .

غزوة حمراء الأسد

بفتح الحاء والمدّ مضافة إلى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحُلَيْفة وكانت صبيحة أحد إذ وقعة أحد يوم السبت ، والغزوة المذكورة يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة . وكانت لطلب العدوّ الذين كانوا بالأمس . قال الوافدي : باتت وجوه الأنصار على بابه ﷺ خوفاً من كثرة العدوّ ، فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمر والمزني فاخبر النبي ﷺ أنه قد أقبل من عند أهله بملل بميم ولامين اسم موضع قرب المدينة إذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون : ما صنعتم شيئاً أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم قد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول : لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم ، فاني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم . فقال ﷺ : أرشدهم صفوان وما كان برشيد ، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب . ودعا ﷺ ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا : يا رسول الله اطلب العدوّ لا يقتحمون على الذرية أي يدخلون ، فلما صلى الصبح تدب الناس واذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج أي أمر بلالاً أن ينادي أن رسول الله ﷺ يامركم بطلب العدوّ وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس يعني من شهد أحداً وأراد بذلك إظهار الشدّة للعدوّ فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ في الايمان وحب النبي ﷺ ، وأراد أيضا الزيادة في تعظيم من شهد أحداً ، وأيضاً خاف اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهراً فلا يمكنه منعهم .

وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أنصرف المشركون عنه ﷺ خاف ان يرجعوا فقال : من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم ابو بكر والزبير .زاد الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعليٌّ وعمار

وطلحة وسعد وابن عوف وابو عبيدة وحذيفة وابن مسعـود . قال الحافـظ ابـن كثـير : والمشهور عند أهل المغازي أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانـوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون . قال العلامة الشامي في سيرته : والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وإنما خرج ﷺ مرهباً للمشركين ، لما بلغه انهم يريدون العـود فخرج لإرهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوّة ، وأن الذي أصابهـم لم يوهنهم عن عدوّهم ولم يشتغلوا بدواء جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة .

وذكر ابن سعد : أنه ﷺ ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد ولهم زجل ويأتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى ﷺ بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج ، حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما .

وروى النسائي والطبراني بسنـد صحيح عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا : لا محمـدا قتلتـم ولا الكواعـب أردفتـم بئسما صنعتـم ارجعوا ، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة فأنزل الله عز وجل : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ وخرج ﷺ وهو مجروح وفي وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ، ولقيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له : يا طلحة أين سلاحك ؟ فقال : قريب ، فذهب وأتى به ، وبه بضع وسبعون جراحة منها بصـدره فقال له النبي ﷺ : يا طلحة أين تظنّ القوم ؟ فقال : بالسيالة فقال ﷺ ، ذلك الذي ظننت ، أما انهم يا طلحـة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ، وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يا ابن الخطاب أن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن . ولما وصل ﷺ حمراء الأسد أقام بها الأثنين والثلاثاء والأربعاء ، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهـب صوت معسكرهـم ونيرانهـم في كل وجـه فكبـت الله بذلك عدوّهم ، وكان اللواء في هذه الغزوة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستعمل ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحق : ان النبي ﷺ لقي بحمراء الأسد معبد بن أبي

معبد الخزاعي ، وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضي الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبي ﷺ مسلمهم وكافرهم ، كلهم يحبونه ﷺ فقال : يا محمد ، والله لقد أعز علينـا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ، لوددنا أن الله أعلى كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ، ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجـوع وقالوا : أصبنا في أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرنّ عليهم فلنفرغـنّ منهـم .فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك ؟ قال : محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال : لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فاني أنهاك عن ذلك فملئوا رعباً من ذلك ورجعوا إلى مكة .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب بعد الذي كان منه يوم أحد فرجع إلى مكة وقـال ﷺ : إن أبـا سفيان قد أصاب منكم طرفاً وقذف الله في قلبه الرعب ، ثم رجع ﷺ بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة ، وقد غاب خمساً وظفر ﷺ عند رجوعه إلى المدينة بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة ، فأمر بقتله ، وحاصل قصته أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت : ام كلثوم بنت النبي ﷺ ورضي عنها من أنت ؟ قال : ابن عم عثمان فقالت : ليس هو ههنا . فقال : أرسلي اليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه ، فجاء عثمان رضي الله عنه فلما نظر اليه قال : أهلكتني وأهلكت نفسك . فقال : يا ابن عم ، لم يكن أحد أمسّ بي منك رحماً فأجرني ، فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله وجعله في ناحية ، ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، فسمع رسول الله ﷺ يقول : إن معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منـزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت اليهم أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ أمرهم بذلك ، فأخرجوه وأتوا به رسول الله ﷺ فأمر بقتله .

فقال عثمان رضي الله عنه : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لآخذ له أماناً فهبه لي ، فوهبه له وأجله ثلاثاً وأقسم أنه إن وجده بعدها قتله . وخرج رسول الله ﷺ إلى حمـراء

الأسد فأقام معاوية ثلاثاً ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ ليأتي بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله ﷺ الى المدينة فخرج معاوية هارباً فقال : ﷺ إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه ، فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه . وقيل : انما قتلاه بعد أن جاءا به الى النبي ﷺ ، فأمر بضرب عنقه صبراً بأن أوثقوه حتى أمر بقتله .

وفي سيرة ابن هشام وظفر ﷺ بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد أسر ببدر ، ثم منّ عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعراً يشتغل بسب النبي ﷺ وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال ، وكان عاهد النبي ﷺ بعد بدر على أن لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلما منّ عليه وأطلقه رجع إلى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السب والهجاء ، فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الأسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائماً فأدركه المسلمون وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، فلما ظفر به ﷺ قال : يا رسول الله أقلني وامنن عليّ ودعني لبناتي وأعاهدك أن لا أعود . فقال : والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرّتين . وفي رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمداً . وفي لفظ : سحرت محمداً مرّتين ، إن المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين اضرب عنقه يا زبير . وفي رواية : يا عاصم بن ثابت فضربت عنقه وأنزل الله فيه : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ قيل : ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهي أوّل رأس حملت في الاسلام إلى المدينة أي على رمح ، فلا ينافي أنّ أوّل رأس حملت رأس كعب بن الأشرف فلا تعارض ، قال بعضهم في معنى قوله ﷺ : لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين انه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره ﷺ .

وفي هذه السنة كانت ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان ، وحملت فاطمة رضي الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن علي رضي الله عنهما . وفي هذه السنة أيضاً حرمت الخمر في شوّال بعد وقعة أحد .

سرية أبي سلمة

عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى قطن ـ بفتح القاف والطاء

وبالنون ـ جبل بناحية فيد ـ بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره ـ وهو اسم ماء لبني أسد بنجد ، بعث ﷺ أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد الأسديين . وسبب ذلك انه بلغه ﷺ أنهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه ﷺ فنهاهم قيس بن الحرث فلم ينتهوا ، فدعا ﷺ أبا سلمة وعقد له لواء وقال : سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم ، فخرج فأسرع السير حتى انتهى إلى أدنى قطن ، فأغار على سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا في كل وجه . وفي رواية : خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة إبلاً وشاء فأغار عليها ولم يلق كيداً أي حرباً . وفي رواية : فعسكر به اي يقطن وتفرق قومه ثلاث فرق ، فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا في ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين ، وقد أصابتا نعماً وشاءً ، فانحدر بها أبو سلمة إلى المدينة وأخرج منها صفي رسول الله ﷺ عبداً وأعطي الوليد بن زيد الطائي وهو الدليل ما رضي به ، ثم خمسها وقسم الباقي على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناماً ، ومدّة غيبته في تلك السرية عشرة أيام والله أعلم .

سرية عبد الله

ابن أنيس رضي الله عنه الجهني السلمي الأنصاري بعثه ﷺ وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرّم ، على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي ثم اللحيائي وكان بعرنة ، موضع قريب من عرفة ، لأنه بلغه ﷺ أنه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله : ائته فاقتله . فقال : صفه لي يا رسول الله حتى أعرفه . قال : إذا رأيته هبته ، وفرقت منه ، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان . قال عبد الله : وكنت لا أهاب الرجال ، فقلت : يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال : آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن اقول ، فقال : قل ما بدا لك وقال : انتسب لخزاعة ، فأخذت سيفي وخرجت أعتزي لخزاعة ، فلما وصلت اليه بعرنة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش ، فهبته وعرفته بنعت النبي ﷺ فقلت : صدق الله وصدق رسوله . وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشي وأومىء برأسي إيماء ثم دنوت منه فقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني خزاعة ، سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك قال : أجل إني لفي الجمع له ، فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي فقلت له : عجباً لما

أحدث محمد من هذا الدين المحدث ، فارق الآباء وسفه احلامهم . قال : إنه لم يلق أحداً يشبهني ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهذ الأرض ، حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال : هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه ، قال : اجلس . قال : فجلست معه حتى إذا نام الناس اغتررته وقتلته .

وفي رواية انه قال : مشيت معه حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ، ثم أقبلت فصعدت جبلاً ودخلت غاراً وأقبل الطلب وأنا كامن في الغار ، وضربت العنكبوت على الغار ، وأقبل رجل معه أداوة ضخمة ونعلاه في يده ، وكنت حافياً فوضع أداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار ، ثم قال لأصحابه : ليس أحد في الغار ، فانصرفوا راجعين ، فخرجت فشربت ما في الاداوة ولبست النعلين ولم يرني أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما ، فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفاً من الطلب أن يدركني حتى قدمت المدينة فوجدته ﷺ بالمسجد فقال ﷺ : أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري ، فدفع إليّ عصا وقال : تخصر بها في الجنة فان المتخصرين في الجنة قليل ، فكانت العصا عنده حتى إذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها في أكفانه ففعلوا . والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه ، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرّم . قال موسى بن عقبة وقد أخبر ﷺ أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضي الله عنه والله أعلم .

بعث الرجيع

وهي سرية عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وكان رضي الله عنه من السابقين الى الإسلام ، روى الحسن بن سفيان قال : لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال ﷺ لمن عنده ، كيف تقاتلون ؟ فقام عاصم ابن ثابت رضي الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي ، واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة اي الملاعبة بالرماح حتى تنقصف ، فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف ، وكانت المجالدة .

فقال ﷺ : هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم ، وشهد رضي

الله عنه العقبة وبدراً وأحداً ، وكان بعثه في صفر على رأي ستة وثلاثين شهراً من الهجرة فيكون في أول السنة الرابعة . والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعفان ، وإنما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه ، وسبب هذا أن بني لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشوا إلى عضل والقارة وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة ، فجعلوا لهم إبلاً على أن يكلموا رسول الله ﷺ أن يخرج اليهم نفراً من أصحابه ، فقدم سبعة نفر مظهرين الإسلام فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام . وقيل إنه ﷺ أراد أن يبعث عيوناً إلى مكة ليأتوه بخبر قريش ، فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للأمرين جميعاً وهم : عاصم بن ثابت ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخبيب بن عديّ الأوسي البدري وزيد بن الدثنة ـ بفتح الدار وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة ـ وعبد الله ابن طارق وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد ، وبعضهم مغيث بن عوف ، وأمر ﷺ عاصم بن ثابت ، وقيل : مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدوا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً ليعينوهم على قتلهم ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتي رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا في مقابلتهم مالاً لعلمهم انه لا شيء أحب الى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد ﷺ يمثلون به ويقتلونه ، بمن قتل منهم ببدر وأحد ، فأبوا ان يقبلوا منهم ، فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم . وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلاً ورغبوا في الحياة .

وفي رواية : لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه في الأرض ، وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار ، لأنهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش وهذيل خصوصاً وذلك قرب وقعة أحد ، وقتل سفيان بن خالد الهذلي ، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً فرأت النوى فأنكرت صغرهنّ وقالت : هذا تمر يثرب فصاحت في قومها وقالت : قد أتيتم من قبل العدوّ فجاؤا في طلبهم حين أخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كنوا في الجبل فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً ، فنزل إليهم

على العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، وقال عاصم ابن ثابت رضي الله عنه : أيها القوم ، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ثم قال : اللهم أخبر عنا رسولك ، فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى ، وكان عنده سبعة اسهم فقتل لكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال : اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره أي عن أن يمثلوا به بعد القتل ، فقتلوا عاصماً وأطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدي وزيد ابن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق : هذا أول الغدر لا أصحبكم إن لي بهؤلاء يعني القتلى أسوة فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه . وقيل مشى معهم حتى إذا كانوا بمر الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد ابن الدثنة حتى باعوهما بمكة ، باعهما جامع وزهير الهذليان باسيرين من هذيل بمكة ، وقيل : انهم باعوا خبيباً بأمة سوداء والذي اشتراه بنو الحرث بن عمر بن نوفل بن عبد مناف ، لأن خبيباً هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وبنو الحرث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سيروعة واخوهما لامهما حجير بن أبي إهاب حليف بني نوفل ، وقد اسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبيﷺ ورضي عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك ، وقتل زيداً بأبيه أمية ، وكان شراؤهما في ذي القعدة ، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم فقتلوا زيداً ، وأما خبيب فكذلك مكث أسيراً حتى خرجت الأشهر الحرم ، ثم اجمعوا على قتله ، وكانوا في أول الأمر أساؤوا اليه في حبسه فقال لهم : ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم ، فأحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهي ماوية مولاة حجير ، وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضي الله عنهما .

روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال : قال لي خبيب وكانوا جعلوه عندي يا موهب أطلب إليك ثلاثاً أن تسقيني العذب وأن تجنبني ما ذبح على النصب وأن تعلمني إذا أرادوا قتلي . وقالت ماوية زوج موهب : كان خبيب رضي الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له : هل لك من حاجة ؟ قال : لا إلا أن تسقيني العذب ولا تطعميني ما ذبح على النصب ، وتخبريني إذا أرادوا قتلي . فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما اكترث بذلك ، وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى

ليستحد به أي يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله ، فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله ، ما كنت لأغدر قالت زينب : والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يأكل قطفاً أي عنقوداً من عنب مثل رأس الرجل ، وأنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب . وروت ماوية أيضاً مثل ذلك وقالت : وما أعلم في الأرض حبة منه وما كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً . قال في المواهب : وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهاناً لنبيه ﷺ لتصحيح رسالته ، ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال : اتركوني أصليّ ، فتركوه فصلىّ ركعتين قال موسى ابن عقبة : صلاهما في موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ، ثم انصرف اليهم وقال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت وفي رواية : لسجدت سجدتين أخريين ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق منهم ، أحداً ، وأقتلهم بدداً أي متفرقين ، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي .

وفي رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالأرض خوفاً من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حي غير ذلك الرجل الذي لبد في الارض . قيل : إن ذلك الرجل هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما . فقد حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : كنت مع أبي أي حين قتلوا خبيباً فجعل أبي يلقيني إلى الارض خوفاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه . قال العلامة الزرقاني : إن دعوة خبيب اصابت منهم من سبق في علمه تعالى أن يموت كافراً ، وأما من سبق في علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه . وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فإنما هلك بدداً لأنهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم في أُحد وبدر لأن الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفي رواية : أن خبيباً رضي الله عنه قال : اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه ، فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فأخبره أصحابه بذلك . وروى موسى بن عقبة أن النبي ﷺ قال ذلك اليوم وهو جالس : وعليك السلام خبيب قتلته قريش ، ثم أنشأ خبيب رضي الله عنه يقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإلّـه وان يشأ يبـارك على أوصـال شلوٍ ممزع
لقـد جمـع الأحـزاب فيّ وألبوا قبائلهـم واستجمعـوا كلَّ مجمع
إلى الله أشـكو غربتـي بعـد كربتي ومـا أرصـد الاحـزاب لي عنـد مصرعي

قال الزرقاني في شرح المواهب : روي أن قريشاً طلبوا جماعة ممـن قتـل آباؤهـم وأقرباؤهم ببدر ، فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم : هذا الرجل قتل آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب ، فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه إلى الكعبة فقـال : الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته ، فلم يستطع أحد أن يحوّله . وقد ذكر ابن اسحق زيادة في الشعر المتقدّم وكذا الواقدي وغيره وهذا لفظهم :

لقـد جمـع الأحـزاب حولي وألبوا قبـائلهـم واستجمعـوا كل مجمع
وكلهـم مبـدي العـداوة جاهد علي لأنـي في وثـاق وضيع
وقـد جمعـوا أبناءهـم ونساءهم وقربـت من جزع طويل ممنع
الى الله أشـكو غربتـي ثم كربتي ومـا أرصـد الأحـزاب لي عنـد مصرعي
وذلك في ذات الإلّـه وإن يشأ يبـارك على أوصـال شلـوٍ ممزع
وقـد خـير واني الكفـر والموت دونه وقـد هملـت عينـاي من غـير مجزع
ومـا بي حذار الموت إنـي لميت ولـكن حذاري حجـم نار مسفع
ووالله ما أخشى إذا مت مسلماً على أي جنـب كان في الله مضجعي
فلسـت بمبـد لعـدو تخشعاً ولا جزعـاً إنـي إلى الله مرجعي

قال الحافظ ابن حجر : وفي هذا إنشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته في دينه وفي رواية : قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحرث ابن عامر فقتله ، وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه ،وكان يقـول ما أنا قتلت خبيباً لأني كنت صغيراً ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة وجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة فطعنه بها حتى قتله . وكان خبيب هو الذي سنَّ لكل مسلم قتل صبراً الصلاة لأنه فعـل ذلك في حياة النبـيﷺ ، فاستحسن ذلك من فعله . وأخبرﷺ أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من عمـل العبد . وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أي طعنوه بها طعناً خفيفاً وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمداً

مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه . وقيل : إن زيد ابن الدثنة قالوا له ذلك أيضاً عند قتله فأجابهم بمثل ذلك . فقال أبو سفيان رضي الله عنه : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . ثم بعد ان قتلوا خبيباً رضي الله عنه أبقوه على خشبته مصلوباً مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه ، فأرسل ﷺ الزبير ابن العوّام والمقداد بن الأسود . وفي رواية : عمرو بن أمية الضمري فأتوه فاذا هو رطب لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً ، فحمله الزبير على فرسه ، وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير فابتلعته الأرض والذي أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه .

فقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه عن عمرو بن أمية قال : بعثني رسول الله ﷺ وحدي عيناً إلى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدي لأنزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلاً فقطعت عنه وألفيته فسمعت وجبة خلفي فالتفت فلم أر خبيباً وكأنما ابتلعته الأرض فلم أرَ له أثراً حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسله ﷺ أولاً . ثم أرسل الزبير والمقداد ، فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه الزبير إلى آخر ما تقدّم . وبعثت قريش في طلب عاصم بن ثابت رضي الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه به كرأسه ، لأنه كان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر . قال الحافظ ابن حجر : ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن ابي معيط فان عاصماً قتله على قول ابن إسحق صبراً بأمر النبي ﷺ بعد ان انصرفوا من بدر وقيل الذي قتله هو علي رضي الله عنه ولعلهما اشتركا في ذلك ، فنسب الى كل منهما ، وجاء في رواية : أن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري ، وكان عاصم قتلهما يوم أحد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه ، وهو ما انفلق من الجمجمة ، وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة ، فمنعه منهم الدبر أي الزنابير ، بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شيء منه وفي رواية للبخاري : فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً . وفي رواية : فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم ، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا ، فقالوا : دعوه حتى يمسى فنذهب الدبر عنه فنأخذه ، فبعث الله سيلاً فاحتمل عاصماً فذهب به . وفي رواية : فاحتمله السيلا فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار . وقيل : إن الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى اخذ المسلمون فدفنوه

، وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً بمصافحة ونحوها ، فأعطاه الله ذلك ، والمراد انه قوي رجاؤه في الله فعاهده على ذلك . او المراد انه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركاً من مسه ، أو المراد سأل الله ذلك .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه خبره يقول : يحفظ الله لعبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته ففيه استحابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين لقوله : اللهم إني حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ، ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طلب ، ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة رضي الله عنهم ، لأن المزية لا تقتضي الأفضلية والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية بئر معونة

وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه إلى أهل بئر معونة ليدعوهم الى الإسلام أو مدداً لهم ، وبئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان ، وقيل : هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين قريب منه وهو إلى حرة بني سليم اقرب . قال الزرقاني : والظاهر أنه لا تنافي لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت هذه السرية في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث ﷺ مع المنذر المطلب السلمي رضي الله عنه ليد لهم على الطريق ، وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به ، وكان مع رعل بطن من بني سليم ، ومع ذكوان بطن منهم ايضاً . وتعرف هذه السرية ايضاً بسرية القراء ، وكان من أمرها كما قاله ابن إسحق عن شيوخه أنه قدم على رسول الله ﷺ أبو براء عامر ابن مالك بن جعفر العامري ، واختلف في إسلامه وصحبته بعد ذلك .

قال اذهبي : والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الأسنة فعرض النبي ﷺ الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وفي رواية : انه أهدى الى النبي ﷺ فرسين وراحتين فقال ﷺ : لا أقبل هدية مشرك ، وعرض عليه الإسلام فقال : يا محمد إني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً وقومي خلفي فلو أنك بعثت معي نفراً من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك

فانهم إن اتبعوك فما أعز أمرك . وفي رواية : لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام : إني أخشى أهل نجد عليهم . قال أبو براء : أنا لهم جار أي هم في ذمامي وعهدي وجواري ، فابعثهم فبعث ﷺ المنذر ابن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون . قال قتادة : كانوا رضي الله عنهم يحتطبون بالنهارويصلون بالليل. وزاد ثابت البناني عن انس رضي الله عنه وكانوا يشترون الطعام لأهل الصفّة ويأتون به إلى حجر أزواجه ﷺ ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون ، فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخا ام سليم خال انس بن مالك رضي الله عنه بكتابه ﷺ ، إلى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري وهو ابن أخي أبي براء ومات كافراً بالإجماع ، وليس هو عامر بن طفيل الأسلمي الصحابي رضي الله عنه ، فلما أتى حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل لم ينظر في كتابه بل استمر في طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله .

وفي رواية الطبري : فخرج حرام فقال : يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله اليكم م فآمنوا بالله ورسوله ، فخرج رجل برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر . وفي الصحيح : فجعل يحدثهم فأومأوا الى رجل فاتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة . قال ابن إسحق : وهذا الذي طعنه هو عامر بن الطفيل ، وقيل : أنه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه وكان مسلماً يكتم إسلامه لامرأة من قومه : هل لك في رجل إن صح كان نعم الراعي فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول :

أبا عامر ترجوا المودّة بيننا وهل عامر الا عدوّ مداهن
إذا ما رجعنا ثم لم يك وقعة بأسيافنا في عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم إن عامر بن الطفيل استصرخ بني عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا : لن نخفر ابا براء اي لن ننقض عهده وذمامه لأنه قد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلاً وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصاري الخزرجي البخاري

البدري رضي الله عنه ، فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً باصابة سهم وإلا عمرو بن أمية الضمري فانـه أسر وأطلـق ، قال ابـن اسحـق : كان عمرو في سرح القوم هو ورجل من الأنصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة ، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم والخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمرو : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكني ما كنـت لأرغـب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل ، واما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة ، زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضي الله عنه : جاء خبرهم الى النبي ﷺ على لسان جبريل عليه السلام في تلك الليلة فقال : هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفاً على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ، ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافراً . وقال حسان رضي الله عنه لربيعة ابن عامر : ملاعب الأسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء :

ألا من مبلـغ عنـي ربيعاً بمـا قد احـدث الحدثـان بعدي
أبـوك ابـو الفعـال ابـو براء وخـالك ما جد حكم بن سعد
بنـي أم البنـين ألـم يرعكم وأنتـم من ذوائـب اهـل نجد
تحـكم عامـر بأبـي براء ليخفـره ومـا خطـأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة إن أضرب عامراً ضربة او طعنة ؟ قال : نعم فرجع فضرب عامراً ضربة أشواه بها ، فوثب عليه قومه فقالوا العامر : اقتص فقال : قد عفوت . ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ، ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو ابن امية الضمري رضي الله عنه وكان أسيراً في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ فقال : هذا عامر بن فهيرة فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع الى السماء حتى إني لانظر الى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع . وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ، ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك . فقد روى ابن إسحق عن عروة بن الزبـير ان عامـر بن

الطفيل لما قدم على النبيﷺ قال له : من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع ؟ قال : هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه ، وروى ابن المبارك عن عروة أيضاً قال : كان الذي قتله رجلاً من بني كلاب اسمه جبار ابن سلمي . وذكر انه لما طعنه قال : فزت والله . قال : فقلت في نفسي ما قوله فزت . فأتيت الضحاك ابن سفيان فسألته فقال : بالجنة . قال : فأسلمت ، ودعاني إلى ذلك ما رأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علواً .

قال البيهقي يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ، ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولاً بلفظ : لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى أني لأنظر الى السماء بينه وبين الأرض ولم يذكر فيها ثم وضع . وروى ابن سعد مرفوعاً : ان الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين . قال الجلال السيوطي : قويت الطرق وتعددت بمواراته في السماء ، وجبار بن سلمى صحابي رضي الله عنه ووقع في بعض الروايات ان عامر بن الطفيل هو الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوّز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافراً بالإجماع . كما تقدم .

روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : ما رأيت رسول اللهﷺ وجد أي حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال إنما هم مبلغون رسالته ، وقد جرت عادة العرب قديماً بأن الرسل لا تقتل ، ودعا رسول اللهﷺ على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهراً . وفي رواية : أربعين يوماً يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحياه قال أنس رضي الله عنه : وبلغ الله نبيهﷺ على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم . وفي رواية : فكنا نقرأ بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخ . قال السهيلي : هذا اللفظ ليس عليه رونق الإعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وإنما ذكر بني لحيان وإن كانوا لبسوا معهم في هذه الوقعة وإنما هم في قصة أصحاب الرجيع لأن الخبر أتى النبيﷺ بكل من الوقعتين في ليلة واحدة ، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين في دعاء واحد ، ولهذا جمع البخاري القضتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك. قال العلامة الزرقاني : لما اصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليهﷺ فقال لها : اذهبي الى رعل وذكوان وعصية ، فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة . قال : وإنما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب

على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم ، كما أخبره بنظير ذلك في كثير من الأشياء لأنه سبق في عمله تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع . اهـ

غزوة بني النضير

هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون اخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم ، واختلف اهل السير في السنة التي كانت فيها ، فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه البخاري أنها كانت بعد غزوة بدر ، وقبل أحد وذهب ابن إسحق الى انها كانت بعد بئر معونة ، ورجح المحققون من الحفاظ قوله : قالوا وكانت في ربيع من السنة الرابعة ، وسببها ما تقدم قريباً ان عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة ،وكان عتقه إياه عن رقبة كانت على امه ، فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب .

وفي رواية : أنهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو ، فقال لهما عمرو : من أنتما ؟ فذكرا له أنهما من بني عامر ، فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن أنه ظفر بثأر بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة ، وجاء وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال له : لقد قتلت قتيلين لأدينهما أي أعطي دينهما أي للجوار والعهد الذي عقده لهما ، ثم خرج ﷺ الى بني النضير ليستعين بهم في دية ديتك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم ، فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك أن تزورنا ، وأن تأتينا ، اجلس تطعم وترجح بحاجتك ونقوم فنتشاور ، ونصلح أمرنا فيما جئتنا به . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه أحد من أصحابه إلا نحو العشرة ، وكان ﷺ قاعداً الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا : من يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال : أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة .

وفي رواية .

فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم ، وفي رواية : قالوا لما رأوا قلة أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم لليهود : لا تفعلوا فوالله ليخبرنَّ بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه . وفي رواية : قال لهم : يا قوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله لئن فعلتم ليخبرنَّ بأنا قد غدرنا به وإن هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه قال ابن إسحق : وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضي حاجة خوفاً أن يقطنوا له فيؤذوا أصحابه . ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعاً الى المدينة ، ثم إن أصحابه ﷺ استبطؤه فقاموا في طلبه فقال لهم حي بن اخطب اليهودي : لقد عجل أبو القاسم كنا نريد أن نقضي حاجته ونقريه ، وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حي هو المتولي امر ذلك ، وكان سيد بن النضير وهو والد صفية رضي الله عنها .

وفي رواية : بينما بنو النضير على إرادة القاء الحجر إذ جاء رجل من اليهود فقال : ما تريدون ؟ فذكروا له الأمر فقال : أين محمد ؟ قالوا : هذا محمد ، يعنون تحت الجدار فقال لهم : والله لقد تركت محمداً داخل المدينة فسقط في أيديهم أي ندموا وقالوا : قد أخبر بأمرنا . وفي رواية فقال لهم كنانة بن صويراء :هل تدرون لم قام محمد ﷺ ؟ قالوا :والله ما ندري ولا تدري أنت . فقال : والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله إنه لرسول الله ، فأبوا ان يقبلوا قوله ، ولما انتهى أصحابه اليه ﷺ قالوا : قمت ولم نشعر فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به . قال موسى بن عقبة : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم ﴾ وقيل : نزلت في الأعرابي الذي اخترط سيف النبي ﷺ وهو نائم تحت شجرة ، وأراد أن يقتله ، فاستيقظ ﷺ فقال الأعرابي : يا محمد من يمنعك مني ؟ قال : الله ، فسقط السيف من يده فأخذه النبي ﷺ وقال للأعرابي: من يمنعك مني ؟ فقال: كن خير آخذ ، فعفا عنه فأسلم وجاء الى قومه ودعاهم إلى الإسلام وقال : جئتكم من عند خير الناس ، وقيل في سبب نزولها غير ذلك ، ولا مانع أن تكون نزلت في الجميع .

وقال ابن اسحق ثم أمر النبي ﷺ أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير ، ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين في عوالي المدينة من ناحية قباء ، فنزل بهم وحاصرهم ست ليال ، وقيل خمسة عشرة يوماً . وقيل قريباً من عشرين ، فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلاً لهم يسمى العجوة ، وآخر يسمى اللين . وكان ذلك أحرق لهم لأن ذلك خير أموالهم ، فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم أيضاً ، فنادوه يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم إصلاح ؟ حتى أن بعض المسلمين وقع في نفوسهم من هذا الكلام شيء فخافوا آن يكون فعلهم ذلك فساداً ، وبعض المسلمين قالوا ، بل نقطع لنغيظهم بذلك والدين وقع في نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، فاعتقدوا ان ذلك ان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ يعني اليهود ، قال بعضهم : واللينة أنواع التمر ما عدا العجو والبني وقيل : اللينة كرام النخل . وقيل : كل الأشجار للينها وأنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعاً وقال السيد السمهودي مائة وبضع وثلاثون نوعاً كان موضع نخل بني النضير الذي حرق بالبويرة تصغير بورة وهي الحفرة ، وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب .

قال ابن اسحق : وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول بعثوا الى بني النضير حين هموا بالخروج أن أثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب في قلوبهم فلم ينصروهم . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصركم والله يشهد إنهم لكاذبون ولئن أخرجوا الا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم ويكفّ عن دمائهم ، وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى .

وروى ابن سعد أن النبي ﷺ حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة

سريعاً ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن أخرجوا من بلدي ، فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشراً فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه ، فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون واكتروا من أناس من أشجع إبلاً فأرسل اليهم عبد الله بن أبي لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فان معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شيء ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حي بن أخطب فيما قاله عبد الله بن أبي فأرسل الى رسول الله ﷺ إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ، وكان قد نهى حيياً عن فعله ذلك أحد سادات بني النضير ، وهو سلام بن مشكم . وقال : يا حيي منتك نفسك والله يا حيي أن قول ابن أبي ليس بشيء وإنما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً ، فيجلس في بيته ويتركك فأبى . ولما أرسل حيي أنا لا نخرج أظهر ﷺ التكبير وكبر المسلمون بتكبيره ، وقال : حاربت يهود وسار إليهم عليه الصلاة والسلام في أصحابه مشاة على أرجلهم لقرب الموضع وقيل : ركب رسول الله ﷺ على حمار فصلى العصر بفناء بني النضير ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة ، واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله بن أبي ولم يعنهم ، وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام ابن مشكم لحيي : أين الذي زعمت ؟ قال : ما اصنع ملحمة كتبت علينا ، وبنى لرسول الله ﷺ قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بني خطمة ودخلها ﷺ ، وكان عزوك اليهودي رامياً فيرمي فيبلغ القبة فحولت الى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ، ثم فقد عليّ رضي الله عنه في ليلة قرب العشاء فقال الناس : يا رسول الله ، ما نرى علياً . فقال : دعوه فانه في بعض شأنكم ، فعن قليل جاء برأس عزوك وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً فشد عليه عليّ رضي الله عنه فقتله وفر من كان معه ، وبعث ﷺ خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤوسهم في بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا : نحن نخرج من بلادك ؟ فقال : لا أقبله اليوم . ثم قال لهم : إخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة وهي الدروع والسلاح ، فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ، لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وأيدي المؤمنين يخربون باقيها. فكان أهلها يخربونها من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالاً وخزياً لهم وقيل : كانوا يخربون بيوتهم بأديهم حسداً

وبغضاً للمسلمين أن يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن المدينة، قال الله تعالى: ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي بالقتل والسبي - ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ أي مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل لو أن الله رأى مصلحة في إجلائهم وإن حربهم قد يؤدي الى سفك دماء المسلمين ، وقد يرجع حلفاؤهم ويعينوهم وولى ﷺ إخراجهم محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه ، وحملوا النساء والصبيين على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر والمعصفر وحلي الذهب والفضة وأظهر واالجلدا عظيما .

قال ابن إسحق : خرجوا بالنساء والابناء والأموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ، ولم يسلم منهم إلا يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما . قال : وحدثني بعض آل يامين أن النبي ﷺ قال ليامين : ألم ترَ ما لقيت من ابنَ عمك وما همّ به في شأني ؟ يعني عمرو بن جحاش الذي هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقبل خمسة أوسق من تمر على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة ، وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ، ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع ، ودان لهم أهل خيبر فبقوا هناك حتى أهلكهم الله في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وذهب بعضهم الى اذرعات واريحاء من أرض الشام وروى موسى بن عقبة : أنهم قالوا إلى أين نخرج يا محمد : قال إلى الحشر يعني أرض المحشر وهي الشام ، وقيل الحشر الجلاء فأوّل الحشر الجلاء ، والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف ، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً لكونهم إخوانهم ، وقبض ﷺ ما تركوه من الأموال والدروع والسلاح ، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وهي الخوذة وثلثمائة وأربعين سيفاً ، فكانت أموال بني النضير صفياً أي مختاراً لرسول الله ﷺ أي خاصة به لأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ، ولم يقع قتال بينهم فكانت حبساً لنوائبه ﷺ . فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب ، وما فضل جعله في السلاح والكراع اي الخيل . هذا ما ذهب اليه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه .

وجاء في بعض الروايات : أنه خمسها . واليه ذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فقال : قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم اي مشقتهم عن

الأنصار اي بحسب الواقع ونفس الأمر ، وإن كان الأنصار يرون ذلك من أعظم النعم . قال تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وكانوا قد قاسموهم في الأموال والديار لما هاجروا وآخر بينهمﷺ فذهب كل انصاري بالمهاجري الذي آخر بينه وبينهﷺ الى منزله وكفاه المؤنة ، ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فأي أنصاري تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجري فبلغت مؤاساتهم الغاية القصوى رضي الله عنهم ، حتى ورد في الصحيح : ان سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه قال لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان انظر اعجبهما اليك اطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك . ثم قال : دلوني على السوق وصار يبيع ويشتري حتى كان أكثر الصحابة مالاً رضي الله عنه وعنهم .

وروى الحاكم عن أم العلاء رضي الله عنها : قالت طار لنا عثمان ابن مظعون في القرعة ، فكان في منزلي حتى توفي رضي الله عنه . قالت : فكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ، فلما غنمﷺ أموال بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال : ادع لي قومك . قال ثابت الخزرج . فقالﷺ : الأنصار كلها . فدعا له الأوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم وإيثارهم إياهم على أنفسهم . ثم قال : إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه : يا رسول الله ، بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا وقالت الأنصار : كلهم رضينا وسلمنا يا رسول الله . فقالﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار . وفي رواية : وأبناء أبناء الأنصار رضي الله عنهم . وقسم ما أفاء الله وأعطى المهاجرين ولم يعط أحداً من الأنصار شيئاً ، غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما ، وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفاً له ذكر عندهم . وفي رواية : أنهﷺ قال للأنصار : ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة . فقالوا : بل أقسم هذه فيهم ، واقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه :

جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار فوالله ما مثلنا إلا كما قال الغنوي :

جزى الله عنا جعفراً حين ازلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا أن يملونا وإن كان امنا تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكان ﷺ يزرع تحت النخيل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح . قال ابن إسحق : ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها . قال السهيلي اتفاقا . وفي البخاري : عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال : قل سورة النضير . قال الداودي : كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن أنه يوم القيامة او لإجماله فكره النسبة الى غير معلوم . وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : سورة الحشر في بني النضير ، وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله :

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق إلا على السفيه الشقاء
ونهتهم ومنا انتهت عنه قوم فأبيد الأ ماروا النهاء
أسلموهم لأول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوباً وبيوتاً منهم نعاها الجلاء

غزوة ذات الرقاع

وتسمى غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار وغزوة صلاة الخوف ، لوقوعها فيها . وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة ، واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك . فقال ابن اسحق : إنها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادي الأولى . وقيل : إنها كانت سنة خمس ، ومال البخاري الى أنها كانت بعد خيبر ، وخيبر إنما كانت سنة سبع . واستدل لذلك بأمور منها : أن هذه الغزوة حضرها ابو موسى الأشعري رضي الله عنه ، وهو إنما جاء بعد فتح خيبر . وقال الغزالي : إنها آخر الغزوات ، وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالي ، بأن مراد آخر الغزوات التي صلى فيها صلاة الخوف . ونازع بعضهم في ذلك ، وسبب تسميتها بذات الرقاع أنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل : لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع . وقيل : إن الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك ، وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل : لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترفيع الصلاة فيها ،لأنهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي ﷺ ، وبعضها معه فأشبه ذلك إصلاح خلل الثوب برقعة . قال السهيلي : وأصح الأقوال كلها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر أي من الأشعريين ، بيننا بعير تعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري أي من الحفاء ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ما قاله ابن اسحق .

قال : غزا رسول الله ﷺ نجداً يريد بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فمحارب وسعد ابنا عم . وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أنهم جمعوا جموعاً لمحاربته ﷺ ، فأخبر أصحابه وأمرهم

بالتجهز . ثم خرج في أربعمائة من أصحابه . وقيل سبعمائة . وقيل : ثمانمائة . واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه . وقيل : عثمان بن عفان رضي الله عنه وسار إلى أن وصل الى موضع يسمى وادي الشقرة ، وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل ، وأخبروه انهم لم يروا أحداً ، فسار حتى نزل نخلاً وهو موضع من نجد من أراضي غطفان ، فلم يجد فيب مجالسهم إلا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا ، وتفرقوا في رؤوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤوا لمحاربة جيش النبيﷺ ، فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض وأخاف الناس بعضهم بعضا ، حتى صلى النبيﷺ بالناس صلاة الخوف في صلاة العصر ، ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى الله في قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منهﷺ .

وفي هذه الغزوة ، نزلﷺ ليلاً في شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح ، فقالﷺ بعد نزوله : من يكلؤنا ؟ فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا : نحن يا رسول الله ، فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضي الله عنهما : أنا أكفيك أوّل الليل وتكفيني أنت آخره ، فنام عمار وقام عباد رضي الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتي أصابهن رسول اللهﷺ غائباً ، فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثني حتى يصيب محمداً أو يوثق في أصحاب محمد دماً ، فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال : هذه راية القوم ففوّق سهما فوضعه في عباد فانتزعه ، فرماه بآخر فانتزعه أيضاً فرماه بآخر فانتزعه ، فلما غلبه الدم قال لعمار : اجلس فجلس عمار فلما رأى المشرك عماراً جلس علم انه قد نذر به فهرب فقال عمار لعباد : أي أخي ما منعك أن توقظني له في أوّل سهم رماك به ؟ فقال : كنت أقرأ في سورة يعين سورة الكهف فكرهت أن أقطعها . وفي رواية : جعل رسول اللهﷺ شخصين من أصحابه يقال : هما عباد بن بشر بن الأنصار وعمار ابن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدّو ، فرمى احدهما اي وهو عباد بن بشر بسهم فأصابه ونزفه الدم ، وهو يصلي ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى في صلاته ، ثم رماه بثان وثالث وهو يصلي ولم يقطع صلاته . وقد قال عباد معتذراً عن ترك إيقاظ صاحبه . لولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول اللهﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي .

وفي هذه الغزوة أيضاً وقعت قصة الرجل الذي اخترط سيفهﷺ وهو نائم تحت الشجرة ، وقد تقدمت قريباً استطراداً عند ذكر عزم بني النضير على الغدر بهﷺ ، واسم

الرجل غورث وقيل دعثور وقيل : إنهما قصتان لرجلين في غزوتين هذه وغزوة أمر . وتقدم أيضاً أن ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه بإسلامه ، ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة رضي الله عنه بشيراً بسلامته وسلامة المسلمين .

غزوة بدر الأخيرة

وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها ، فهي صغرى بالنسبة للتي وقع فيها القتال وهي الكبرى ، وتسمى هذه أيضاً بدر الموعد ، للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد ، وتسمى بدراً الثالثة وكانت في شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول إبن اسحق قال ابن إسحق : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادي الأولى وجمادي الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان وقيل : كانت في ذي القعدة وميعاد أبي سفيان هو ما سبق أن أبا سفيان قال يوم أحد ، الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله ﷺ لعمر : قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ، فخرج رسول الله ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس ، واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجي رضي الله عنه ، وجمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وخرج أبو سفيان في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً ، حتى نزل موضعاً قريباً من مر الظهران . وقيل : نزل عسفان ثم بدا له الرجوع ، وكان قد دبر ذلك في نفسه وهو بمكة لما ألقى الله في قلبه من الرعب .

روى ان نعيم بن مسعود الأشجعي : قدم مكة فاخبر قريشاً بتهيؤ المسلمين لحربهم فسكره ابو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين بعيراً على أن يذهب الى المسلمين ويخذلهم ، وضمنها له سهيل بن عمرو ، وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة وأرجف المسلمين بكثرة العدو : حتى قذف في قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية في الخروج ، حتى خشي عليه الصلاة والسلام أن لا يخرج معه أحد ، فجاءه العمران أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا : أن الله مظهر دينه ومعزّ نبيه ، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه ، فيرون ان هذا جبن ، فسر لموعدهم فوالله ان في ذلك لخيراً إن شاء الله ،

فسرﷺ بذلك وقال : والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد ، فأذهب الله عن المسلمين ما كان الشيطان أرعيهم به ، وقال ابو سفيان لقريش : قد بعثنا نعيماً يخذل أصحاب محمد عن الخروج وهو جاهد في تخذيلهم ، لكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع ، فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لأنه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه ، وإن خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام عشب قالوا : نعم ما رأيت . فلما أراد الرجوع قال : يا معشر قريش ، لا يصلحكم أي لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر إلا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا ، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق . يقولون : انما خرجتم تشربون السويق وأما النبيﷺ فخرج على الموعد هو وأصحابه ، وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب . وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان : والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترأوا علينا ورأونا قد اخلفناهم . وأقامﷺ وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان لميعاده ، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ الذين استجابوا الله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ـ وهو نعيم بن مسعود ـ ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه ـ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقيل : إن قوله : الذين استجابوا الى اجر عظيم إنما نزلت في شأن حمراء الأسد وهو خروجهم في أثر قريش بعد وقعة أحد ، وهذا هو الصحيح . وقوله : الذين قال لهم الناس الخ ، نزلت في غزوة بدر الصغرى ، ولا مانع أن يكون صدر الآية مشيراً إلى الأمرين والله سبحانه وتعالى اعلم .

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليالٍ وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة ،وكانت في شهر ربيع الأول سنة خمس من الهجرة وسببها أنه بلغهﷺ أن بها جمعاً عظيماً يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فخرجﷺ في الف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكانﷺ يسير الليل ويكمن النهار ، فلما دنا منهم قال له مذكور العذري رضي الله عنه وكان هو الدليل مع النبيﷺ : أقم لي حتى اطلع لك على سوائم القوم ، فانها ترعى هنا . فخرج العذري فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فأخبره ، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجهة . وجاء الخبر أهل دومة فأصابهم الرعب فتفرقوا فرقاً من المنصور بالرعبﷺ ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا ، فأقام بها أياماً وبعث السرايا وفرقها ، فرجعوا سالمين . وأصابوا رجلاً من القوم فجاؤوا به للنبيﷺ فسأله عنهم فقال : هربوا حين علموا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم ، ورجع النبيﷺ ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى اعلم .

غزوة المريسيع

وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم ، وتسمى غزوة بني المصطلق ، وهم بطن من خزاعة . وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها : أنه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحرث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها ، وقد أسلم لما جاء في فدائها كما سيأتي . سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، فدعاهم الى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه ، وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه ليعلم حالهم الذي هم عليه ، واستأذن النبي ﷺ أن يقول فإذن له فأتاهم ولقي الحرث بن أبي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له : من الرجل ؟ قال منكم ، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن اطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصله . قال الحرث ، فنحن على ذلك فعجل علينا ، فقال لهم بريدة : اركب الآن وإتيكم بجمع كثير من قومي ، فسروا بذلك ورجع هو الى النبي ﷺ فأخبره خبرهم .

فندب ﷺ الناس وخرج مسرعاً في جمع كثير ، وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قطمثل خروجهم في هذه الغزوة ، وكان سعه ﷺ ثلاثون من الخيل : عشرة للمهاجرين وعشرون للأنصار ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الفقاري . وقيل : غيلة ابن عبد الله الليثي رضي الله عنهم ، وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، وأصاب ﷺ في طريقه عيناً أي جاسوساً للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئاً ، فعرض عليه الاسلام فأبى فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه ، وبلغ الحرث ومن معه مسيره ﷺ ، وانه قتل جاسوسه فسيء بذلك الخبر هو ومن معه ، وخافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا ، وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال ،

وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنه ، وقيل : لعمار بن ياسر رضي الله عنه ، وراية الأنصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه ، وأمَّر عمر فنادي في الناس : قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فأبى المشركون أن يقولوها ، فترامـوا بالنبل ساعة . ثم أمرﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد ، قتلوا عشرة وأسروا باقيهم ، وكانوا اكثر من سبعمائة ، وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء ، وكانت الإبل ألفي بعير ، والشاء خمسة آلاف شاة ، وكان المسبي مائتي بيت ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صبابة ،أصابه رجل من رهـط عبادة ابن الصامت رضي الله عنه خطأ ، .

وكان من جملة السبي جويرية بنت الحرث فاختص بها النبيﷺ وأعتقها وتـزوج بها . وخرج الخبر الى الناس أن النبيﷺ تزوّج بها فقال الناس : اصهار رسول اللهﷺ فأرسلوا ما بايديهم قالت عائشة رضي الله عنها : فما أعلم امرأة كانت أعظـم بركة على قومها منها رضي الله عنها . وقيل : انها طلبت قومها من النبيﷺ ليلة دخوله بها ، فوهبهم لها ، وهذا لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا أنه تزوّجها أطلقوا الأسرى ، فكان ذلك زيادة إكرام من الله لنبيهﷺ حتى لا يسأل أحداً منهم في ذلك بشيء أو مجاناً ، ثم هدى الله أكثرهم للإسلام .

وجاء ان جويرية رضي الله عنها قالت : رأيت قبل قدوم النبيﷺ بثلاث ليال كانَّ القمر يسير من يغرب حتى وقع في حجري فكرهت ان اخبر بها احدا من الناس ، حتى قدم ﷺ ، فلما سبينا رجوت الرؤيا ، فلما أعتقني وتزوّجني ما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني بفك الأسرى ، فحمدت الله تعالى ، وجاء ان بعض الأسرى ، انما أطلقوا بفداء ، ولعل هذا قبل التزوّج بها رضي الله عنها . وجاء عن جويرية رضي الله عنها انها قالت : لما أتانا رسول اللهﷺ ونحن على المريسيع سمعت أبي يقول : أتانا مالاً قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة . فلما أسلمت وتزوّجني رسول اللهﷺ ورجعنا ، جعلت انظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى ، فعلمت أنه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين ثم ان أباها الحرث قدم على النبيﷺ المدينة بعد رجوعه يريد فداء ابنته وفكاكها ، فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يريد ان يفيد ابنته بها ، فرغب في بعيرين منها كانا من أفضلها فاعقبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم اقبل على رسول اللهﷺ فقال : يا محمد ، أصبت ابنتي وهذا فداؤها . فقال له رسول الله

ﷺ : فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحرث : اشهد ان لا إله الا الله وأنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك احد إلا الله وقيل : انه اسلم قبل ذلك ، وهذا إظهار لإسلامه . ثم أمره رسول الله ﷺ ان يخبر ابنته بأسلامه فقالت له : أحسنت واجملت : فقال لها أبوها : يا بنية ، لا تفضحي قومك يعني بالرق فقالت : اخترت الله ورسوله ، فرضي ابوها بذلك وفي هذه الغزوة نزلت آية التميم .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره قال ابن عبد البرهي غزوة بني المصطلق . قالت : حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر رضي الله عنه فقالوا له ألا ترى الى ما صنعت عائشة رضي الله عنها ؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال : حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء . قالت : عائشة رضي الله عنها : فعاتبني ابو بكر رضي الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول . وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله ﷺ على فخذي فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التميم فتيمموا . فقال اسيد بن حضير رضي الله عنه : ما هي باوّل بركتكم يا آل أبي بكر . قالت : فبعثنا البعير فاصبنا العقد تحته . وفي رواية ، قال أسيد لها : جزاك الله خيرا ما نزل بك امر تكرهينه ، إلا جعل الله لك منه مخرجاً وللمسلمين فيه خيراً . وقال لها رسول الله ﷺ : ما أعظم بركة قلادتك . وقال لها ابو بكر رضي الله عنه : والله يا بنتي انك كما علمت مباركة .

وفي هذه الغزوة كانت قصة الأفك ، فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة هل كان ذلك في غزوة واحدة أو غزوتين ؟ فقيل : في غزوة واحدة وهي غزوة بني المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا ، هل قصة آية التميم أسبق ام قصة الأفك ؟ واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضي الله عنه : ما هي بأوّل بركتكم يا آل ابي بكر أي بل مسبوقة بغيرها من البركات ، فهو يشعر بان هذه القصة كانت بعد قصة الافك . وبعضهم اخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان في غزوتين قالوا مرة في غزوة ذات الرقاع ومرة في غزوة بني المصطلق واستدل كل قائل بأدلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك في غزوة بني المصطلق قطعاً والاختلاف

إنما هو في قصة التميم هل هي في تلك الغزوة ، وبه جزم ابن عبد البر وجماعة ، او في غزوة ذات الرقاع او غيرها . وبه جزم آخرون والله اعلم وحاصل قصة الافك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب فأنا احمل في هودجي وأنزل فيه حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين إذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون اني فيه ، وكان النساء اذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم . انما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعقل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فاصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوي حتى اناخ راحلته فوطىء على يدها فقمت اليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك . وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله ابن ابي بن سلول فانه كان أول من أشاعه في العسكر لأنه كان ينزل مع جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس ، فمررنا عليه فقال : من هذه قالوا : عائشة وصفوان فقال : فجربها ورب الكعبة وفي لفظ ما برئت منه وما بريء منها . وفي رواية ، قال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، وصار يقول امرأة نبييكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم اشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم بها لشدة عداوته لرسول الله ﷺ . وقال عروة بن الزبير : اخبرت ان حديث الافك كان يشاع ويتحدث به عند ابن ابي فيشر ويستمعه ويستوشيه : وقال عروة ايضاً لم يسم من اهل الافك الاحسان بن ثابت رضي الله عنه ومسطح ابن اثاثة رضي الله عنه ، وحمنة بنت جحش رضي الله عنها في ناس آخرين لا علم لي بهم ، غير انهم عصبة كما قال الله تعالى : ﴿ إن الـذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم ﴾ وكانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول :

انه الذي قال

فـان ابـي ووالـده وعـرضي لعـرض محمـد منكـم وقـاء

قالت عائشة رضي الله عنها : فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشي من ذلك ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم عليّ ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت ، فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا اي موضع قضاء حاجتنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا قالت : وأمرنا امر العرب الأول في البرية اي في الخروج اليهاقالت : فانطلقت أنا وأم مسطح وهي سلمى ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عارم خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح فقلت لها : بئسما ، قلت : اتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ فقالت : اي هنتاه اي يا هذه أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت عائشة رضي الله عنها ، فقلت لها ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك قالت : فازددت مرضاً على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال : كيف تيك ؟ فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبويَّ قالت : وأريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت : فأذن لي رسول الله ﷺ ، فأتيتهما فقلت لأمي : ماذا يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قطوضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها . قالت فقلت : سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ، قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أُصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكى قالت : ودعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي اي طالب لبث نزوله يسألهما ويستشيرهما في فراق اهله قالت : فأما اسامة بن زيد رضي الله عنهما فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة : هم اهلك ، ولا نعلم ، ألا خيراً . وأما علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية اي التي كانت تخدم عائشة تصدقك قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : اي بريرة هل رأيت من شيء

يريبك ؟

قالت له بريرة رضي الله عنها : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا قط اغمصه غير انهاجارية حديثة السن ، تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن اي الشاة فتأكله قالت : فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ؟ والله ما علمت على أهلي الا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً يعني صفوان بن المعطل رضي الله عنه ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على اهلي الا معي ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله اعذرك منه ، فان كان من الأوس قبيلتنا ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك . قالت عائشة رضي الله عنها : فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل : فقام أسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه اي لو كان من الخزرج إذا امرنا رسول الله ﷺ بقتله ، فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ . قالت عائشة رضي الله عنها . فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت : واصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا يرقأني دمع ولا أكتحل بنوم حتى اني لا أظن ان البكاء فالق كبدي .

فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي . قالت : فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت : ولم يجلس عندي منذ قبل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحي إليه في شأني بشيء قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطره فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ عني فقال أبي : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال : قالت أمي ، والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ

من القرآن كثيراً اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدّقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف عليه السلام حين قال : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون : ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي وأنا اعلم أني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ولكن والله ما ظننت ان الله تعالى منزل في شأني وحياً يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها . وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل عليّ والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الاسلام . وأقبل على عائشة مغضباً قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما قام رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج احد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذ . ما كان يأخذه عند نزول الوحي من البرحاء بسبب شدة ثقل الوحي ، حتى انه ليتخدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات قالت : فسرّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة أما الله فقد برأك اي بما اوحاه اليه من القرآن قالت : فقالت لي أمي : قومي اليه ﷺ فقلت : لا والله لا أقوم اليه فاني لا احمد إلا الله عز وجل الذي برأني قالت : وانزل الله تعالى ﴿ ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين ، وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم .

قال السهيلمي : ان من نسب عائشة رضي الله عنها . الى الزنا كغلاة الرافضة ، كان كافراً لأن ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر . وفي الخصائص للسيوطي : من قذف أزواجه ﷺ فلا توبة له البتة ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره ، وقيل : يختص القتل عن قذف عائشة رضي الله عنها وحضر بعض الشيعة في مجلس الحسن بن يزيد الرفاعي ، وكان من عظماء اهل طبرستان فذكر الشيعي عائشة رضي الله عنها ونسب اليها شيئاً من القبيح ، فقال الحسن لغلامه ، يا غلام اضرب عنقه ، وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله ، وقال : هذا رجل من شيعتنا . فقال : معاذ الله ، هذا طعن على رسول الله ﷺ قال الله تعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثاً وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر

وهي الطاهرة المبرأة يا غلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها ، فضرب عنقه . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن اثاثة رضي الله عنه لقرابته منه وفقره فقال : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها ما قال فأنزل الله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه : بلى ، والله اني لأحب ان يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لا انزعها منه أبداً وكفّر عن يمينه . وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة .

لطيفة وهي ان ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديباً له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول :

لا تقطعن عادة برّ ولا تجعل عقاب المرء في رزقه
فان أمر الافك من مسطح يحط أمر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده يقول :

قد يمنع المضطر من ميتة اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة تكون إيصالاً إلى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه ما عوتب الصديق في حقه

قالت عائشة رضي الله عنها وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش ام المؤمنين رضي الله عنها عن أمري فقال لها : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها ، الا خيراً قالت عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني اي تضاهينني وتفاخرني بجمالها من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع ، وطفقت اختها حمنة تحارب لها . ولما بلغ صفوان بن المعطل رضي الله عنها ما قاله الناس قال : سبحان الله ، فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى أنه كان حصوراً أي عنيناً وأن معه مثل الهدية . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضي الله عنه . ويكفي شهادة الله له ولعائشة رضي الله عنها بالبراءة بقوله في ختم تلك الآيات ﴿ أولئك ﴾ أي

صفوان وعائشة ـ ﴿ مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي هذه الغزوة

قال عبد الله بن أبيّ ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الا عزمنها الاذل وسبب ذلك ان رجلاً من المهاجرين اسمه جهجاه ابن مسعود كان أجيراً لعمر رضي الله عنه ويقود له فرسه ، انطلق ليملأ قرباً للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فوجد الناس يزدحمون على الماء فأمر الناس بالامساك ليملأ قِرَب النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فنازعه رجل من الأنصار وكان أجيراً لعبد الله بن ابي فتنازعا ، فضرب المهاجري الانصاري فقال الأنصاري : يا للأنصاري ، وقال المهاجري يا للمهاجرين ، فأقبل جمع من الجيش وشهروا والسلاح حتى كادوا فأن يقتتلوا ، فأسمع الله رسوله ﷺ فقال : ما هذا ؟ فأخبروه فقال : دعوها فانها منتنة يعني دعوى الجاهلية . وقال عبد الله بن أبي اوقد فعلوا ؟ أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. وقال لجماعة من أصحابه آويتموهم وقاسمتموهم أموالكم ويصنعون بكم هكذا . وفي رواية انه قال : والله ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها انا فرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا وأنكرونا ملتنا ، والله ما اعدنا أي اظننا يعني معاشر الأنصار وقريش الا كما قال الأولى اي الأقدمون في امثالهم : سمن كلبك يأكل وأجع كلبك يتبعك : والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما سمعت ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ وقال أيضاً لأصحابه : لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم أغراضاً للمنايا ، فقتلتم دونه يعني النبي ﷺ فأيتمتم اولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضّوا من حول محمد ، والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي الناس عنه ﴾ .

فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه فجاء الى النبي ﷺ فأخبره ، وشاع كلام ابن ابيّ بين الناس فقال له بعض الأنصار انطلق الى رسول الله ﷺ واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى ، فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى النبي ﷺ واعتذر ، وحلف انه ما قال ذلك ، فقبل النبي ﷺ عذره ظاهراً تألفاً له كما كانت عادته ﷺ مع المنافقين ، ثم أنزل الله تكذيباً لابن ابي وتصديقاً لزيد بن ارقم ﴿ إذ جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك

لرسول الله ﴾ لآيات ، فقال النبي ﷺ لزيد بن أرقم رضي الله عنه : يا ذا الأذن الواعية إنّ الله صدّق مقالتك ، وتلا ﷺ الآيات ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله دعني أضرب عنق ابن أبيّ فانه رأس المنافقين ، فقال النبي ﷺ : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون ، من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ وجاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال : لما كان من امر ابن أبيّ ما كان جئت الى رسول الله ﷺ وهو في فيء شجرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت : يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال : تقحمت بي الناقة ، فقلت : يا رسول الله ، أتأذن لي ان أضرب عنق ابن أبي أومر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله ﷺ : كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل اصحابه وفي رواية قال عمر : يا رسول الله ، إن كرهت ان يقتله مهاجري فأمر به أنصارياً فقال ﷺ : لا آمر ولكن ائذن بالرحيل ، وكان ذلك في ساعة لم يكن يرحل فيها اي لشدة الحر ، ولعل النبي ﷺ أراد إطفاء الشر ، وخشي من اتساع الأمر بين المهاجرين والأنصار فارتحل الناس .

وجاء إلى رسول الله ﷺ أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوّة وسلم عليه اي قال : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال : يا بني الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها اي لانه كان لا يرحل إلا إذا برد الوقت ، فقال له رسول الله ﷺ : ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ فقال اسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أنت والله تخرجه إن شئت ، وهو والله الذليل وانت العزيز ، ثم قال : ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه وانه ليرانك قد استلبته ملكاً . ثم سار رسول الله ﷺ بالناس سيراً حثيثاً بحيث صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق من جلد أسفل بطنها وساروا يومهم ذلك وليلتهم ، وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالثامن .

وكان لعبد الله بن أبيّ بن يسمى الحباب فسماه النبي ﷺ عبد الله يوم موت ابيه ، وكان مؤمناً صادقاً رضي الله عنه فجاء الى النبي ﷺ لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل ابيه فقال : يا رسول الله ، انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني أباه فيما بلغك عنه ، فإن كنت تريده فمرني أنا احمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل

أبرّ بوالده مني واني اخشى ان تأمر به غير فيقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا . وفي رواية فمرني فوالله لأحملنّ إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لأخشى يا رسول ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار وعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله ﷺ : ما اردت قتله ولا امرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين اظهرنا ، ولما انتهى رسول الله ﷺ الى وادي العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبيّ حتى امسك بناقة ابيه وقال : والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وتعلم اليوم من الأعزّ ومن الأذلّ . وفي رواية حتى تقول رسول الله ﷺ الأعزّ فأنت الأذلّ أو لأضربنّ عنقك . فلما رأى منه الجدّ قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله ﷺ لأبنه جزاك الله خيراً ، وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً وقدم المدينة في رمضان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

غـزوَة الخـنـدَق

وتسمى غزوة الأحزاب ، قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع ، وقال ابن اسحق : سنة خمس في شوّال وبذلك جزم اهل المغازي ، ومال البخاري الى قول موسى ابن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بني النضير سار نفر من اليهود ، منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم ، وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم : إنا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله . قال ابن اسحق فقالت لهم قريش : إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أن ديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ الم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً الى قوله . وكفى بجهنم سعيراً ﴾ فسرت قريش ، يقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان من قبس بن عيلان فدعوهم الى حربه ﷺ ؛ واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، إن هم نصروهم ، وأخبروهم أن قريشاً تابعوهم على ذلك ، .

فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب ، وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفاً وخمسمائة ، بعير ، ولاقتهم بنوسليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية ، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه . وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري ، وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق رضي الله

عنه ، وخرج الحرث بن عوف المري في بني مرة وقد أسلم بعد تبوك رضي الله عنه ، وكان قومه الذين خرجوا معه اربعمائة وخرجت اشجع وهم اربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد اسلم بعد ذلك رضي الله عنه ، وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف ـ كما قال ابن اسحق ، وكان المسلمون ألفاً ، وقيل : ثلاثة آلاف ، وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرساً ، ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب وما أجمعوا عليه من الأمر الذي زعموه وهو استئصال المسلمين ، اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس ، وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، إنا كنا بفارس ، إذا حوصرنا خندقنا علينا ، فأمر رسول الله ﷺ بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين وأمر ﷺ أصحابه بالجدّ ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا ، وأمرهم بالطاعة . وكان الخندق في شامي المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جل سلع ، وخط ﷺ لكل عشرة من الناس عشرة أدرع يعملون فيها ، وكان سلمان رضي الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والأنصار فقال المهاجرون : سلمان منا . وقالت الأنصار : سلمان منا فقال النبي ﷺ : سلمان منا أهل البيت ، وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملاً ضعيفاً ويعتذرون بالضعف .

وفي البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق ونحن ننقل التراب على أكتافنا فقال ﷺ : اللهم لا عيش الا عيش الاخرة . فاكرم الانصار والمهاجره وهو من كلام ابن رواحة رضي الله عنه وأصله . لا هم ان العيش عيش الاخرة فنطق به النبي ﷺ : اللهم لا عيش الخ ، لأنه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفي البخاري ايضاً عن أنس رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ﷺ ما بهم من النصب قال :

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة

وأراد ﷺ تسلية أصحابه وتهوين الأمر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدروته وكونه مع المنغصات التي لا تتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع

الدنيا قليل وقال المهاجرون والأنصار مجيبين للنبي ﷺ :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي رواية انه ﷺ كان يجيبهم بقوله : اللهم ان العيش الخ ويحتمل انه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافي . وفي انشاد الشعر تنشيط على العمل ، وبذلك جرت عادتهم في الحرب واكثر ما يستعملونه الرجز .

وفي البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة ﷺ ، وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضي الله عنه :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
إن الألى قد رغبوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله : أبينا أبينا . وأخرج البيهقي عن سلمان رضي الله عنه انه ﷺ حين ضرب في الخندق قال : باسم الآله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا . فحبذا رباً وحب ديناً

وهو من كلام بعض أصحابه ، يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه ان يكون مقصوداً كونه شعراً موزوناً ، أما اذا خرج موزوناً بلا قصد فلا يسمى شعراً ، وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوّته ﷺ ، منها ما في صحيح البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت اي ظهرت لنا كديه شديدة ، يضم الكاف مصغراً وهي القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول فجاؤوا للنبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله هذه كدية عرضت في الخندق فقال : رشوها بالماء ، فقام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فسمى ثلاثاً ثم ضرب فعاد المضروب كثيباً اهيل اي رملاً يسيل وفي رواية : دعا باناء من ماء فنقل فيه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية . قال من حضرها فوالذي بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فأساً ولا مسحاة .

وفي رواية للبراء بن عازب رضي الله عنهما : عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعول ، فاشتكينا ذلك للنبي ﷺ فجاء وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال : باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لا بتي المدينة فقال · الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لايتيها فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله اني لأبصر قصر المدائن الأبيض الأن أي مدائن كسرى وفي رواية : والله اني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب من مكاني هذا وأخبرني جبريل ان امتى ظاهرة عليها فابشروا بالنصر ، فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال : باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لايتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاتي الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا : ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً . قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، انه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما إفتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما فتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك ، ومن إعلام نبوته ﷺ ما ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل ، فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة ، فأحب أن يدعو النبي ﷺ وبعض أصحابه عليه ، فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ، ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات .

وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بجفنة من تمر لأبيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهما ليتغديا به فقال لها ﷺ : هاتيه فصبته في كفيه فما ملأهما ثم امر بثوب فبسط له ثم قال لأنسان : اصرخ في أهل الخندق ان هلم الى الغداء ، فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدروا عنه ، وأنه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام . وقيل عشرين يوماً وقيل : اربعة وعشرين وقيل : شهراً . ولما فرغ رسول الله ﷺ من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم ، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من

المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع ،وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم ، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه ، وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضي الله عنه ، ولواء الأنصار سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وكانﷺ في تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضي الله عنه في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ، ويظهرون التكبير خوفاً على الذراري من بني قريظة .

وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد صالح رسول اللهﷺ على قومه وعاقده ، فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى ان يفتح له فقال له حيي : ويحك يا كعب افتح لي أكلمك . فقال له : اذهب عني إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قدعاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ،فإني لم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً ، فنسبه حيي الى البخل وقال له: والله ما أغلقت دوني إلا تخوّفاً على جشيشتك أن آكل معك منها ، والجشيشة بالجيم والشين البر يطعن غليظاً . ويقـال : الدشيش بالدال ، ولم يزل به حتى فتح له فقال : ويلك يا كعب ان توافقني جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان ، وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب : جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه فاني لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاء ، ولم يزل به يقتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبريء مما كان بينه وبين رسول اللهﷺ ، وأعطاه حيي عهداً على انه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ان أدخل معك في حصنك يصيبني ما اصابك ، ثم أرسل حيي بن اخطب الى قريش ان يأتيه منهم الف رجل ، والى غطفان ان يأتيه منهـم الف ليغيروا على المدينة ، وجاء الخبر بذلك الى رسول اللهﷺ فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذراري اشد من الخوف على اهل الخندق .

ولما بلغ رسول اللهﷺ ان بني قريظة نقضوا العهد قال من يأتى بني قريظه فيأتيني بخبرهم ؟ قال الزبير رضي الله عنه فقلت : أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لي رسول اللهﷺ بين ابويه في الفداء اي قال : فداك ابي وأمي وفي رواية انهﷺ بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال : انطلقوا لتنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ، فان كان حقاً

فالحنو إليَّ لحناً اعرفه ولا تفتوا في اعضاد الناس اي تكلموا إليَّ بكلام فيه إشارة وتلويح ، ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفاً على الناس أن يقع لهم تثبيط واصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس ، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كام بني قريظة في شأن عهدهم مع رسول الله ﷺ فقالوا : من رسول الله ؟ وتبرأوا من عقده وعهده .

وقال بعضهم : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله ﷺ فلحنوا له كما أمرهم وقالوا : عضل والقارة كغدرهما بأصحاب الرجيع أي غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال ﷺ : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضي الله عنه ، لاحتمال انهم أرسلوا دفعة او بعد إرساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لأنهم حلفاؤهم فيحتمل ان يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم ، فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فآتاهم عدوهم من فوقهم اي من اعلى الوادي من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم اي من أسفل الوادي من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضي الله عنهما أذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ، ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أي الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين ، كما قال تعالى ﴿ واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ قال ذلك معتب بن قشير ، وكان منافقاً قال : كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن ان يذهب الى الغائط وقيل : إن قائل ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدنية فقالوا : يا رسول الله ان بيتنا عورة من العدو اي غير حصينة فاذن لنا نرجع الى ديارنا فإنها خارج المدينة . قال تعالى ﴿ وما هي بعورة ان يريدون إلا فراراً ﴾ .

ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يريد قتل النبي ﷺ في زعمه على فرس له يسوس الخندق فوقع في الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل ، رماه المسلمون بالحجارة . ثم نزل اليه علي رضي الله عنه فقتله . وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله ﷺ إنا نعطيكم الدية اي وأذنوا لنا في دفنه . وفي رواية انهم اعطوا في جسده

عشرة آلاف على ان يدفع اليهم ليدفنوه ، فردّ اليهم النبيﷺ أنه خبيث لموته كافراً محارباً لله ورسوله ، وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ، ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا إرَبَ لنا في ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا انهم لا يدعون الطلائع بالليل ، يطمعون في الغارة ، ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا : والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيد بها ، وصار المشركون يتناوبون فيغدوا أبو سفيان وأصحابه يوماً ، ويفسدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب يوماً فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ، ويناوشون أصحاب رسول اللهﷺ أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم ، وكان النبيﷺ ، يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم : أبشروا بعون الله ونصره ، إني لأرجو ان أطوف بالبيت العتيق ، وآخذ المفتاح وليهلكنّ كسرى وقيصر ، ولتنفقن أموالهما في سبيل الله ، يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ، ثم أنهﷺ أراد أن يعطي عيينة ابن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا ، فمنعه السعدان رضي الله عنهما وقالا : كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة إلا بقرى او ببيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة ، والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقالﷺ : انتما وذاك وفي رواية ان النبيﷺ بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحرث بن عوف المزني . في ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه ، فجا آمستخفيين من أبي سفيان والتقيا مع النبيﷺ فوافقاه على ذلك ، بعد أن طلبا النصف بأبى عليهما إلا الثلث فرضيا بذلك . وأراد ان يكتب بذلك صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضي الله عنه فقيل : أمره النبيﷺ فكتب ، ثم استشار سعداً وقيل : قبل ان يكتب بعثﷺ الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما واستشارهما في ذلك فقالا : يا رسول الله امر تحبه فتصنعه ام شيء امرك الله به لا بدلنا من العمل به ، ام شيء تصنعه لنا ، وفي رواية فان كان امراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأي ما لهم عندنا إلا السيف فقال رسول اللهﷺ : لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فاردت ان اكسر شوكتهم الى امر مّا فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعني غطفان على الشرك بالله وعبادة

الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعاً وإن كانوا ليأكلوا العلهز في الجاهلية من الجهد ، فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنابك وبه نقطعهم أموالنا . وفي رواية نعطي الدنيئة ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم : فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك ، فأخذ سعد الصحيفة فما ما فيها من الكتابة ، وهذا يوافق القول بأنها كتبت وقيل : انه منع من كتابتها .

وجاء في رواية : أنه ﷺ قال له : شق الكتاب فشقه سعد ، وقال لعيينة والحرث : ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعاً صوته . وروى البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى الحرث يعني ابن عوف الى النبي ﷺ فقال : يا محمد ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأناها عليك خيلاً ورجالاً فقال : حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود ، وقيل : ان ذكر سعد بن الربيع وهم لأنه استشهد يوم احد فكلمهم النبي ﷺ فقالوا : لا والله ما أعطينا الدنيئة في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فأخبر الحرث فقال : غدرت يا محمد ، ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم ، وكان منهم عمرو بن عبدود العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ، ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب أخو عمر ورضي الله عنه ، وقد اسلم ضرار وعكرمة رضي الله عنهما ، وأما هبيرة فمات على كفره ، فلما صاروا بالسبحنة بين الخندق وسلع ، طلب عمرو بن عبدود المبارزة وقال : من يبارز ؟ فقام علي رضي الله عنهم وقال : أنا له يا نبي الله : فقال ﷺ : اجلس إنه عمرو ثم كرر عمر وو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول : اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم يدخلها ، أفلا تبرزون لي رجلاً فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله فقال : اجلس انه عمرو ، فقال : وان كان عمرو فأذن له رسول الله ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال : اللهم أعنه عليه ، اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين .

وفي رواية : أنه ﷺ رفع عمامته إلى السماء وقال : إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد ، وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً انت خير الوارثين ، فمشي اليه علي رضي الله عنه فقال : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى

أحدى خلتين أي خصلتين إلا قبلتها قال له : أجل ، أي نعم . قال علي رضي الله عنه : فأني أدعوك الى الله وإلى رسولهﷺ وإلى الإسلام فقال : لا حاجة لي بذلك . قال له علي فاني ادعوك الى البراز .

وفي رواية : انك كنت تقول : لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث إلا قبلتها قال : أجل . قال علي : فاني أدعوك ان تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتسلم لرب العالمين . فقال : يا ابن أخي أخر عني هذه قال : واخرى ترجع بلادك فان يك صادقاً كنت أسعد الناس به ، وان يك كاذباً كان الذي تريد قال : هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبداً كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت ، اي لأنه نذر لما أفلت هارباً يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهني حتى يقتل محمداً ، قال : فالثالثة قال : وما هي ؟ قال : البراز فضحك عمرو وقال : ان هذه لخصلة ما كنت اظن أن أحداً من العرب يروّعني بها . وفي رواية يروم مني هذه ثم قال له عمرو : من أنت ؟ لأن علياً رضي الله عنه كان مقنعاً بالحديد فما عرفه عمرو ، فأجابه وقال علي : قال ابن عبد مناف ، فقال : أنا علي بن أبي طالب فقال : غيرك يا ابن اخي من أعملك من هو أشد منك ، فاني أكره أن أهريق دمك ، وان اباك كان صديقاً لي . وفي لفظ : كنت نديماً له فقال له علي رضي الله عنه : انا والله ما اكره ان أهريق دمك . وفي رواية قال عمرو : يا ابن اخي ، فوالله ما احب ان أقتلك فقال علي : لكني والله احب ان اقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك اي اخذته الحمية .

وفي رواية فغضب فقال له علي : كيف اقاتلك وانت على فرسك ؟ ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار ، فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر ، واقبل على علي رضي الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة ، فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقنة فضربه عمرو فيها فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، فضربه عليّ على حبل عانقه وهو موضع الرداء من العنق ، وقيل طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون . فلما سمع رسول اللهﷺ التكبير عرف ان علياً رضي الله عنه قد قتل عمراً ، ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو النبيﷺ وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هلا سلبته درعه ؟ فانه ليس في العرب درع خير منها . فقال : انه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت . قال

الحاكم : سمعت الأصم قال : سمعت العطاردي قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل علي عمراً . إلا بقوله تعالى ﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴾

وفي تفسير الفخر الرازي : انه ﷺ قال لعلي رضي الله عنه بعد قتله عمرو بن عبدود : كيف وجدت نفسك معه ؟ قال : وجدت ان لو كان اهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم وذكر ابن اسحق ان المشركين بعثوا الى رسول الله ﷺ يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله ﷺ : هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ، ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له : يا ابا عبد الله ما رأينا مثل سيفك . فقال : والله ما هو السيف ولكنها الساعد : وقيل : ان الذي قتل نوفلاً علي رضي الله عنه وفي رواية ان رجلاً من المشركين قال يوم الخندق : من يبارز ؟ فقال ﷺ : قم يا زبير فقالت أمه صفية ؟ واحدى يا رسول الله فقال : قم يا زبير فقام فقتله ، ثم جاء بسلبه الى النبي ﷺ فنقله اياه .

وفي رواية ان نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة احسن من هذه يا معشر العرب ، فنزل اليه علي رضي الله عنه فقتله ويمكن ان علياً والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله ورجعت الخيول مهزومة . وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضي الله عنه بأبيات ، فلما رجعوا الى ابي سفيان قال : هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء فارجعوا .

وجاء في رواية : ان الزبير رضي الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج ام هانيء اخت علي رضي الله عنهما ، فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحقبها الفرس أي يجعلها على مؤخر ظهرها ، فأخذها الزبير رضي الله عنه وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن وهب على علي رضي الله عنه ، فأقبل علي رضي الله عنه عليهما فأما ضرار فولي هارباً ولم يثبت ، وأما هبيرة فثبت اولاً ثم ألقى درعه وهرب ، وكان فارس قريش وشاعرها وفي رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه اخوه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار يشتد في اثره فكر ضرار راجعاً وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال : يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلي عندك غير مجزي بها فاحفظها ، ووقع له مع عمر رضي الله عنه نظير ذلك في أحد فانه التقى معه

فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال : ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم منّ الله على ضرار بالاسلام ، فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه .

وكان شعار المسلمين يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل المراد خصوص الأنصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن ، ويقال لهذا العرق عرق الحياة ، وكان الذي رمى سعداً هو ابن العرقة العامري ، والعرقة بفتح العين وكسر الراء وهي أمه ، واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى ام فاطمة ، سميت العرقة لطيب ريحها ، وهي جدة خديجة رضي الله عنها ام ابيها. وابن العرقة هذا اسمه حيان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤي وقيل : العرقة انما هي أم عبد مناف ابي حيان . ولما رمى سعداً قال : خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضي الله عنه : عرق الله وجهك في النار . وقيل : أن الذي قال ذلك هو النبيﷺ ثم قال سعد رضي الله عنه : اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعني قريشاً فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرعيني . وفي رواية حتى تشفيني من بني قريظة وفي لفظ : اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوارسولك وكذبوه وأخرجوه ، وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتني حتى تقرعيني من بني قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها ، وما مات حتى حكم في بني قريظة كما يأتي . وقيل : ان الذي أصاب سعداً أبو أسامة الجشني حليف بني مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حيان والله اعلم .

واستمرت المقاتلة في يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصلّﷺ ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وصار المسلمون يقولون : ما صلينا فيقول رسول اللهﷺ : ولا أنا ، فلما انكشف القتال جاءﷺ الى قبته فامر بلالاً فأذن وأقام للظهر فصلى ، ثم قام لكل صلاة وصلى هو واصحابه وجاء في رواية جابر رضي الله عنه : انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووي بأنها قضيتان جرتا في أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما . وفي رواية ان التي فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع في بعض تلك الأيام .

وجاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت

الشمس ملأ الله أجوافهم وفي لفظ بطونهم وقبورهم نارا . ثم ان طائف من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتاً بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيراً محملة شعيراً وتمراً وتيناً حمل ذلك حي بن اخطب مدداً وتقوية لقريش ، فأخذها الأنصار وأتوا بها رسول الله ﷺ فتوسع بها أهل الخندق ، ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال : ان حيياً لمشؤوم ، ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضي الله عنه على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشهم اي تقاربوا منهم ساعة . وكان في أولئك المشركين وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ، فزرق وحشي الطفيل بن النعمان رضي الله عنه فقتله . ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون في الاغارة فاقام المسلمون في شدة من الخوف .

وفي الصحيحين دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزرهم وقام ﷺ في الناس فقال : يا أيها الناس ، لا تتمنو القاء العدو واسألوا الله العافية ، فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اي السبب الموصل . الى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله ، ودعا ﷺ بقوله : يا صريخ المكروبين ، يا مجيب المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي ، فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي . وقال له المسلمون : هل من شيء نقوله فقد بلغت الروح الحناجر ؟ قال : نعم قولوا اللهم استرعو راتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحاً وجنوداً وأعلم ﷺ اصحابه وصار يرفع يديه ويقول : شكراً شكراً .

وجاء ان دعاءه ﷺ كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر ، فعرف السرور في وجهه اي ومن ثم كان جابر يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ، ويتحرى ذلك اليوم ، وأما الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء فمحمولة على آخر أربعاء في الشهر، فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه ، وهو اليوم الذي اصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبي ﷺ يختلف الى ثلمة في الخندق ، والثلمة الخلل في الحائط .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يذهب الى تلك الثلمة فاذا اخذه البرد جاءني فأدفأته في حضني فاذا دفىء خرج الى تلك الثلمة ويقول : ما أخشى ان يؤتى

المسلمون إلا منهـا ، فبينما رسـول الله ﷺ في حضنـي صار يقـول : ليت رجـلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة ، الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله ﷺ : من هذا ؟ فقال سعد بن ابي وقاص : اتيت أحرسك يا رسول الله فقال : عليك هذه الثلمة فاحرسها ، ونام ﷺ حتى غط ، ثم قام في قبته يصلي لأنه كان ﷺ اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ، ثم خرج ﷺ من قبته فقال : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ، ثم نادى : يا عباد بن بشر ، قال : لبيك . قال ، هل معك أحد قال : نعم أنا في نفر حول قبتك يا رسول الله ، وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ لم يحرسها فبعثه ﷺ يطيف بالخندق واعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال : اللهم ادفع عنا شرّهم ، وانصرنا عليهم ، لا يغلبهم غيرك ، وإذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا ، ثم ان نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه أسلم وكتم إسلامه ، وأتى رسـول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني اسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت . وفي رواية أن نعيماً لما سارت الأحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء ، فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي ﷺ : ما جاء بك يا نعيم ؟ قال : جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فأسلم ثم قال : يا رسول الله إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال له ﷺ : إنما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعه بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضاً مع سكون الدال وضمها اي ينقضي أمرها بالمخادعـة ففيه التحـذير من مكر الكافرين وأنه لا ينبغي التهاون بهم والندب الى خداع الكفار ، وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه . وفي الحديث ايضاً الاشارة الى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلـذا قصر الحـرب على الخدعـة في قولـه : فان الحـرب خدعة ، فهو كقوله الحج عرفه ثم قال نعيم : يا رسول الله إني اقول اي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال : قل ما بدا لك فانت في حل ، فخرج نعيم حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما قادماً رأوني رحبوا بي وعرضوا عليّ الطعام والشراب ، فقلت : اني لم آت لشيء من هذا إنما جئتكم تخوفاً عليكم لأشير عليكم برأيي قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم : اكتموا عني قالوا : نفعل . قال : لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضـير من إجلائهـم واخـذ اموالهم وان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وابناؤكم ،

لا تقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم اي عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم فان رأو انهزة اي فرصة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم ، والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم سبعين رجلاً ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه اي يقاتلوه .

قالوا : لقد أشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا : نحن فاعلون : قال : ولكن اكتموا عليّ قالوا نفعل . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من أشراف قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وأنه قد بلغني امر قد رأيت ان ابلغكموه نصحاً لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال : تعلمون أن معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده.وقد أرسلوا اليه وانا عندهم أناقد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أنا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من اشرافهم اي سبعين رجلاً فنعطيك إياهم فتضرب اعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارنا يغنون بني النضير ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ، فأرسل اليهم نعم ، فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلاً واحداً واحذروهم على أسراركم ، ولكن اكتموا عني ولا تذكروا هذه الامر . قالوا لا تذكره ثم خرج حتى اتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس لي ، ولا أراكم تتهموني قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا علي قالوا : نعم . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ، فلما كان ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز اي نقاتل محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم : إن اليوم اي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدي في السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً سبعين رجلاً فقالوا : صدق والله نعيم .

وفي رواية ان بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولاً يقول لهم : ما هذا التواني والرأي ان تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا إليهم رهناً سبعين رجلاً من أشرافكم فانهم يخافون إن أصابكم ما تكرهون ،

رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جواباً ، وجاءهم نعيم وقال لهم : كنت عند ابي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال : لو طلبوا مني عناقاً ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم ، وجاء حيي بن اخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا : لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهناً عندنا ، وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح اي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها ، وصارت الريح تلقي الرجال على امتعتهم وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم ، وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم . قال الله تعالى ﴿ فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب ﴾. قالﷺ : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .

وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحاً صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم في ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين اي لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه إذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون : إن بيوتنا عورة اي من العدوّ لأنها خارج المدينة ، وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة ، فأذن لنا نرجع ، الى نسائنا وابنائنا وذرارينا فيأذنﷺ لهم قيل : ولم يبق معه تلك الليلة إلا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فراراً كما قال الله تعالى ﴿ يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم إنما رجع لألم البرد والجوع الشديدين ، أو الخوف الحقيقي على بيوتهم ، أو لفهمهم عدم التغليظ في ذهاب من يذهب ، فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قالﷺ : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا يا رسول الله . قال ذلك ثلاثاً والزبير رضي الله عنه يجيبه بما ذكر فقالﷺ : لكل نبي حواري اي ناصر وإن حواري الزبير ، وهذا قالهﷺ له أيضاً عند إرساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا ؟ كما تقدم ، وسيأتي قوله له ذلك ايضا في خيبر .

وجاء في حديث آخر حواري من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضي الله عنهما وفي رواية : انهﷺ قال : اي رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وأسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ : يكون معي يوم القيامة وفي لفظ : يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثاً فما قام أحد من شدة الجوع والبرد ، فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله

عنهما وأرسله كما يأتي ولم يرسل الزبير رضي الله عنه مع سؤال ذلك ثلاثاً لأن له حسدة وشدة لا يملك معها نفسه ان يحدث بالقوم شيئاً مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي ، فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند ائمة السير ، وهو ان المرسل انما هو حذيقة رضي الله عنه ، ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضي الله عنه وهو اشتباه وإنما إرسال الزبير رضي الله عنه في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد ، كما تقدم قال حذيفة رضي الله عنه لما دعاني رسول الله ﷺ لم أجد بداً من القيام حيث نوّه باسمه فجئته ﷺ فقال : تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت : والذي بعثك بالحق ان قد رعت أي ما قدرت على مابي من الجوع والخوف والبرد فقال : اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا . قال حذيفة رضي الله عنه : فلم يكن لي بد من الذهاب فقمت مستبشراً بدعائه ، فما شق علي شيء مما كان . وقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم . وفي رواية ، انه ﷺ لما كرر قوله ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ ولم يجبه احد قال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، حذيفة ابن اليمان . قال حذيفة رضي الله عنه : فمر عليّ رسول الله ﷺ وما عليّ الامرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا فقلت : حذيفة فقال ﷺ : حذيفة قال : حذيفة فتقاصرت بي الأرض قلت : بلى يا رسول الله قال : قم فقمت فقال : انه كان في القوم خبر فاتني بخبرهم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الاحياء منك من البرد ، قال : لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع اليّ فقلت : والله ما بي ان اقتل ولكن اخشى ان أؤسر فقال : انك لن تؤسر ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته . قال حذيفة فمشيت كأني في حمام وفي رواية فأذهب الله عني القرأى البرد والفزع أي الخوف وفي رواية فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي قراً ولا فزعاً ، الا خرج ، وما وجدت منه شيئاً وخرجت كأنما أمشي في حمام فلما ولينا دعاني فقال لي : لا تحدث شيئاً .

في رواية لا ترم بسهم ولا حجر ولا تضربن بسيف حتى تأتيني ، فجئت اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فدخلت في غمارهم فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليعرف كل امرىء جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليس لي على يميني وقلت : من انت ؟ قال : معاوية بن ابي سفيان . وقبضت بيدي على من على يساري وقلت : من انت ؟ قال : عمرو بن العاص . فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال ابو سفيان : يا معشر قريش والله انكم

لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل ، ووثب على جمله فما حل عقاله إلا وهو قائم اي فانه لما ركبه كان معقولاً فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة ابن ابي جهل : انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس ، فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول : ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم . ثم قال لعمر وبن العاص رضي الله عنه : يا أبا عبد الله تقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فأنا لا نأمن من أن نطلب ، فقال عمرو : أنا أقيم . وقال لخالد بن الوليد : ما ترى أبا سليمان ؟ فقال : أنا أيضاً أقيم ، فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر . قال حذيفة رضي الله عنه : ولولا عهد رسول الله ﷺ أليّ حين بعثني ان لا احدث شيئاً لقلته يعني أبا سفيان بسهم . وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم .

وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه : فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون : الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضر بهم بالحجارة لا تجاوز عسكرهم ، فلما انتصف الطريق إذا أنا بنحو عشرين فارساً معتمين فخرج الي منهم فارسان قالا : أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم : قال حذيفة رضي الله عنه : ثم أتيت رسول الله ﷺ فوجدته قائماً يصلي فاخبرته الخبر ، فحمد الله تعالى واثنى عليه . وفي رواية : فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد وجعلت أقرقف فأومأ إلي رسول الله ﷺ بيده قد نوت منه ، فسدل علي من فضل شملته فنمت ولم أزل نائماً حتى الصبح أي طلوع الفجر ، فلما أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله ﷺ : قم يا نومان اي يا كثير النوم وإنما جاءه البرد بعد رجوعه لأن النبي ﷺ إنما قال له : لا بأس عليك من حرو ولا برد حتى ترجع الي وقد رجع .

وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه : لما دخلت بينهم نظرت في ضوءنا نار توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الأحزاب وهو يقول : الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتي ابيض الريش لأضعه في كبد القوس لأرميه في ضوء النار ، فذكرت قوله ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى تأتيني فأمسكت ورددت سهمي ، فلما جلست فيهم أحس ابو سفيان انه

قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فقلت : من انت ؟ قال : معاوية ابن ابي سفيان ، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي فقلت : من انت ؟ قال : عمرو بن العاص ، فعلت ذلك خشية ان يقطن بي فبدرتهم بالمسئلة ثم تلبثت فيهم هنيهة فأتيت قريشاً اي بقية قريش وبني كنانة وقيساً وقلت : ما امرني به ﷺ أي فانه ﷺ قال له : ادخل حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت قريشاً فقل : يا معشر قريش انما يريد الناس إذا كان غداً ان يقال ابن قريش أين قادة الناس أين رؤوس الناس فيقدمونكم فتصلوا القتال ، فيكون القتل فيكم . ثم اتت بني كنانة فقل إذا كان غداً فيقال : اين الرماة ؟ فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم . ثم اتت قيساً فقل : يا معشر قيس إنما يريد الناس إذا كان غداً ان يقال : اين احلاس الخيل اين الفرسان ؟ فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم . ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم .

وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم أي حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء ، بل تطيش عقولهم ، وترعد اقدامهم ، وقد استجاب الله لرسوله ﷺ فأرسل عليهم ريحاً وجنوداً فهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الأسدي : أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال : وإلى ذلك اشار سبحانه وتعالى بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ الآية وكذا قوله تعالى ﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ وتقدم ان بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ فقال : نعم . قولوا اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه : فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال : فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في مائتي فارس في ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفي حديث جابر رضي الله عنه : انه ﷺ أتى مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر في

وجهه ، ومما دعا به ﷺ كما تقدم قوله : يا صريخ المكروبين ، يا مجيب المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي ، فأتاه جبريل فبشره بان الله تعالى يرسل عليهم ريحاً وجنوداً ، فأخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلاً : شكراً شكراً . وهبت ريح الصبا ليلاً فقلعت الأوتاد ، وأطفأت النيران ، وألقت عليهم الأبنية ، وأكفأت القدور على أفواهها ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصباء ، وسمعوا في جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح ، فارتحلوا هاربين في ليلتهم وتركوا ما إستثقلوا من متاعهم ، فغنمه المسلمون وانصرف ﷺ من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة ، وكان قد أقام بالخندق محاصراً خمسة عشر يوماً وقيل : اربعة وعشرين يوماً وقيل : شهراً . وقال ﷺ بعد انصراف الأحزاب : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا .

وفي رواية : الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم ، وقد كان كما أخبر ﷺ ، ففي ذلك علم من أعلام نبوته ﷺ .

وفي السيرة الحلبية أن أبا سفيان قبل ان يرتحلوا كتب كتاباً وأرسله للنبي ﷺ فيه : باسمك اللهم فاني أحلف باللات والعزى وأساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك في جمع وأن ا أريد ان لا اعود ابداً حتى أستأصلكم ، فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق ، وفي رواية : قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وإنما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ، ولك مني يوم كيوم أحد ، فارسل له رسول الله ﷺ جوابه فيه : أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ، الى صخر بن حرب ، فقد أتاني كتابك وقديماً غرك بالله الغرور ، أما ماذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل ، حتى اذكرك ذلك يا سفيه بني غالب انتهى . وقد حقق الله قوله ﷺ وكسر اللات والعزى وغيرهما من الأصنام وأعز الله الاسلام فإخبار بذلك قبل وقوعه علم من اعلام نبوته ﷺ .

وقد ذكر ابن اسحق انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضي الله عنه وسيأتي بيان وفاته ، وأنسر بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الأوس ، ومن الخزرج ، الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد ، وزاد الحافظ الدمياطي ، قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن ابي خالد .

وذكر الحافظ بن حجر في الكنى : ابا سنان بن صيفي بن صخر وقال : شهد بدراً

واستشهد في الخندق وقتل من المشركين ثلاثة : منبه بن عبيد العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وعمرو بن عبد ود .

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : انه ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج او العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وهذا من السجع المحمود . وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد ، والمذموم ما يأتي بتكلف واستكراه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . .

غـزوة بـني قريظـة

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وحاصلها انهﷺ لما انصرف من الخندق دخل المدينة في اليوم الذي انصرف فيه لسبع يقين من ذي القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها ، وقيل بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ودعا بماء فبينما هوﷺ يغتسل ، وقد غسل شق رأسه الشريف وفي رواية بينا رسول اللهﷺ في الغسل يرجل رأسه قد رجل احد شقيه . وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر ، أتاه جبريل عليه السلام معتجراً بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه . وفي رواية : عليه لأمة ولا معارضة لانه يجوز ان الاعتجار بالعمامة على تلك الأمة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة ، وهي كساء له وبرمن ديباج أحمر : فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح وفي رواية ، قال : يا رسول الله ، غفرا الله لك او قد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن ، إلا من طلب القوم ؟ يعني الاحزاب وقد بلغنا الأسد يعني حمراء الأسد أن الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون ، فقال رسول اللهﷺ : ان في أصحابي جهداً فلو أنظرتهم أياماً . فقال جبريل: انهض اليهم اي بني قريظة ، فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ، ولأدخلن عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل من معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الأنصار .

وفي البخاري عن انس رضي الله عنه قال : كأني انظر الى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم لموكب جبريل حين سار لبني قريظة .

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت : لما رجع النبيﷺ يوم الخندق بينما هو عندي

إذ دق الباب . وفي رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله ﷺ اي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت في اثره فاذا رجل على دابة والنبي ﷺ متكىء على معرفة الدابة يكلمه ، فرجعت فلما دخل قلت : من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه ؟ قال : ورأيتيه ؟ قلت : نعم . قال : بمن شبهتيه ؟ قالت : بدحية الكلبي . قال : ذلك جبريل أمرني ان امضي الى بني قريظة وهذا يؤيد أنه ﷺ كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة رضي الله عنها . وجاء في رواية عنها : فكأني برسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو اي جبريل ينفض رأسه من الغبار ، فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً وهو بلال رضي الله عنه أن ينادي في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة .

وفي رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلِّها . فقيل للذين لم يصلوا الظهر : ألا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة . وللذين صلوها لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة وبعث مناديا يقول : يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث علياً رضي الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، ولبس ﷺ السلاح والدرع والمغفر والبيضة ، وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيق بالضم وقبل ركب حماراً وهو اليعفور عريا ويمكن انه ركب في بعض الطريق حماره . وفي بعضه: فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ، ومر بنفر من الأنصار وقد لبسوا السلاح ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم دحية الكلبي مرّ على بغلة بيضاء . وفي رواية ، على فرس أبيض عليه الأمة وأمرنا بحمل السلاح . وقال لنا : رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا . فقال رسول الله ﷺ : ذاك جبريل ، بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم ، فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وغرز اللواء عند اصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه ﷺ فسكت المسلمون ، وقالوا : السيف بيننا وبينكم ، فلما رأى عليّ رضي الله عنه رسول الله ﷺ مقبلاً أمر أبا قتادة الأنصاري ان يلزم اللواء ورجع اليه ﷺ وقال : يا رسول الله ، لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لعلك سمعت منهم لي أذى . قال : نعم . قال : لو رأوني لم يقولوا شيئاً ، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم ؟ قال : يا اخوان

القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا ابا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وفي رواية : نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم وقال : أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوتَ ، وهو ما عبد من دون الله ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته أتشتموني ؟ فجعلوا يحلفون ما قلنا ، ويقولون : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وفي رواية : ما كنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير : يا أعداء الله ، لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعاً إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جُحر فقالوا : يا ابن الحضير ، نحن مواليك ، وخاروا اي خافوا . فقال : لا عهد بيني وبينكم ، وانما قال لهم : يا اخوة القردة والخنازير لأن اليهود مسخ شبابهم قردة وشيخوهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ، ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بدعن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر إلى أن جاؤوا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالاً لقوله ﷺ : « فلا يصلينَّ العصر إلا في بني قريظة ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . وبعضهم قال : نصلي ما أراد رسول الله ﷺ منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها ، وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل : وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ، ولا عنفهم رسول الله ﷺ لأن كلاً من الفريقين مأجور بقصده لأنهم مجتهدون ولم يعنف الذين اخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر . وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة وقيل : خمسة عشر يوماً ، وقيل : شهراً ، وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه . وقال رسول الله ﷺ يومئذ : نعم الطعام التمر . واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الأحزاب وفاء لكعب بما عاده عليه . كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم .

قال كبيرهم كعب بن أسد : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل ، وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يك من بني اسرائيل ، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا

الجالس يعني حيي بن أخطب ، أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصاراً وتكونون آمنتم بالكتابين الأول والآخر يعني التوراة والقرآن ، اي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وأن مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة ، ولما قال لهم كعب ذلك قالوا ، لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب : فاذا أبيتم عليّ هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً أي ولداً يخشى عليه وأن نظفر فلعمري لنجدنّ النساء والابناء قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال : فان أبيتم علي هذه فان الليلة ليلة السبت وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة . قالوا : نُفسد سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ . وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمداً فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان ابيتم ان تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية ، فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا : نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه ، وان القتل خير من ذلك قال : فاني بريء منكم . وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى قال : مر ، اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام وخلى سبيله ، وبعد ذلك لم يدر أين هو : ولما أخبر رسول الله ﷺ خبره قال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي ﷺ لحصارهم : يا بني قريظة لقد رأيت عبراً رأيت دار إخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز ، والجلد والترف والرأي انفاضل والعقل ، قد تركوا أموالهم تملكها غيرهم وخرجوا خروج لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم العهد في الذل والسبي ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم ﷺ ، فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، فوالله ، انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوّفهم بالحرب والسباء والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال : والتوراة التي نزلت على موسى يوم طور سيناء إنه العز والشرف

في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم إلا مقدمة جيش النبي ﷺ قد حلت بساحتهم فقال : هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل إلا الحلقة فأبى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانياً بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ .

فعاد شاس اليهم بذلك ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه لنستشيره في امرنا أي لأنه كان مناصحاً لهم لأن ما له وولده وعيا له كانت في بني قريظة ، وكانوا محالفين للأوس وهو منهم فأرسله رسول الله ﷺ اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت ما لهم ، فرق لهم وقالوا : يا ابا لبابة اترى ان تنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم وأشار بيده الى حلقه اي انه الذبح ، اي وفي لفظ : ما ترى أن محمداً قد أبى أن ننزل ، إلا على حكمه ؟ قال : فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة فوالله ، ما زالت قدماي من مكانهم حتى عرفت اني خنت الله ورسوله اي لأن في ذلك تنفيراً لهم عن الانقياد له ﷺ ، ومن ثم أنزل الله في ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ وقيل الذي نزل في ذلك قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ . والحق انّ كلاً من الآيتين نزل فيه : الاولى في اللوم عليه والثانية في توبته .

وفي رواية عن ابي لبابة رضي الله عنه : لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله ﷺ ان يرسلني اليهم دعاني فقال : إذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الأوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال : يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ، ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه ، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له ارضاً ، ولم نكثر عليه جمعاً ابدا ، ما ترى فإنا قد اخترناك على غيرك انتزل على حكم محمد ؟ قال ابو لبابة : نعم فانزلوا ، وأومأ الى حلقه بالذبح . قال ابو لبابة فندمت واسترجعت فقال لي كعب : ما لك يا ابا لبابة ؟ فقلت : قد خنت الله ورسوله ، ثم نزلت من عندهم وانّ عيني لتسيل من الدموع ، ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يلق

رسول الله ﷺ وارتبط في المسجد بعمود من عمده وهي التي كانت عند باب ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، وكان أكثر تنقل النبي ﷺ عندها وتعرف باسطوانة ابي لبابة ، واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر ، وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت او يتوب الله عليّ مما صنعت ، وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة أبداً ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه أبداً ، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأ قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ، واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه ، ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد اغرب ثم مكث ابو لبابة رضي الله عنه مربوطاً ست ليالٍ لا يذوق طعاماً ولا شراباً وتأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع ، وقيل مكث مربوطاً بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم باعادة الربط حتى خرّ مغشيا عليه ، ثم انزل الله توبته على النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ .

وكان نزول توبته ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك فرحاً بالتوبة لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، قالت : فقلت يا رسول الله ممّ تضحك أضحك الله سنك ، قال : تيب على أبي لبابة . قالت : قلت أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى ان شئت ، فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك ، فثار الناس اليه ليطلقوه وقبل قالوا له : قد تيب عليك فحلّ نفسك ، فقال : لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني ، فجاءه رسول الله ﷺ وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال : يا رسول الله إن من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي . فقال له ﷺ يجزيك الثلث إن تتصدق به .

وجاء في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال : فكنت في أمر عظيم في حر شديد عدة ليالٍ لا آكل فيهن شيئاً ولا أشرب وقلت : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ ، وذكرت رؤيا رأيتها ونحن محاصرون بني قريظة فاني رأيت كاني في حمأة أي طين أسود ىسنة اي صغيرة فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهراً جارياً فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني أجد ريحاً طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضي الله عنه فقال : لتدخلن في أمر تغمّ له ثم يفرج الله عنك فكنت اذكر قوله وأنا مرتبط فارجو

أن ينزل الله توبتي فلم أزل كذلك حتى كنت ما أسمع الصوت من الجهد ورسول الله ﷺ ينظر اليّ حتى أنزل الله توبتي . ثم أن بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل : سبعمائة وخمسين مقاتلاً وهو الذي تقدم عن حيي بن اخطب : وقيل : كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل : كانوا أربعمائة ويجوز أن يكون ما زاد على ذلك اتباعاً لا يعدون فلا تخالف ، وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفاً واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثب الأوس فقالوا : يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد فعلت ، يعنون بني قينقاع ، لأنهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول .

وقد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وقد كلمه فيهم عبد الله ابن أبي بن سلول فوهبهم له على ان يجلوا كما تقدم فظنت الأوس من رسول الله ﷺ أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج ، فلما كلمته الأوس ابى أن يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم : أما ترضون يا معشر الأوس ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى فقال ذلك الى سعد بن معاذ وقيل : انه ﷺ قال لهم : اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الأوس حينئذ وقيل : ان بني قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله ﷺ . قال ابن هشام : حدثني من أثق به أن علياً رضي الله عنه صاح على بني قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ، ثم تقدم هو والزبير قال : والله لا أذوقنْ ما ذاق حمزة أولا ، لأقتحمنّ حصنهم فخافوا . وقالوا : ننزل على حكم سعد .

قال الحافظ ابن حجر : كانهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى ﷺ ، فلما سأله الانصار فيهم رد الحكم الى سعد وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها : فلما اشتد بهم البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فلما استشاروا أبا لبابة قالوا : انتزل على حكم سعد فحصل في سبب ردّ الحكم الى سعد أمر أن احدهما سؤال الأوس والآخر إشارة ابي لبابة وكانوا حلفاء سعد ، وكان سعد ابن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد النبوي في خيمة رفيدة رضي الله عنها ، وقد كان ﷺ قال لقوم سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب ، ورفيدة هذه امرأة من أسلم كانت لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله ﷺ وهم

يقولون له : يا ابا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت من ابن ابي ما صنع في حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقال بعضهم : واقوماه ، فلما إنتهى سعد الى رسول الله ﷺ والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله ﷺ : قوموا الى سيدكم .

وفي رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا : يا ابا عمر وان رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : احكم فيهم يا سعد فقال : الله ورسوله احق بالحكم قال : قد امرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد اي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله ﷺ عليكم بذلك ، عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم بما حكمت قالوا : نعم . قال : وعلي من ههنا مثل ذلك ، وأشار الى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له ثم قال سعد لبني قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به سعد . قال سعد : فإني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء ، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار . فقالت الانصار : اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال : اني احببت ان يستغنوا عنكم . فقال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية .

لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات قد طرقني بذلك الملك سحرا ، والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر أن يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك ، فجمع فوجد فيها الف وخمسمائة سيف ، وثلثمائة درع ، وألفا رمح ، وخمسمائة ترس وحجفة ، ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أي يسقى عليها الماء ، وماشية وشياة كثيرة ، وخمس ذلك مع النخل والسبي ، ثم قسم الباقي على الغانمين .

وفي رواية ثم امر بالباقي فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت أسهم القسمة ثلاث آلاف واثنين وسبعين سهماً لأن المسلمين ثلاثة آلاف ، والخيل ست وثلاثون ، وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ، ثم ان رسول الله ﷺ أمر بالاسارى ان يكونوا في دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية في دار بنت الحرث التجارية ، ثم غدا ﷺ الى المدينة ، ثم خرج الى

سوق المدينة فخندق فيها خنادق اي حفر فيها حفائر وفي رواية شق أخدوداً وجلس ﷺ ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤوا أرسالاً تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق . وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد : يا كعب ما ترى يصنع بنا ؟ قال : انتم في كل موطن لا تعقلون ، الا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل ، قد دعوتكم الى غير هذا فابيتم علي ؟ قالوا ليس حين عتاب ، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ ثم رد عليهم التراب في تلك الخنادق ، وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ، ونشرت شعورها ، وضربت خدودها ، وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من أتى به معهم عدو الله حيي بن أخطب ، مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله ﷺ قال : الم يمكن الله منك يا عدوّ الله ؟ قال : بلى . أبى الله إلا تمكينك مني ، والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل .

وفي رواية ، قال : بلى ، ولقد قلقنا كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه ، ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بني قريظة قال له ﷺ : يا كعب قال : نعم ، يا أبا القاسم . قال : ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقاني ، أما أمركم باتباعي وأنكم ان رأيتموني تقرؤوني منه السلام ؟ قال : بلى ، والتوراة يا أبا القاسم ، لولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود ، فأمر رسول الله ﷺ أن يقدم فتضرب عنقه ، ففعل به ذلك . وكان المتولى لقتلهم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وقيل : ان بعضاً منهم تولى قتله الأوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب ابن المنذر رضي الله عنهما قالا : يا رسول الله ، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم ، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه : ما كرهه من الأوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله . وقام أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال : يا رسول الله لا تبق داراً من الأوس إلا فرقت فيها منهم ، فمن سخط فلا يرغم الله إلا أنفه فابعث إلى داري أوّل دورهم ، ففرق ﷺ منهم فيها فقتلوهم . قال بعضهم : إن الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الأوس فقتلوا من بعث به إلى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله ﷺ ، وإزالة لما حاك في صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير رضي الله عنهما ، فلا تنافي وبقي ﷺ عند الأخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب ،

فرد عليهم التراب . وكان الذين أرسلوا الى الأوس حملوا بعد القتل الى الأخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة . كما تقدم ولم يقتل من النساء إلا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بيانه . وقيل: مزنة ، كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لأنه أحب ان لا تبقى بعده فيتزوّجها غيره، وقد أسهم النبيﷺ لخلاد بن سويد هذا وقال : إن له أجر شهيدين ، وأسهم لسنان بن محصن وقدمات في زمن الحصار .

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت : لم يقتل من نسائهم ، إلا امرأة واحدة قالت : والله إنها لعندي تتحدث وتضحك ظهراً وبطناً اي وكانت جارية حلوة ورسول الله ﷺ يقتل رجالها أي لأنها دخلت على عائشة رضي الله عنها ، وبنو قريظة يقتلون إذ هتف هاتف باسمها : اين بيانة ؟ فقالت : ها أنا والله قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت لها مالك ؟ ويلك . قالت : اقتل : قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته .

وفي لفظ : قالت قتلني زوجي فقالت لها عائشة رضي الله عنها : كيف قتلك زوجك ؟ قالت أمرني أن ألقى رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئة ، فأدركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وانا أقتل به وفي رواية قالت كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد ما يتحابّ الزوجان فلما اشتد الحاحه قلت لزوجي يا حسرتا على أيام الوصال ، كادت ان تنقضي وتتبدل بليالي الفراق ، وما أصنع بالحياة بعدك ؟ فقال زوجي إن كنت صادقة في دعوى المحبة تعالي ، فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصين الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة . فألقي عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحداً منهم فيقتله ، فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله عنها : فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما رأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها ، وقد عرفت انها تقتل .

وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وكان شيخاً كبيراً وكان قد منّ على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث ، وهي الحرب التي كانت بين الأوس والخزوج قبل قدومه ﷺ المدينة ، وكان الظفر فيها اللأوس على الخزرج . وذلك ان الزبير بن بطا اخذ ثابت بن قيس فجزّ ناصيته ثم خلى سبيله ، فجاء ثابت للزبير يوم قتل بني قريظة فقال له : يا ابا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ فقال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ قال : اني أردت أن أجزيك

بيدك عندي . قال : ان الكريم يجزي الكريم وأحوج ما كنت اليه الآن ، ثم أتى ثابت الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه كان للزبير على منة وقد احببت ان اجزيه بها ، فهب لي دمه فقال رسول الله ﷺ : هو لك فأتاه فقال له : ان رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك . فقال شيخ كبير : لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال ثابت : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وامي امرأته وولده فقال : هم لك فجئته فقلت : اهلك وولدك لك . فقال : أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ قال : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله ، ماله ؟ قال : هو لك فأتيته فقلت له : قد أعطاني رسول الله ﷺ ما لك فهو لك فقال اي ثابت : أما أنت فقد كافأتني وقد قضيت الذي عليك ما فعل بالذي كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسيد ، سيد بني قريظة قلت : قتل قال : فما فعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجدب ويطعمهم في المحل حيي بن أخطب ؟ فقلت : قد قتل قال : فما فعل بمقدّمنا بكسر الدال مشددة إذا شددنا وحمينا إذا فررنا عزال بتشديد الزاي ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت : قتل : قال : ما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قلت : قتلوا : قال : فاني أسألك يا ثابت بيدك عندي ألا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، إرجع الى دار قد كانوا حلولاً فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لي بذلك ، فما أنا بصابر إفراغة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة اي مقدار الزمن الذي يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت ، فقلت له : ما كنت لأقتلك . فقال لا أبالي من قتلني فقتله الزبير بن العوام رضي الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضي الله عنه قوله : ألقي الأحبة قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً .

وفي رواية إن النبي ﷺ قال لثابت بن قيس : لك أهله وماله إن أسلم أو لم يسلم . ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون في السبي . قال عطية القرظي : كنت غلاماً فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي عن القتل وكان رفاعة القرظي قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر ، وكانت إحدى خالاته ﷺ اي خالات جده عبد المطلب ، لأنها من بني النجار فقالت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فوهبه لها فأسلم رضي الله عنه واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة من نساء بني قريظة ريحانه بنت شمعون بن زيد القرظي ، فتزوجها بعد ان اسلمت وحاضة حيضة وكان جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا اي نصف اوقية ، وأعرس بها في المحرم سنة ست وقيل : كان يطؤها

بملك اليمين وله أشار سبحانه وتعالى الى قصة بني قريظة بعد ذكر قصة الأحزاب بقوله ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ .

وقد أشار صاحب الهمزية ، الى ذلك والى نقضهم العهد الذي كان بينهم وبينه ﷺ ، واغترارهم بالاحزاب بقوله :

وتعدّوا الى النبي حدوداً ... كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الأحزاب إخوا ... نهم أننا لكم أولياء
وبيوم الأحزاب إذ زاغت الأبـ ... صار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا في احمد منكر القو ... ل ونطق الأراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو ... ء سفاهاً والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو ... م وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سماً ولم يد ... ر اذا الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه ... فهو من سوء فعله الزباء
اوهو النحل قرصها يجلب الحتـ ... ـف اليها وماله إنكاء

ولما انقضى شأن بني قريظة قال ﷺ : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم ، وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بني قريظة ، فانه سأل الله لما أصيب بالسهم في الخندق وقال : اللهم لا تمتني حتى تقرّعيني من بني قريظة وقيل : إن دعاءه بذلك كان في الليلة التي في صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين .

وفي لفظ فدعا الله ان لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة ، فاستجاب الله دعوته ، وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال : اللهم إنك تعلم انه ليس أحد أُحب حب إلى ان أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه ، اللهم اني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فان كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فأفجرها اي الجراحة واجعل موتي فيها ، فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم اي أهل المسجد إلا

الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بني غفار ، وهو زوج رفيدة الأسلمية فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا م من قبلكم ؟ فاذا سعد يسيل جرحه دماً له هدير فات منها .

وجاء في رواية ان عنزاً مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ، ولم يحضر النبيﷺ موته ، بل جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد من هذا العبد الصالح ؟ وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه ، واهتز العرش لقدومها ؟ فقام رسول اللهﷺ سريعاً يجُرُ ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قدمات وجا أنه شهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة ما وطئوا الأرض إلا يومهم ذاك .

واختلف العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل : إن اهتزازه تحركه فرحاً بقدوم روح سعد وقيل : جعل الله حركته علامة للملائكة على موته ، وقيل : المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه إهتز له ، ومنه اهتزت الأرض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم فانهملا يريدون اضطراب جسمه وحركته ، وانما يريدون ارتياحه لها وإقباله عليها . وقيل : هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون : ظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة ، فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفاً عليه لمحافظته على الحق ، ولذا قال كثير من المحققين إنه كان في الأنصار كالصدِّيق رضي الله عنه في المهاجرين ، ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته ، وكان رجلاً بادناً وكأنّ المنافقين قالوا ذلك استهزاء به ، وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد ، فقال النبيﷺ رداً عليهم : ان الملائكة كانت تحمله ، ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت :

وقوبل ام سعد سعدا صرامة وحدا وسوددا ومجدا وفارسا سعدا سدبه مسدا

فقالﷺ : كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه . وفي رواية : قال لها لا تزيدي على هذا . وكان فيا علمته والله حازماً في أمر الله قوياً في امره كل النوائح تكذب إلا أم سعد ، وروى انه قال لها : ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك

يضحك الله له ، وذلك كناية عن إقبال الله عليه بالروح والريحان ، والمغفرة والرضوان .

وروى البيهقي : انه ﷺ حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت : احتسبتك عند الله عز وجل ، وعزّاها ﷺ وهو واقف على قدميه على القبر ، فلما سوّى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية الخدرية ، وهي أوّل من بايع النبي ﷺ من نساء الأنصار . وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال ﷺ لهم : اتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين ، وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة ، وإن أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لأن المنديل أدنى الثياب لانه معدّ للوسخ والامتهان ، فغيره أفضل منه بالأولى . واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال : قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ، ثم نظر اليها بعد ذلك ، فإذا هي مسك ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله سبحان الله مرتين تعجباً من كون تراب قبره صار مسكاً . ثم قال : الحمد لله شكراً على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ، ثم فرج الله عنه . وعن جابر رضي الله عنه قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبّح ﷺ ، فسبّح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مم سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا . وجاء انه ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة الى الخد فابتاع لهم بها سلاحاً وخيلاً وفي رواية : بعث بها سعد ابن عبادة رضي الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحاً وخيلاً كثيراً ، ثم قسمها رسول الله ﷺ على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية القرطاء وحديث ثمامة

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم من بطن من بني بكر ، وكانوا ينزلون بنا حية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ، ثم تاء تأنيث وهي قرية لبني كلاب على

طريق البصرة الى مكة ، وهي الى مكة اقرب ، وبها جبل يسمى البكرات ، وبين ضرية والمدينة سبع ليالٍ بعث ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري في ثلاثين راكباً إبلاً وخيلاً ، وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشنّ الغارة عليهم اي يفرق الخيل المغيرة على العدوّ ففعل ما أمره به ، فلما أغار عليهم هرب سائرهم ، اي باقيهم بعد من قتل ، وكان المقتول منهم عشرة وقيل : نحو العشرين : واستاق مائة وخمسين بعيراً وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ، وغاب تسع عشرة ليلة ، واسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفي روى ابن اسحق عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن خيلاً لرسول الله ﷺ أخذت رجلاً ولا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله ﷺ فقال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، فربطوه بسارية من سواري المسجد بأمره ﷺ لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه .

فخرج اليه ﷺ فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل نادم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك أن تنعم تنعم على شاكر فتركه ، حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي ما قلت لك : فقال : أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قال : والله يا محمد ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك وقد اصبح وجهك أحب الوجو إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره النبي ﷺ أي بخيري الدنيا والآخرة او بالجنة او بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره ان يعتمر فلما قدم مكة يلبي وينفي الشريك عن الله قال له قائل : صبوت اي خرجت عن دينك ؟ قال : لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ ، وروى أنهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه :

ومنا الذي لبى بمكة معلناً   برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئاً فكتبوا اليه ﷺ . إنك تأمر بصلة

الرحم ، وإنك قد قطعت ارحامنا ، فكتب ﷺ الى ثمامة ان يخلي بينهم وبين الحمـل .
وروى البيهقي في الدلائل ، ان ثمامة بن اثال الحنفي لما أتى به النبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله فأسلم ولحق بمكة ثم رجع ، فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أي الوبر والدم ، فجاء ابو سفيان الى النبي ﷺ فقال : ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ قال : بلى قال : فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع وفي رواية انشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه ان يخلي بينهم وبين الحمـل ، فانظـر الى هذا الحلـم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريباً في وقعة الأحزاب ، ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾ بل جاء في بعض الروايات : انه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفي قصة ثمامة رضي الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر في المسجد والمن على الأسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحـب ، وان الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له ان يستمر في ذلك الخير وملاطفة من يرجى إسلامه من الأسرى ، إذا كان في ذلك مصلحة للاسلام ولا سيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعثت السرايا الى بلاد الكفار ، وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك في قتله وإبقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسيء لانه اقسم ان بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه اليه ﷺ من العفو والمن من غير مقابل . وجاء في بعض الروايات : أنه بعد ان أسلم جاؤوه بالطعام فلم ينل منه إلا قليلاً وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون فقال ﷺ : مم تعجبون من رجل أكل اول النهار في معى كافر وأكل آخر النهار في معى مسلم ؟ ان الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معى واحد . ثم صار ثمامة رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقاً كثـيراً من قومه ، ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضي الله عنه ، بل جاء انه قام مقاماً حميداً بعد وفاة النبي ﷺ حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ ثم قال لهم : فاين هذا من هذيان مسيلمة ، فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين رضي الله عنه ونفع به .

غـزوة بـني لحيـان

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكانت في غرة شهر ربيع الاوّل سنة ست من الهجرة وقبل سنة خمس وقيل : اربع . وسببها انه ﷺ وجد أي حزن على عاصم بن ثابت واصحابه وجداً شديداً والمراد بأصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وإن كانوا في سرية وحدهم فأظهرﷺ انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه ، وسلك على غراب وهو جبل بنا حية المدينة ثم على طريقة الى الشام ، ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ، ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب ، واد بينه وبين عسفان خمسة اميال ، وهي منازل بني لحيان حيث كان مصاب أصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة ، فسمعت به بنو لحيان فهربـوا في رؤوس الجبـال خوفـاً من المنصـور بالرعبﷺ ، فلم يقدر على احد منهم فأقام يوماً او يومين يبعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم ، ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث ابا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ، فأتوا كراع الغميم وهو وادٍ أمام عسفان بثمانية اميال يضاف كراع اليه ، وكراع جبل اسود بطرف الحرة ممتد اليه ، ثم رجعﷺ هو وأصحابه ولم يلقوا كيداً .
قال ابن اسحق : انهﷺ لما ما حصل من غرتهم ما اراد قالﷺ : لو أنَّا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من اصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضي الله عنه مع عشرة فوارس وانصرفﷺ الى المدينة وهو يقول : آيبون تائبون لربنا حامدون ، أعوذ بالله . من وعثاء السفر وكآبة المنظر في الأهل والمال ، اللهم بلغنا بلاغاً صالحـاً ينظـر الى خـير مغفرتك ورضوانك . وفي الصحيح ،عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانﷺ إذا أوفى على ثنية أوفد قد كبر ثلاثاً ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، وكانت غيبته ﷺ عن المدينة في هذه الغزوة أر بع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

غـزوَة الغـَابة

وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحـو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان ، وكانت في ربيع الأول سنة ست وقيل في جمادي الأولى وقيل : في شعبان وفي البخاري : انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وبعد الحديبية بعشرين يوماً وفيها انه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهي ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذي لا مالك له ، بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم ، وبذي قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين . وكان ابو ذرّ وابنه وامرأته رضي الله عنهم فيها فأغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعاء في اربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذرّ رضي الله عنه واسمه ذر ، وكان يرعى الابـل واسروا المرأة واسمها ليلى .

وفي رواية ان ابا ذرّ رضي الله عنه استأذن النبي ﷺ للقاحه فقال ﷺ : إني اخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فألح عليه فقـال ﷺ : لكأنـي بك قد قتـل ابنك وأخذت امرأتك وجئت توكأ على عصاك : قال ابو ذر رضي الله عنه بعد ذلك : عجباً لي يقول لي ذلك وأنا ألحّ عليه فكان والله ما قال . فلما كان الليل احدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم ابني فقتلوه وأسروا امرأتي ثم أنها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبي ﷺ لأنهم اوثقوها ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانطلقت وركبت ناقة للنبي ﷺ ليلاً على حين غفلتهم .

وفي رواية : انهم اوثقوا المرأة فانفلتت ليلاً من الوثاق فأتت الابل فكانت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لأنها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتي ذكره فلم ترغ فقعدت في عجزها ثم زجرتها ، فانطلقت

وعلموا بها فطلبوا فأعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها ، فلما قدمت على النبيﷺ أخبرته بذلك وقالت ؟ يا رسول الله اني نذرت لله تعالى أن أنحرها ان نجاني الله عليها فقال : بئسما جزيتها إن حملك الله عليها ونجاك أن تنحريها إنه لا نذر لأحد في معصية ، ولا لأحد فيما لا يملك إنما هي ناقة من أبلي ، ارجعي الى اهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما أغاروا على اللقاح في يومهم ذلك ، جاء الصريخ فنادى : الفزع الفزع ونودي : يا خيل الله اركبي وركبﷺ في خمسمائة وقيل : سبعمائة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه في ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضي الله عنه في رمحه وقال : امض حتى تلحقك الخيول وأنا على اثرك فأدرك اخريات العدوّ .

وفي البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرجت قبل ان يؤذن بالأولى ، وكانت لقاح رسول اللهﷺ ترعى بذي قرد ، فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : اخذت لقاح رسول اللهﷺ ؟ قلت : من اخذها ؟ قال : غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه يا صباحاه ، فأسمعت ما بين لابتي المدينة . وفي رواية للطبراني وابن اسحق : فأشرفت من سلع ثم صحت يا صباحاه فانتهى صياحي الى النبيﷺ ، فنودي في الناس الفزع الفزع ، فترامت الخيول اليه فكان اوّل من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد ابن زيد الأنصاري واسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز ابن نضلة وابو قتادة وابو عياش .

وفي رواية : ان النبيﷺ امر سعد بن زيد وقال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقيل : امر المقداد فساروا وتقدمهم ابو قتادة فأدرك في طريقه مسعدة بن حكمة الفزاري فقتله وسجاه ببرده ، فلما وصل المسلمون اليه وهو مسحي استرجعوا اي قالوا انا لله وإنا اليه راجعون ، ظناً منهم ان المسحي هو ابو قتادة ، وانه قتل . فقال النبيﷺ : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه . وقيل : ان قتيل ابي قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزاري ويحتمل أن له اسمين ، فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه ، ولقي عكاشة بن محصن رضي الله عنه في طريقه أبان بن عمرو وابنه عمراً على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً . واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز ابن نضلة من بني أسد بن خزيمة ممن شهد بدراً رضي الله عنه قال ابن اسحق : كان أوّل فارس لحق بالقوم فقال : قفوا يا معشر بني اللكيعة ، فحمل عليه رجل

منهم فقتله ، وتحول على فرسه ملحقه أبو قتادة فقتله ، وتحوّل على الفرس وأدرك سلمة بن الأكوع رضي الله عنه القوم . قال ابن اسحق : إن سلمة رضي الله عنه صرخ واصباحاه ، ثم خرج يشتد في آثار القوم فكان مثل السبع ، وكان يسبق الخيل في جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفي البخاري عنه ، رضي الله عنه : ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد اخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول ، خذها وانا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، وارتجز حتى استنفذت اللقاح وثلاثين بردة .

وفي صحيح مسلم : فاقبلت أرميهم بالنبل وارتجز فما زلت أرميهم وأعقرهم ، فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست في اصلها ثم رميته فعقرته ، فاذا تضايق الجبل ودخلوا في مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة ، فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله ﷺ من بعير الا خلفته وراء ظهري ، ثم أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً يتخففون بها ، فاتوا مضيقا فاتاهم عيينة ممداً لهم ، فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال : من هذا ؟ قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعني الشدة والأذى ، ما فارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شيء في ايدينا وجعله وراء ظهره ، فقال عيينة : لولا أنه يرى وراءه طلباً لكم لترككم ، ليقم اليه اربعة منكم قال سلمة : فصعدوا في الجبل فقلت لهم : اتعرفونني ؟ فقالوا : من انت ؟ قلت : ابن الاكوع ، والذي أكرم وجه محمد ﷺ لا يطلبني رجل منكم فيدركني ، ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : اظن ، فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ وقوله : اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع ، والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع ، اي رضع اللؤم وقيل : معناه اليوم يعرف من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره . وقيل : معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ، ولحق رسول الله ﷺ الناس والخيول عشاء ، فنزلوا بذى قرد وأقام يوماً وليلة . قال سلمة : لما لحق رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله ، ان القوم يعني غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثني في مائة لاستنفذت ما في أيديهم من السرح ، وأخذت باعناق القوم اي اسرتهم وقتلتهم .

وفي رواية لمسلم : وأتاني عمي عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ، ثم أتيت النبي ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فإذا هو قد أخذ كل شيء استنفذته منهم ، ونحر له بلال رضي الله عنه ناقة وشوى له

من كبدها وسنامها فقلت : يا رسول الله ، خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبعهم فلا يبقى منهم مخبر ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : أتراك كنت فاعلاً ؟ قلت : نعم ، والذي أكرمك . فقال رسول الله ﷺ : يا ابن الا كوع ملكت فأسحج اي قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة كان بالكسر السهولة اي لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو ، فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمل على نصر الاسلام ثم قال ﷺ : إنهم الآن ليقرون في قومهم يعني أنهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث في أثرهم لأنهم لحقوا بأصحابهم ، وزاد مسلم : فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها أو اغبرة فتركوها وقالوا : أتاكم القوم ، وخرجوا هراباً وفيه معجزة له ﷺ حيث اخبر بذلك ، فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه فلما أصبحنا قال ﷺ : خير فرساننا اليوم ابو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة ، فأعطاني سهم الراجل والفارس جميعاً . وفي رواية وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، فجاءت الإمداد ، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهو الى رسول الله ﷺ ، فاستنقذوا عشر لقاح أفلت القوم بما بقي وهي عشر من اللقاح .

وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين : انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم : بان سلمة قال ذلك بحسب ظنه ، وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم . ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي بمجرده ان معها زيادة عليها ، لما روى ان معها جملاً كان لأبي جهل ، ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة ابي ذر رضي الله عنهما ، وكان عودها بعد عود النبي ﷺ المدينة كما تقدم وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف ، وأقام به يوماً وليلة يتجسس الخبر ، ورجع وقد غاب خمس ليال ، وأردف اسامة رضي الله عنه خلفه في رجوعه ، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وبعث اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر ، فيحتمل ان الجزائر المنحورة مما بعثه ، او مما اخذوه من القوم .

قال الحافظ بان حجز : وفي القصة من الفوائد جواز العدو التسديد في الغزو والإنذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه ، واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ، ومحله حيث يؤمن الافتتان ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

سرية الغمر

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه ، الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبني أسد ، على ليلتين من فيد ، بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس : قلعة بطريق مكة ، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلاً عقب أمره ﷺ له بالخروج دون تراخ ، فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفاً اي خلية عن سكانها لهربهم ، فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريباً ، فقصدوها فأصابوا رجلاً منهم فأمنوه فدلهم على تعم لبني عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالأبل على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيدا .

سرية محمد بن مسلمة الأنصاري

الى ذي القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً من طريق الربذة ، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة ، ومعه عشرة الى بني ثعلبة ، فورد عليهم ليلاً بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم ، فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم ، فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم ، فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه ، السلاح ، فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد إليه ، وقد قتلوا من القوم رجلاً ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحاً يضرب كعبة ، فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى ، فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فجمله حتى ورد به المدينة جريحاً ، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر ابن الجراح امين هذه الأمة أحد العشرة المبشّرين رضي الله عنهم في ربيع الآخر في اربعين رجلاً الى مصارعهم فأغاروا عليهم فلم يجدوا احداً ، ووجد نعماً ، وشاء فانه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث ابي عبيدة رضي الله عنه طلب ثأر المقتولين وقيل : ان سببه ان بني ثعلبة وانماراً اجمعوا على ان يغيروا على سرح المدينة ، وهي ترعى بهيفاء ، وهو موضع على سبعة اميال من المدينة ، فبعث ﷺ ابا عبيدة في أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه واخذ نعماً من

نعمهم فاستاقه وشيئاً من متاعهم ، وقدم به المدينة فخمسّه رسول الله ﷺ وقسم ما بقي عليهم والله سبحانه وتعالى اعلم .

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه

الى بني سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة ، وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ست ، فاصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بني سليم فاصابوا نعما وشاء ، ووجدوا جماعة منهم فأسروهم ، فكان فيهم زوج حليمة المزينة . فلمارجع زيد بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزينة نفسها وزوجها ، والظاهر انها اسلمت. وتوقف بعضهم في ثبوت ذلك ، وقال لا أعلم لها إسلاماً ولا صحبة ولا ترجمة ، وليس في الصحابيات حليمة الا المرضعة رضي الله عنها ، ولم يذكر واعدة الابل والغنم والاسرى والله اعلم .

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا الى العيص

قالت عائشة رضي الله عنها : ما بعث رسول الله ﷺ ، زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية الا امّره عليهم ولو بقي لاستخلفه ، أخرجه ابن أبي شيبة . وفي البخاري عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ، ومع زيد بن حارثة رضي الله عنه سبع غزوات ، يؤمّره علينا رسول الله ﷺ ، والعيص موضع على اربع ليالٍ من المدينة ، وكانت غزوة زيد هذه في جمادي الأولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيداً ومعه سبعون راكباً وقيل : مائة وسبعون ليتعرض لها فأدركها واخذها وما فيها ، واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف ، واسر منهم ناساً منهم : ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف ، واسمه لقيط او الزبير او هشيم او مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد اخت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها . وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة وهو زوج زينب بنت النبي ﷺ ورضي عنها فلما قدم المدينة أسيراً أجارته زوجته السيدة زينب رضي الله عنها بنت النبي ﷺ ، بعد ان استجار بها ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ الفجر .

وفي رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت : ايها الناس اني قد أجرت أبا العاص ،

فلما سلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال : ايها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . ثم قال : والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من هذا حتى سمعت ما سمعتم ، المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت ، ثم دخل ﷺ منزله دخلت عليه زينب ، فسألته أن يرد عليه ما اخذ منه فقبل ، وقال لها أكرمي منواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له . وفي رواية ان زينب رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ : ان ابا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فأبوا وا دوالي قد أجرته فقال النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم : ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك ، وان أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فانتم أحق به ، فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً . ثم ذهب الى مكة فأدى الى كل ذي مال ماله . ثم قال : هل بقي لأحد منكم عندي ماا، لم يأخذه ؟ قالوا : لا قال : هل أوفيت ذمتي ؟ قالوا : اللهم نعم ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الاسلام عنده لا تخوفاً ان تظنوا اني ، انما أردت ان آكل أموالكم ، فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج فقدم المدينة .

وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضي الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه ، فخرج الى الشام في تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه ، فبلغ ذلك زينب فقالت : يا رسول الله ، اليس عقد المسلمين وعهدهم واحداً ؟ قال : نعم . قالت : فاشهد أني قد أجرت ابا العاص ، فلما رأى ذلك الصحابة رضي الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح ، فقالوا له : إنك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله ﷺ فهل لك أن تسلم ، فتغنم ما معك من أموال أهل مكة ؟ فقال : بئس ما أمرتموني به ان افتتح ديني بغدرة ، فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل : ان اسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبي بصير ، ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان اسلم وهاجر ردها ﷺ اليه بالنكاح الأول وقيل بنكاح جديد ، وهذا هو الذي عليه العمل ، لأن الاسلام فرق بينهما . قال الله تعالى ﴿ لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهنّ ﴾ وقيل ، ان هذه الآية متأخرة عن هذه

الوقعة ، فلم يكن اختلاف الدينين مقتضياً للتحريم ، إلا بعد نزولها . وفي الصحيحين : انه ﷺ اثنى على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال : حدثني فصدقني ووعدني ووفى لي. وانه ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما . مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه ، وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي ﷺ ، وهي أكبر بناته رضي الله عنهن والله اعلم .

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ايضا الى الطرف

ـ بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء ـ ككتف وهو ماء اي ماء عين ، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة بطريق العراق ، وكانت في جمادي الآخرة سنة ست ، فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاءً ، وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون ﷺ سار اليهم بنفسه ، وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة .

ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ايضا الى حسمى

ـ بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصوراً ـ وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى ، وذلك من جهة الشام ، وكانت في جمادي الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع ، فتكون بعد الحديبية لأنها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية ، وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله ﷺ اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام ، وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لأنه قارب أن يسلم ولم يسلم خوفاً على ملكه ، فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهي قبيلة من معد بجبال حسمى ، فقطعوا عليه الطريق ، وأصابوا كل شيء كان معه ولم يتركوا عليه إلا سمل ثوب وهو الخلق البالي من الثياب ، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامي ، ممن كان أسلم فاستنفذ والدحية متاعه .

وفي رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم ، واستنفذوا ما كان في أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في خمسمائة رجل ورد معه دحية ، فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة ، فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا

عليهم فقتلوا فيهم ، فاوجعوا أي اكثروا فيهم القتل ، وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم ، فأخذوا من الأبل الف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبي مائة من النساء والصبيان ، فرحل رفاعة ابن زيد الجذامي في نفر من قومه ، فدفع لرسول الله ﷺ كتابه الذي كان كتبه له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد ، اني بعثته الى قومه عامة ، ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله وإلى رسوله ﷺ ، فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن ادبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة ، فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضي الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضي الله عنه قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال : اقرأ أم الكتاب ، فقرأها فقال زيد نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا ثغرة لقوم التي جاؤوا منها، الا من ختر ، وكانت أخت حسان في الأسارى ، فقال له زيداً خذها ، فقالت امرأة تنطلقون بناتكم وتذرون امهاتكم ؟ فقال زيد لاخت حسان : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاؤوا منه فأمسوا في اهليهم ، فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صحبوا رفاعة فقال له حسان بن ملة : انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى ، قد غرها كتابك الذي جئت به فدعا رفاعة بجمل فشدّ عليه رحله ، وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله ﷺ فلما رآهم آلاح لهم بيده ، ان تعالوا من وراء الناس ، فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال : يا رسول الله ، ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين اي عندهم فصاحة لسان وبيان ، فقال رفاعة ، رحم الله من لم يحدنا في يومنا هذا إلا خيراً ثم دفع كتابه اليه ﷺ فقال : دونك يا رسول الله ، فقال ﷺ : يا غلام إقرأه وأعلن ، فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال ﷺ : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرار . فقال رفاعة : انت أعلم يا رسول ، لا نحرم عليك حلالاً ولا نحلّ لك حراماً .. فقال ابو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هذه .

فقال ﷺ : صدق ابو زيد ، اركب معهم يا علي فقال : ان زيداً لن يطيعني ، فقال : خذ سيفي هذا فاعطاه سيفه ، فقال : ليس لي راحلة : فحملوه على بعير

وخرجوا ، فاذا رسول لزيد على ناقةمن إبلهم فأنزلوه عنها فقال : يا علي ما شأني ؟ قال : ما لهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء ، فأخذوا ما في أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل ، وأخبروهم بان النبيﷺ إنما بعث علياً رضي الله عنه الى زيد ابن حارثة رضي الله عنه يأمره ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم وفي رواية فقال علي رضي الله عنه لزيد : ان رسول اللهﷺ يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسرا وسبي أو مال . فقال زيد رضي الله عنه علامة من رسول اللهﷺ اي أطلب علامة فقال علي رضي الله عنه : هذا سيفه فعرفه زيد ، فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال : من كان معه شيء من أو مال فليرده فهذا رسول رسول اللهﷺ ، فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضي انهم كانوا يطؤون الجواري بلا استبراء ، وهو كذلك لأن وجوبه انما كان في سبي هوازن والله اعلم .

ثم سرية زيد بن حارثة ايضا

رضي الله عنه الى وادي القرى ، وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام ، وكانت في رجب سنة ست ، سار رضي الله عنه الى وادي القرى فلقي به بني فزارة ، وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى ، منهم ورد بن مرداس رضي الله عنه ، وحمل منهم جريح به رمق والله اعلم .

سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة الجندل

ـ بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره ، ـ وهو حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليالٍ وبينها وبين المدينة خمس عشرة او ست عشرة ليلة ، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة ، وقد ذكر ابن اسحق في اوّل هذه القصة حديثاً في أوله زيادة لابأس بذكرها. فقال : حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول اللهﷺ في مسجده ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وابو سعيد إذا قبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال : يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال : احسنهم خلقاً . قال : فأي المؤمنين أكيس ؟ قال : اكثرهم للموت ذكراً واكثرهم له استعداداً قبل أن ينزل به ، أولئك هم الاكياس . ثم سكت الفتى وأقبل

علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهنّ ،انه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوابهاإلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولم ينتقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم ، إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسول إلا سلط عليهم عدوّ من غيرهم ، فأخذوا ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجرأوا فيما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم . ثم أمر عبد الرحمن بن عوف ان يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء ، فأدناهﷺ منه فاقعده بين يديه وعممه بيده .

وفي رواية : نقضها ثم عممه بها فارسل من خلفه اربع اصابع او نحو ذلك . ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن واعرف ، ثم أمر بلالاً أن يدفع اليه اللواء ، دفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسهﷺ ثم قال : خذها يا ابن عوف ، اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ، فأخذ عبد الرحمن اللواء .

وفي رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال : ان استجابوا لك أي أطاعوك فأسلموا فتزوج ابنة ملكهم ، فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الىالاسلام وقد كانوا ابوا اوّل ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ، ثم أسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً ، وكان ملكهم ورئيسهم ، واسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج ما ضر بنت الاصبغ ، وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضي الله عنها . وفي رواية ان عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبيﷺ يخبره باسلام من اسلم من القوم ، وانه أراد ان يتزّوج فيهم . فكتب اليهﷺ أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عبد الرحمن لم يكتف بقوله أوّلاً فان استجابوا لك فتزوّج ابنة ملكهم لاحتمال أنه أراد إن أسلم الجميع ، مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية ، فكتب اليه احتياطاً فولدت له بعد ذلك سنة بضع و ؎رين من الهجرة أباسلمة ، وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء ، وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله ، وقيل : اسمعيل توفي سنة أربع وتسعين والله اعلم .

سرية علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم ، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة ، وسببها انه بلغه ﷺ ، أنهم ساعون في جمع الناس يريدون ان يمدوا يهود خيبر ، فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النار حتى انتهى الى الغمج ـ بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم ـ اسم ماء بين فدك وخيبر، فوجدوا به رجلاً فقالوا : ما أنت ؟ قال : باغ اي طالب لشيء ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد ؟ لا علم لي به ، فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم ، على ان يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له : فأين القوم ؟ قال : تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا : فسر بنا حتى تدلنا . قال : على أن تؤمنوني . قالوا : أن دللتنا عليهم او على سرحهم أمناك وإلا فلا أمان لك . قال : فذاك . فخرج بهم دليلاً حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى ارض مستوية ، فاذا نعم كثيرة وشاء فقال : هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال : أرسلوني فقالوا : حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا ، فقال الدليل : علام تحبسوني وقد تفرقت الأعراب ؟ قال علي حتى نبلغ معسكرهم ، فانتهى بهم اليه فلم يرَ احد ، فأرسلوه وساقوا النعم والشاء معهم ، وكانت خمسمائة بعير والفي شاة ، وهربت بنو سعد بالطعن ، وقدم علي رضي الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيداً . ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود والله اعلم .

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى ام قرفة

ـ بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث ـ وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري التي جرى فيها المثل ، أمنع من أم قرفة ، لأنها كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً ، كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة ، وكان لها عشرة بنين وبنتان ، وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام ، وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة ، وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ ، فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أ‍ ‍ ، واخذوا ما كان معهم ، وقدم على رسول الله ﷺ فاخبره وفي رواية : ان زيدا رضي الله عنه حلف ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة ، فرجع وأخبر النبي ﷺ فبعثه اليهم في جيش وقال لهم : اكمنوا النهار وسيروا

الليل ، فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة ، فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظوراً فحين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذي يرون انهم يؤتون منه ، فيبصر مسافة يوم فاكثر فيقول : اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم ، فاذا كان العشاء اشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول : ناموا لا بأس عليكم ، فلما كان الصحابة على نحو ليلة اخطأ دليلهم الطريق ، فسار في آخر حتى امسوا وهم على خُطا فعاينوا الحاضرين من بني فزارة ، فحمدوا خطأهم ، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا واحاطوا بمن حضر من بني فزارة فقتلوهم واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة ، وكانت ذات شرف في قومها ، وأخذوا بنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس ابن المحسر وقيل : ابن سحل الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها قتلاً عنيفاً ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها ، وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله ﷺ وقيل : لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت : اغزوا المدينة واقتلوا محمداً ، وقدم زيد بن حارثة رضي الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبي ﷺ ، فقام ﷺ اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله ، وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الأكوع رضي الله عنه هو الذي أسر بنت أم قرفة ، فسألها رسول الله ﷺ فوهبها له ، ثم وهبها ﷺ لخاله حزن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل ابي رافع عبد الله أو سلام بشد اللام ابن أبي الحقيق - بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغراً - اليهودي وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق ، وأعان المشركين بالمال الكثير ، بعث اليه ﷺ عبد الله ابن عتيك - بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف - الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه في رمضان سنة ست وقيل : في ذي الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب .

وفي البخاري ، قال الزهري ، بعد قتل كعب بن الأشرف الواقع سنة ثلاث ، قال ابن اسحق : ان الزهري اخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال : لما قتلت الأوس كعب بن الأشرف في عدوانه للنبي ﷺ ، بعد اذنه ﷺ وتحريضه عليه استأذنته الخزرج في قتل سلام بن ابي الحقيق وهو بخبير قال ابن اسحق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : كان مما صنع الله لرسوله ﷺ ان الأوس والخزرج كانا

يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، اي يحمل كل منهما على الآخر ، والمرادان كلاً من الأوس والخزرج يدفع عن النبي ﷺ يتفاخر بذلك لا يصنع الأوس شيئاً فيه عنه ﷺ غناء ، إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الاسلام ، واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا أبداً ، فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الاشرف ، فذكروا إسلام بن أبي الحقيق فاستأذنوه ﷺ في قتله ، فأذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وابو قتادة واسمه الحرث بن ربعي والأسود بن خزاعي ومسعود بن سنان الأسلمي حليف بني سلمة ، بطن من الخزرج فأمرهم ﷺ بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا او امرأ ة ، فذهبوا الى خيبر فكمنوا ، فلما هدأت الزجل عن الحركة جاؤوا الى منزله ، وكان في حصن مرتفع ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه : اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل الحصن ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كي لا يعرف ، كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حماراً لهم فخرجوا بقيس يطلبونه ، فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه ، كأنه يقضي حاجته مخافة ان يعرف فناداه البواب : يا هذا ، ان كنت تريد ان تدخل فأدخل فاني أريد ان أغلق الباب ، لأنه ظن أنه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد أي المفاتيح على وتد في كوة ، فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمر الناس عنده .

وفي رواية فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ، وكان في غرفة عالية له اليها عجلة من خشب ، فلما ذهب عنه أهل سمرة صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلق علي من داخل ، وقلت : ان القوم ان نذروا به لم يخلصوا الي حتى أقتله ، فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله في بيت مظلم ، قد طفىء سراجه لا أدري أين هو ، وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية ، فقدّمه أصحابه ليتكلم بكلام أبي رافع فيظنه انه من قومه فلا يفزع منه ، فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت : من أنت ؟ قال : جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت : ذاك صاحبك . فلما رأت السلاح أرادت

ان تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت . قال : فقلت أبا رافع لأعرف موضعه . فقال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وانا دهش ، فما اغنت شيئاً ولم اقتله ، وصاح ابو رافع فخرجت من البيت وكمنت غير بعيد فقالت امرأته : يا أبا رافع هذا صوت عبدا لله بن عتيك . قال : ثكلتك أمك واين عبد الله بن عتيك ؟ قال : ثم دخلت عليه كأني أغيثه وغيرت صوتي فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمك الويل ان رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، فضربته ضربة اثخنتمه ولم أقتله ، فصاح وقام اهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف اي حده في بطنه حتى دخل في ظهره ، وسمعت صوت العظم فعرفت اني قد قتلته ، فجعلت افتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا أرى اني قد انتهيت الى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم خرجت وكمنت في موضع ، واوقدت اليهود النيران وذهبوا في كل وجه يطلبوان حتى إذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامناً وقلت : لا أخرج الليلة حتى اعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعي على السور فقال : أنعي ابا رافع تاجر الحجاز ، فانطلقت الى اصحابي فقلت : النجاء أي أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع .

وفي رواية فعصبت رجلي ، وأتيت أصحابي أحجل فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فاني لا ابرح حتى اسمع الناعي ، فلما كان وجه الصبح صعد الناعي فقال : أنعي أبا رافع ، فقمت امشي مابي قلبة فادركت أصحابي قبل ان يأتوا النبي ﷺ ، فبشرته ﷺ : وفي رواية فانتهيت الى النبي ﷺ فحدثته فقال : أبسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة ﷺ فكأني لم أشتكها قط . وجاء في رواية : ان الاسود بن خزاعي أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبي رافع ، قال : فذهبت انظر حتى دخلت في الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي ، وقلت : أني لابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم نظرت في وجهه فقالت : فاظ أي مات وإله يهود فما سمعت من كلمة كانت الذ في نفسي منها ، ثم أدرك أصحابه فأخبرهم الخبر .

وجاء في بعض الروايات : أن عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشي أحس بألم رجله وهو سائر مع أصحابه في الطريق فحملوه ، ثم لما أتاه ﷺ مسح عليه فزال عنه جميع الألم ببركته ﷺ . وفي رواية للحاكم عن عبد الله ابن انيس رضي الله عنه قال : توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كمنا اقعدنا منا واحد يحرسنا فاذا رأى ما يخافه اشار

الينا ، فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فأشرت اليهم فخرجوا سراعاً ثم لحقتهم ، فدخلنا المدينة فقالوا : ماذا رأيت ؟ قلت ما رأيت شيئاً ولكن خشيت ان تكونوا عييتم فأردت ان يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ فيمن قتل أبي أبي الحقيق وهو على المنبر ، فلما رآنا قال : افلحت الوجوه .

وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة ، وأسر وقتل من اعان عليه ﷺ بيده أو ماله او لسانه ، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة في محاربتهم ، وإيهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل ، والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته . ووقع في بعض الروايات : أنّ الذي قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس ، والصواب ما في صحيح البخاري : ان الذي قتله عبد الله بن عتيك ، وفي قتل ابي رافع وكعب بن الأشرف يقول حسان رضي الله عنه :

لله درّ عصابة لاقيتهم ... يا ابن الحقيق وانت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم ... مرحاً كاسد في عرين معرف
حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمر مجحف

سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه

الى اسير - بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء - ابن رزام - براء مكسورة فزاي مخففة فألف فميم - اليهودي بخيبر ،وكانت في شوّال سنة ست ، وسببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها اسيراً فقال : والله ما سار محمد الى احد من يهود ولا بعث أحداً من اصحابه الا أصاب منهم ما اراد ولكني اصنع ما لم يصنع اصحابي : فقالوا : وما عسيت ان تصنع ؟ قال : أسير في غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد في عقر داره - بفتح العين وضمها وسكون القاف - أي اصلها، فانه لم يغزِ أحد في عقر داره الا أدرك منه عدوّه بعض ما يريد قالوا : نعم ، ما رأيت فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه ﷺ ، وبلغه ﷺ ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر في شهر رمضان سراً ليستكشف له الخبر ، فسأل عن خبره وغرته أي غفلته فاخبر بذلك ، وذلك

انه أتى ناحية خيبر فدخل في الحوائطوفرق الثلاثه في ثلاثة من حصونها ، فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ، ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله ﷺ لليالٍ بقين من رمضان ، فأخبره بكل ما رآه وسمعه ، وقدم عليه أيضا خارجة ابن حسيل بمهملتين مصغراً فاستخبره ﷺ ما وراءه فقال : تركت أسير بن رزام يسير اليك في كتائب يهود ، فندب ﷺ الناس له فانتدب له ثلاثون رجلاً ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له . قال : نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا : نعم فقالوا : ان رسول الله ﷺ بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك ، فشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا : ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني إسرائيل . قال : بلى قد ملك الحرب وخرج .

وفي رواية لابن اسحق ، فلما أقدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له : إنك ان قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين وفي رواية ، فحمله اي أسيراً عبد الله بن رواحة حتى إذا كانوا بقرقرة ، موضع على ستة اميال من خيبر ، ندم اسير على مسيره الى رسول الله ﷺ وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ، فقطن له وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه اسير بمخرش في يده من شوحط فأمه وفي رواية عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : وأهوى اسير بيده الى سيفي ففطنت له ، فدفعت بعيري وقلت غدراً اي عدواً لله مرتين ، فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير فضربته بالسيف ، فانذرت عامة فخذه وساقه فسقطعن بعيره ، ومال اصحاب النبي ﷺ على أصحابه فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم ، غير رجل واحد اعجز ناشداً ، اي جرياً أفلت على رجليه ، ولم يصب من المسلمين احد ولله الحمد ، فما قتلوا اليهود بعد التأمين . الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله ﷺ وكان ﷺ يحدّث أصحابه فقال : تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن اصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذا هم بسرعان أصحابنا ، فجلس ﷺ في أصحابه فانتهينا ، فحدثناه الحديث فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين ، وتفل ﷺ على شجة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلم تفح ولم تؤذه حتى مات .

وفي رواية ، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : ومسح ﷺ وجهي ودعا لي وقطع لي قطعة من عصاه فقال : امسك هذه معك علامة ، بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها

فانك تأتي يوم القيام متخصرا ، فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلي قيل : فيحتمل انّ هذا وهم من بعض الرواة ، والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه عصاه وأنه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشيء لا يسئل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله اعلم .

قصّة عَكل وعَرينة

وهي سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه ، كان أحد رؤساء قريش ، استشهد عام الفتح وعكل حي من قضاعة وعرينة حي من بجيلة ، وكانت هذه السرية في جمادي الأولى سنة ست ، وقيل : في شوال سنة ست وسببها ان ناساً من عكل وعرينة سبعة او ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ ، فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام ، وكانوا حين قدموا المدينة سقاماً مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا : يا رسول الله ، كنا اهل ضرع اي ماشية وإبل ولم نكن أهل ريف ، وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل ، فأمر لهم بذود من الابل وهي من الثلاثة الى العشرة ومعها راع ، وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ اسمه يسار ، وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك في ع نيه ، واستاقوا الذود فجاء الصريح بما وقع منهم ، فبعث ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين قريباً من العشرين وأمّر عليهم كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبي ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم يروى ان النبي ﷺ حين بعث الطلب في آثارهم قال : اللهم أعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك حمل ، فأعمى الله عليهم السبيل .

وفي رواية فجاء الخبر في اول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم ، وفي رواية : فبعث في آثارهم فغدوا فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت : مررت بقوم قد نحروا بعيراً فاعطوني هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأسروهم ، ولم يفلت منهم انسان فربطوهم واردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فامر بهم ، فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا اعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى ماتوا ،

وانما سمر أعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما مر فكان ذلك قصاصاً اي كالقصاص قال انس رضي الله عنه فلقد رأيتهم يكدم اي يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفي رواية : كانوا يستسقون اي يطلبون الماء فلا يسقون لا ولا ارتدوا فلا حرمة لهم . وأنزل الله في هؤلاء ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون ورسوله ﴾ الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا .

وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها ان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حراية ، ان قلنا ان قتلهم كان قصاصاً والمماثلة في القصاص، وانه ليس من المثلة المنهي عنها وثبوت حكم المحاربة في الصحراء ، واما في القرى ففيه خلاف وجواز استعمال ابناء السبيل إبل الصدقة في الشرب وفي غيره قياساً عليه باذن الامام والله اعلم .

سرية عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه الى أبي سفيان

بعثهﷺ الى ابي سفيان ليقتله غيلة لأن أبا سفيان أرسل للنبيﷺ من يقتله ، وذلك ان ابا سفيان قال لنفر من قريش : ألا أحد يغدر محمداً فانه يمشي في الأسواق ؟ فأتاه رجل من الأعراب في منزله فقال : قد وجدت أجمع الرجال قلباً ، وأشدهم بطشاً ، وأسرعهم شداً اي جرياً فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ، ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير فأسيرو وأسبق القوم عدواً ، فاني هاد بالطريق فقال . أنت صاحبنا فأعطاه بعيراً ونفقه وقال : أطو أمرك . فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً ، وصبح ظهر الحرة ، صبح سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول اللهﷺ ، حتى دل عليه فعقل راحلته ، ثم أقبل على رسول اللهﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله ، فلما رآه النبيﷺ قال : ان هذا ليريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد ، فذهب لينحني على رسول اللهﷺ فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخله إزاره أي طرفه وحاشيته ، فإذا بالخنجر فأسقط في يده اي ندم وقال : دمي دمي أي اتركوا دمي او خلوا دمي ، فاخذ أسيد بلبيه اي منحره وخنقه أشد الخنق . فقالﷺ : أصدقني ما أنت ؟ قال : وإنا آمن ؟ قال نعم ، فأخبره بخيره فخلى عنهﷺ فأسلم رضي الله عنه ، يا محمد والله ما كنت أفرق اي اخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب قلى وضعفت نفسي ، ثم إنك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد . فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان

حزب ابي سفيان حزب الشيطان ، فجعلﷺ يتبسم فاقام الرجل اياماً ثم أستأذن النبيﷺ في الخروج ، فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ، ثم بعثﷺ عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه ، وقيل ، جبار بن صخر الى ابي سفيان وقال : أن اصبتما منه غرة فاقتلاه ، فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً فرآه معاوية ابن ابي سفيان .

وفي رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلاً فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : ان القوم إذا تعشوا جلسوا بافنيتهم ، وانهم ان رأوني عرفوني ، فإني اعرف بمكة من الفرس الأبلق ، فقال : كلا ان شاء الله . قال عمرو : فابى ان يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله إنا لنمشي بمكة ، اذ نظر اليّ رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن امية . فوالله ان قدمها الا لشر فقيل : ان هذا الرجل الذي أبهمه هو معاوية بن ابي سفيان ، وقيل غيره فاخبر أبا سفيان وقريشاً بوجود عمرو بمكةلا فخافوه وطلبوه وكان فاتكاً جرياً في الجاهلية ، والفتك القتل على غفلة ، فجشد اي جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه، فهرب عمرو وسلمة أو وجبار بن صخر فلقي عمرو رجلاً من رؤوس المشركين ، وهو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله ، وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست ادين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان الأخبار فقتل احدهما وأسر الآخر ، فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول اللهﷺ خبره ويضحك ، ثم دعا له بخير .

وفي سيرة ابن هشام ، بعد قوله السابق ان قدمها إلا لشرّ فقلت لصاحبي : النجا فخرجنا نشتد حتى اصعدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعني به عبد الله بن مالك التيمي ، المتقدم ذكره ، يقود فرساً له ويختلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت : ان رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا قال : ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ،

ورجعت فدخلت مكاني ، وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا ، من ضربك قال عمرو ابن امية وغلبه الموت ، فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاء فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدي فقال احدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن امية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن امية ، فلما حاذى الخشبة التي عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا اي مهبطمسيل ، فرمى الجثة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبي النجاء ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفاً ، فبينا انا فيه اذ دخل علي شيخ من بني الديل اعور في غنيمة له فقال : من الرجل ؟ فقلت من بني بكر فمن أنت ؟ قال : من بني بكر . فقلت : مرحباً فاضطجع ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست ادين دين المسلمينا

فقلت في نفسي ستعلم ، ثم امهلته حتى اذا نام اخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة والسية ـ بكسر المهملة وفتح التحتية ـ ، ما عطف من طرقها ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت ، حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش ، كانت قريش بعثتهما عيناً الى المدينة فقلت ، استأسرا فأبيا ، فرميت أحدهما بسهم واستأسر الاخر ، فأوثقته رباطاً وقدمت به المدينة . وقد مر انه ﷺ بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فانزلاه وخافا الطلب فألقياه فابتلعته الأرض ، ويمكن ان عمرو بن امية ، التقى معهما حين إرسالهما لإنزال خبيب ، وكان هو راجعاً من مكة فشاركهما في إنزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قصّة الحديبيّة ويُقال غزَوة الحديبيّة

ـ بتخفيف الياء وتشديدها ـ وهي بئر يسمى المكان باسمها ، وقيل ، شجرة وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة أميال من مكة . وسببها ان النبيﷺ رأى في منامه انه دخل البيت هو وأصحَابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فخرجﷺ يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادي ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب ، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق من العرب ، وساق معه الهدى واخرجوه بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائراً للبيت ومعظما له ، واخرج معه زوجته ام سلمة رضي الله عنها واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه وقيل : ابو رهم كلثوم بن الحصين ، وقيل : استعملهما معاً ، وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة . وقيل : ألف وخمسمائة ، وقيل : الف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من الف وأربعمائة فمن قال : الف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال : واربعمائة ألغاه وأما رواية الف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة ، أو ان الألف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الأتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرجﷺ معه بسلاح الاسلام المسافر السيوف في القرب ، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة ، وبعث عينا أي جاسوساً له من خزاعة ، وسار النبيﷺ حتى اذا كان بغدير الأشطاط أتاه جاسوسه فقال : ان قريشاً جمعوا لك جموعاً وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة .

وفي رواية انه لقيه بعسفان فقال : هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل ، قد تلبسوا جلود التمر وقد نزلوا بذي طوي يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة ابدا ، والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها ، والمراد أنهم خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرز في رواية قال : له : اني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وكذا وقريش في أنديتها . إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس بصوت اسمع أهل مكة يقول :

هيوا لصاحبكم مثلي صحابته سيروا اليه وكونوا معشرا كرما

بعد الطواف وبعد السعي في مهل وأن يحوزهم من مكة الحرما .

شاهت وجوههم من معشر ثكل لا ينصرون اذا ما حاربوا صنماً

فارتجت مكة وتعاقدوا على أن لا تدخل عليهم عامهم هذا ، فقال ﷺ : هذا الهاتف سلفع شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك ، اذ سمعوا من أعلى الجبل صوتاً يقول :

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما وخاب سعيهم ما اقصر الهمما
اني قتلت عدو الله سلفعة شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله في نفر وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقال ﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس أترون ان اميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم ؟ فان يأتونا كان الله عزَّ وجلَّ قد قطع عيناً من المشركين والا تركناهم محروبين وفي رواية : أترون أن نميل : ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين ، وان يجيئوا تكن عنقاً قطعها الله ؟ أم ترون أن نؤمّ البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : الله ورسوله أعلم يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن

صدنا عنه قاتلناه فقال : امضوا على اسم الله . ويروى ان المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبي بكر قال : والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون فقالﷺ ، فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ أمتنا لا لقوله تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبيﷺ : ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة في خيل لقريش ، فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن ابي جهل طليعة وهي مقدمة الجيش ، فخذوا ذات اليمين .

وفي رواية ، قال : من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التي هم بها فقال رجل : من أسلم وهو حمزة بن عمرو الأسلمي انا يا رسول الله ؟ فسلك بهم طريقاً وعراً فخرجوا منه بعد ان شقّ عليهم ، وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم : قولوا انستغفر الله ونتوب اليه ، فقالوا ذلك فقال : والله إنها للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها وفي رواية : فقالﷺ واسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة ـ موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقتهم ركضوا راجعين الى قريش .

وفي رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا همّ بقترة الجيش أي غبارة كذا أطلقه بعضهم وقيد بعضهم بالغبار الأسود فانطلق يركض نذير القريش وفي رواية : ان خالداً دنا في خيله حتى نظر المصطفىﷺ والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة ، فأمرﷺ عباد بن بشر فتقدم ذي خيله فقام بازائه فصفّ أصحابه وحانت صلاة الظهر ، فصلاها بهمﷺ فقال خالد : قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ، ولكن ستأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب اليهم من انفسهم وأبنائهم ، فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى ﴿ واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلنقم طائفة منهم معك ﴾ الاية . فحانت صلاة العصر والعدوّ جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف ، فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف ، فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه في الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون ، فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان . ثم سار النبيﷺ حتى إذا كان

بالثنية التي تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار - بكسر الميم وتخفيف الراء - بركت ناقته القصواء فقال الناس : حل حل وهي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير فتمادت على عدم القيام ، فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء أي حرنت وبركت من غير علة ، والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبي ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ، ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه ، لكن سبق في علم الله انهم لا يدخلون الآن لانه سيدخل في الاسلام خلقاً منهم ويستخرج من أصلابهم ناساً يسلمون ويجاهدون ، وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، فلو طرق الصحابة مكة لما أمن ان يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ﴿ ولو لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾ - وجواب لو محذوف - أي لأذن لكم في الدخول والقتال ، وإنما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله في رحمته من يشاء أي من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أي لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً . ثم قال ﷺ عقب قوله حبسها حابس الفيل : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمات الله أي من ترك القتال في الحرم والجنوح الى السلم والكف عن إراقة الدماء .

وفي رواية : لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله إلا أعطيتهم إياها أي أجبتهم اليها ، وإن كان فيها تحمل المشقة ، ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية ، ثم قال للناس انزلوا . فقالوا : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلاً قليلاً فاخذوه حتى نزحوه ، وشكوا اليه العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الأعجم . وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد أو خالد بن عبادة . وقيل البراء بن عازب رضي الله عنه ، فوضعه في البئر ويمكن ان الجميع تعاونوا في ذلك قال : فوالله ما زال يجيش أي يفور الماء حتى صدروا عنه اي رجعوا رواء بعد ورودهم . وفي رواية . فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوساً على شفير البئر .

وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، انه ﷺ جلس

على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال : دعوها ساعة فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا ، وعند غير البخاري : توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ، ويمكن الجمع بانه فعل ذلك كله . وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم قال : عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه فقال . مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك . فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين . وكان قصة الركوة قبل قصة البئر . وقد اخرج الامام احمد عن جابر رضي الله عنه القصة وفيها : فجاء رجل بأداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ما غيره فصبه ﷺ في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم إنصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال : أسبغوا الوضوء : قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه . واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة . ووقع في بعض الروايات : انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا ألفاً وأربعمائة وفي حديث زيد بن خالد رضي الله عنه : انهم أصابهم مطربا لحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم .

وفي هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه ﷺ فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي في نفر من قومه خزاعة ، وكان ذلك قبل إسلامه فانه أسلم عام الفتح رضي الله عنه ، وكانت خزاعة عيبة نصح للنبي ﷺ ، وتقدم أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك في الإسلام فقال بديل للنبي ﷺ : غوّرت أي أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك ، فقال : لم نجيء لقتال ، فتكلم ابو بكر رضي الله عنه فقال له بديل : أنا لا آتيهم ولا قومي ثم قال : اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ – المطافيل ، والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل الأمهات التي معها أطفالها ـ يريد ، انهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزوّدوا بألبانها أولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ان دعا اليه الأمر ليكون أدعى إلى عدم الفرار ، وخص كعب بن لؤي وعامر بن لؤي لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما ، وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي وبنو

عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ، ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذي منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر ، وقوله اعداد مياه الحديبية .

قال الحافظ ابن حجر : يشعر بأنه كان بها مياه كثيرة وان قريشاً سبقوا إلى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون ، وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله ﷺ مجيباً لبديل : إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين وان قريشاً قد انهكتهم الحرب أي أضعفت قوّتهم وأهزلتهم وأضعفت أموالهم وأضرت بهم ، فان شاؤوا ماددتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم ، فإن أظهر أي إظهار الله تعالى ديني بحيث يدخله الناس ويتبعوني فيما جئت به فان شاؤوا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا أي ، وإن لم أظهر فقد جموا - بفتح الجيم وشد الميم المضمومة - يعني استراحوا من القتال .

وفي رواية : فان ظهر الناس عليَّ فذلك الذي يبغون . وفي رواية : وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة وإنما ردد الأمر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعدا الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الأمر على ما زعمه ، ثم قال وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هذا ، حتى تنفرد سالفتي وهي صفحة العنق . كنى بذلك من القتل اي حتى أموت وأبقى منفردا في قبري . وقيل : المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم في نصر دين الله ، ولينفذن الله أمره . وفي هذا تصريح بما كان عليه ﷺ من القوة والثبات في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم والإبقاء على من كان من أهلها بذل النصيحة للقرابة ، فقال بديل : سأبلغهم ما تقول فاذن له .

قال الزرقاني في شرح المواهب : وفي هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الإسلام على غيرهم ، ولو كانوا من أهل دينهم . ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة أعداء الله ، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم ببعض ، ولا يلزم من ذلك جوازا الإستعانة بالمشركين على الاطلاق ا هـ . وبديل بن ورقاء كان سيد قومه ، وأسلم يوم الفتح بمر الظهران ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل : أسلم قبل الفتح . وقال ابن منده وابو نعيم : أسلم قديماً ولعله كان يكتم إسلامه ،

والمشهور هو الأوّل . وخزاعة قبيلة من الأزد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشاً فقال ناس منهم : هذا بديل وأصحابه وإنما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد ، فرأى بديل أنهم لا يستخبرونه فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعني النبيﷺ وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه عليكم فعلنا .

وفي رواية : إنا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال : سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء ولكن أخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً ، حتى لا يبقى منا رجل واحد وقال ذو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول : ولم يكن ابو سفيان حاضراً هذه القضية على الصحيح بل كان غائباً في بعض تجاراته فمن ذكره معهم فقد غلط وفي رواية : فأشار عليهم عروة بن مسعود الثقفي بأن يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه وإلا تركوه فقال صفوان بن أمية والحرث بن هشام : أخبرونا بالذي رأيتم وسمعتهم . قال : سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبيﷺ ، فرجعوا الى قريش فقالوا : إنكم تعجلون على محمد إنه لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت فقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتالاً بل جائزاً بل جاء زائراً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تتحدث عنا العرب بذلك أبداً . فقام عروة بن مسعود الثقفي وقد أسلم رضي الله عنه عند منصرفه ﷺ من الطائف ، وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ فأحدهما الوليد بن المغيرة ، كان بمكة ومات كافراً والثاني عروة بن مسعود الثقفي وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف فقال لقريش: يا قوم ألستم بالوالد اي مثل الوالد في الشفقة على ولده ؟ قالوا : بلى .قال :أولست بالولد أي مثله في النصح لوالده ؟ قالوا : بلى ، بل جاء أن أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، فأراد انهم ولدوه . في الجملة قال: فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ما أنت عندنا بمتهم . قال : ألستم تعلمون اني استنفرت أهل عكاظ اي دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى ، قال : فان هذا يعني النبيﷺ قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح وانصاف ، اقبلوها ودعوني آتيه اي أجيء اليه قالوا : ائته فأتى عروة بن مسعود النبيﷺ فجعل يكلم النبي ﷺ بنحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبيﷺ نحواً من قوله لبديل السابق ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً وعند قول النبيﷺ فان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم . قال عروة أي محمداً : أخبرني إن استأصلت

قومك أي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أي أهلك أصله قبلك وان تكن الأخرى أي وإن تكن الغلبة لقريش فاني والله لأرى وجوها أشواباً يعني أخلاطاً من الناس خليقاً أن يفروا عنك ويدعوك .

وفي رواية : فكأني بهم لو لقيت قريشاً قد أسلموك فتؤخذ أسيراً فأي شيء أشد عليك من هذا ؟ وإنما قال ذلك لأن العادة جرت أن الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها القرار ، بخلاف من كان من قبيلة واحدة ، فانهم يأنفون الفرار عادة وما درىء عروة ان مودّة الإسلام أعظم من مودّة القرابة ، وقد ظهر له ذلك بعد مبالغة المسلمين في تعظيمه ﷺ ،فلما قال عروة بن مسعود ما قاله ، وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قاعداً خلف النبي ﷺ : امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان في فرج المرأة ، واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء : هذا مبالغة من ابي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيراً . لمعبوده ، وعادة العرب الشتم بذلك . فقال عروة : من هذا يا محمد ؟ واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي ﷺ فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي ﷺ : هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطباً لأبي بكر : أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يدلك عندي لم أكافئك بها لأجبتك ، ولكن هذه بها اي جعلت عدم إجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي كنت أحسنت إلي بها .

قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها ابو بكر رضي الله عنه بعون حسن . وفي رواية : أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث ، وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته ﷺ ، وكانت تلك عادة العرب ، وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائماً على رأس النبي ﷺ ومعه السيف يقصد الحراسة وعليه المغفر . قال عروة بن الزبير : ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس لامته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة ، وقام على رأس النبيب ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : ففيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدوّ ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لان محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبرة ، فكان المغيرة كلما أهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية

النبيﷺ ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة او غيرها ، وفعل المغيرة ذلك إجلالاً وتعظيماً للنبيﷺ وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول اللهﷺ فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة : ما افظك وأغلظك ، وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل ، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي ﷺ ، وما علم حينئذ انه لا نظير له فاللائق منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه ، لكن كانﷺ يغضي اي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفاً له ولقومه ، والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ وفي رواية : فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب . وقال ليت شعري من هذا الذي قد أذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشرّ منزلة . فتبسم النبيﷺ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك شعبة .

وفي رواية : هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف انه ابن أخيه قال : أي غدر ألست أسعى في غدرتك ؟ وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف . وفي رواية : وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو انه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل إسلامه ، فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك ، خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فاحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من أحلافهم فغار منهم ولم يواسه احد منهم ، فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء الى المدينة فاسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه : ما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلتهم وجئت بإسلابهم الى رسول اللهﷺ ليحسن او ليرى رأيه فيها . فقال النبيﷺ : أما الإسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شيء اي لا أتعرض له لكونه أخذ غدراً ، لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدراً حال الأمن لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة وهي تؤدّى إلى أهلها مسلماً كان او كافراً ، وبإنما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله ﷺ ترك المال في يده لإمكان إسلام قومه فيردّ اليهم أموالهم ، وقيل : انه لما فعل ذلك كان مثلهم حربياً ، والحربي إذا أتلف مال الحربي لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفاً ما فعله المغيرة من قتل اصحابه وأخذ أموالهم ، فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والأحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا

منه دية ثلاثة عشر نفراً واصطلحوا . وقيل : ان عروة بن مسعود ليس عماً للمغيرة نفسه بل عم أبيه ، ولا ضير في ذلك فعم الأب عم عند العرب ، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب ، أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل : ثلثمائة . وقيل ألف امرأة .

ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه فقال حين حدث الحديث : والله ما تنخم يعني رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركاً ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره اي أسرعوا إلى فعله وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيماً له ، فكان في فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم ، كيف يظن بنا أن نفرعنه ونسلمه لعدوّه ، بل هم أشد اغتباطاً اي تعلقاً وتمسكاً به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم ، فرجع عروة الى أصحابه فقال : اي قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً قط بعلمه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله ما يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم وفي رواية : واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده إجلالاً وتوقيراً وما يحدّون النظر اليه تعظيماً له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم .

وفي رواية : فقال عروة : أي قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ، ولقد رأيت الهدي معكوفاً وما أراكم الا ستصيبكم قارعة ، وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيمه ﷺ ، وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره ، فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح ، فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بني كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له لسلام وكان سيد الأحابيش أي القبائل التي تجمعت من غير قريش : دعوني آته يعني النبي ﷺ أي أذهب اليه فقالوا : ائته ، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البَدْنَ يعني التي تُهدى للحرم فابعثوها أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حرباً فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة ، فلما رأى الحليس ذلك قال متعجباً : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا أي يمنعوا عن البيت وفي

رواية قال : أبى الله ان تحج لخم وجذام وكندة وحِمْيَرَ ويمنع ابن عبد المطلب .

وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده ، وقد حبس عن محله ولم يصل الى رسول الله ﷺ ، وجاء عند الحاكم انه صاح وهو على بعد ، فقال : هلكت قريش ورب الكعبة أن القوم إنما أتوا عماراً فقال ﷺ : اجل يا أخا بني كنانة . قال الحافظ ابن حجر : فيحتمل انه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعاً بين الروايتين . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُدْنَ قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ، فقالوا له : اجلس إنما انت أعرابي لا علم لك ، فغضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصدّ عن بيت الله من جاء معظما له ، والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وما جاء له أو لأنفرنّ بالاحابيش نفرة رجل واحد . فقالوا له : اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

وفي القصة دليل على ان كثيراً من المشركين كانوا يعظمون حرمات الإحرام والحرم ، وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكاً منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ، ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره احد في الصحابة إلا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال : دعوني آته ، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر . وفي رواية : غادر . قال الحافظ ابن حجر : ما زلت متعجباً من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتي من كلامه في قصة ابي جندل الى أن رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدران عتبة بن ربيعة قال القريش : كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا ، وذلك ان حفص بن الأخيف ، كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا ، فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرّه فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفاً بالغدر ، وذكر الواقدي ايضاً ان مكرز أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلاً فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس ، وانفلت مكرز فكان ﷺ أشار إلى ذلك حين قال وهو رجل فاجر او غادر ، فجاء الى النبي ﷺ وجعل يكلمه فقال له النبي ﷺ نحو مما قال لبديل وأصحابه . فبينما هو يكلمه . إذ جاء سهيل ابن عمرو العامري وكان خطيب قريش وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه ، وكان ملازماً للجهاد حتى استشهد يوم

اليرموك ، وقيل : مات بالشام بطاعون عمواس ، وكان يقول : والله لا ادع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة انفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها ، لعلّ امري ان يتلوا بعضه بعضاً :

قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه : كان محمود الإسلام من حين اسلم ، ولما جاء خبر وفاة النبي ﷺ أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدّون ، فخطب الصدّيق بالمدينة رضي الله عنه وثبتهم فيها ، وقد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفاً يسرك ، فكان ذلك الموقف هو خطبته لأهل مكة وتثبيتهم . فكان ذلك من أعلام نبوّته ﷺ قيل : إن وصول سهيل بن عمرو الى النبي ﷺ كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبي ﷺ ، وقيل : إن مكرزاً رجع الى قريش فاخبرهم بقوله ﷺ وان ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز ، وجمع بانه رجع فاخبرهم ، ثم جاء مع سهيل في الصلح ولما جاء سهيل قال النبي ﷺ : قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى . قال ابن إسحق : دعت قريش سهيل بن عروة فقالت : اذهب الى هذا الرجل ولا تكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبداً فأتى سهيل فقال النبي ﷺ لما رآه مقبلاً : قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل ، فلما انتهى الى النبي ﷺ برك على ركبتيه وجلس النبي ﷺ متربعاً ، وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في الحديد ، وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول ، وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر : اخفض صوتك عند رسول الله ﷺ ، فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما . وهذا يقتضي أن إرسال سهيل ابن عمرو كان قبل أن يرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة ، جرى على ذلك كثير من أهل السير .

وقال آخرون : إن إرسال سهيل بن عمرو ، كان بعد إرسال النبي ﷺ عثمان ابن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا : أن النبي ﷺ لما نزل الحديبية أحب أن يبعث إلى قريش يعلمهم أنه إنما قدم معتمراً لا مقاتلاً ، فبعث خراش بن أمية الخزاعي على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الأحابيش ، فأتاه ﷺ وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن

عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله ﷺ عثمان وكتب له كتاباً إلى أشراف قريش يخبرهم انه لم يأتِ إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته ، وأمر النبي ﷺ عثمان ان يأتي رجالاً مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ، ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم بأن الله وشيك أي قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان ، فخرج عثمان رضي الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضي الله عنهم باذن النبي ﷺ ليزوروا أهاليهم ، ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه ، وكان ابن عم عثمان رضي الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ وجعله بين يديه . فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون : ان محمداً لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضي الله عنه من رسالة رسول الله ﷺ قالوا له : ان شئت أن تطوف بالبيت فطف .

فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ : وقال المسلمون الذين مع النبي ﷺ : قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا ، فقال رسول الله ﷺ : ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون . قالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه ؟ قال : ذاك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة . فلما رجع عثمان وقيل له في ذلك أي قالوا له : طفت بالبيت ؟ فقال : والذي نفسي بيده لو مكثت بها معتمراً كذا وكذا سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله ﷺ . واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس أنهم قتلوه هو والعشرة الذين معه ، فبلغ ذلك الخبر ﷺ ، فقال عند بلوغه ذلك : لا نبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ، ودعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينادي الناس الى البيعة ، قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح وأما الشهادة . وفي رواية : بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضي الله عنه محققاً بل كان بالأشاعة بايع عنه النبي ﷺ . أي على تقدير حياته وفي ذلك أشارة منه ﷺ الى ان عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القول لأجل اخذ ثأر عثمان رضي الله عنه جرياً على ظاهر تلك الاشاعة تشبتا وتقوية لأولئك القوم ، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال : اللهم هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك وفي لفظ : ان عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا لأنه علم عدم

صحة القول بقتله ، وبعد ان جاء عثمان رضي الله عنه بايع بنفسه تحصيلاً لتلك الفضيلة . وقد أشار الى امتناع عثمان رضي الله عنه من الطواف والى مبايعة النبي ﷺ صاحب الهمزية فقال :

وأبى أن يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى النبي فناء
فجزته منه ببيعة رضوان يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الأعمال بالترك حبذا الأدباء

ويروى : أن قريشاً بعثت الى عبد الله بن أبي سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضي الله عنه : يا أبت أذكرك الله ان تفضحنا في كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ فأبى حينئذ وقال : لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ ، وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ وقال ﷺ : لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة كما تقدم وجاء أنه ﷺ قال : أيها الناس ان الله قد غفر لأهل بدر والحديبية وأول من بايعه ﷺ سنان بن سنان الأسدي . وقيل : انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضي الله عنهما ، ولما بايعه رضي الله عنه قال : أبايعك على ما في نفسك قال : وما في نفسي . قال : اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان . وقيل : أول من بايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وقيل : سلمة بن الأكوع رضي الله عنه . وقيل : ان سلمة رضي الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره ﷺ . في الثانية والثالثة بعد قول سلمة قد بايعت فيقول له رسول الله ﷺ : وأيضاً وذلك ليكون له في ذلك فضيلة لأنه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته في الاسلام ، وشهرته في الثبات . وجاء ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما بايع مرتين .

وقد قيل : في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام ﴾ الى قوله : ﴿ ولا يجر منكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ ان تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم

ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون : نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أي لا تصدّوا هؤلاء العمارا ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول اللهﷺ ، فبعثت قريش اربعين وقيل خمسين رجلاً عليهم مكرز ابن حفظ الذي قال فيهﷺ : انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول اللهﷺ رجاء ان يصيبوا منهم أحداً أو يجدوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزاً فأتى بهم رسول اللهﷺ فحبسوا وبلغ قريشاً حبس اصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وقتل من المسلمين ابن رسيم بسهم ، فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلاً ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً معه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس ، فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامري ومعه حويطب بن عبد العزى ، وقيل : معه جمع منهم . وقيل : ان إرسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبيﷺ ، ولما أقبل سهيل قال رسول اللهﷺ : أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانياً وطالت المراجعة بينه وبين النبيﷺ ، ومن جملة ذلك أن النبيﷺ قال له : لِمَ لَمْ تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ؟ فقال له سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة أي بالشدة والإكراه ، ولكن ذلك بالعام القابل ، ثم تم الأمر على الصلح على ترك القتال وأن يوضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضاً وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتي في العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام ، وأن لا يدخلوا إلا بالسيوف في قربها ، واشترط سهيل على النبيﷺ شروطاً منها انه قال : لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وقيل : هذا الشرط إنما ذكره عند كتابة الكتاب ـ كما سيأتي ـ فلما تم الأمر ولم يبق إلا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر أليس هو برسول اللهﷺ ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : فعلامَ نعطي الدنية أي الخصلة المذمومة في ديننا ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا عمر الزم غرزه أي ركابه .

وفي رواية : قال له : أيها الرجل ، انه رسول اللهﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه حتى تموت فاني اشهد انه رسول الله فقال عمر : وأنا أشهد انه رسول الله ، ثم أتى عمر رسول اللهﷺ فقال له مثل ما قال لأبي بكر ، فقال النبيﷺ : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني الله . ثم دعا رسول اللهﷺ اوس بن خولة رضي الله عنه وامره أن يكتب بينهم ، فقال له سهيل بن عمرو : ولا يكتب الا ابن

عمك علي او عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضي الله عنه على بعض الروايات فامر النبي ﷺ علياً كرم الله وجهه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا اي الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب باسمك اللهم أي لان قريشاً كانت تكتبها ، فقال المسلمون ، والله لا يكتبها وإنما يكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وضج المسلمون ثم اسكتهم النبي ﷺ وقال : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : ؛ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم تصدك عن البيت ، ولكن اكتب باسمك واسم ابيك .

وفي رواية لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله ؟ فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : امح رسول الله فقال علي رضي الله عنه : ما أنا بالذي أمحوه .

وفي رواية والله لا أمحوك أبداً فقال : أرينه ، فأراه اياه فمحاه رسول الله ﷺ وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، وقال : أنا رسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فجعل علي رضي الله عنه يبكي ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله : فقال له ﷺ : اكتب فان لك مثلها تعطيها وانت مقهور ، وهذا من معجزاته ﷺ واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة الى رأس الحول ، فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب معاوية بن أبي سفيان . فقال عمرو بن العاص ، وكان أحد الحكمين ، وكان من جهة معاوية : لا تكتب أمير المؤمنين . وأرسل معاوية ايضاً رضي الله عنه لعمرو بن العاص يقول : لا تكتب إن علياً أمير المؤمنين ما قابلته فبئس الرجل أنا إن اقررت أنه امير المؤمنين ثم أقاتله ، ولكن اكتب : علي بن ابي طالب وامح امير المؤمنين . فقال : اصحاب علي رضيالله عنه لعلي : يا امير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود إليك فلم يسمع منهم ، وقال للكاتب : امحها . ثم تذكر قول النبي ﷺ له في الحديبية ان لك مثلها تعطيها وانت مقهور . فقال : الله أكبر مثلاً بمثل والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا : لست برسول الله ولا تشهد لك بذلك ، اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضي الله عنه : سبحان الله أنتشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع في ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين .

وظهر صدق قول النبيﷺ لعلي رضي الله عنه أن لك مثلها تعطيها وانت مقهور .
ولما أبى علي رضي الله عنه يوم الحديبية أن يكتب إلا رسـول الله وافقـه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين ، منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فاخذا بيد علي رضي الله عنه ومنعاه أن يكتب إلا محمد رسول اللهﷺ وإلا فالسيف بيننا وبينهم ، وضج المسلمون وارتفعت الأصوات وجعلوا يقولون لا نعطي هذه الدنية في ديننا ، فجعل رسول اللهﷺ يخفضهم ويومي بيده اليهم ان اسكتوا ، ثم أمر علياً رضي الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل : أمر محمد بن مسلمة رضي الله عنه فيكتب والحق أن الذي كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب ، لان سهيلاً قال : يكون هذا الكتاب معي فكتب محمـد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين .

وجاء في بعض الروايات . ثم أخذ رسول اللهﷺ الكتاب بيده فتمسك بعضهـم بظاهر وقال : ان النبيﷺ كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب ، وجرى على ذلك ابو الوليد الباجي المالكي ،فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ، وقالوا : ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا لا ينافي القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾بأن هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن ، وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونـه أمياً .
والجمعهور على أن الروايات التي فيها اخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز اي أمر أن يكتب الكاتب وقوله متعلق بيده باخذ وليس متعلقاً بقوله كتب .

قال العلماء : وافقهم النبيﷺ على عدم كتابة بسـم الله الرحمـن الـرحيم وكتـب باسمك اللهم ، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التي أطلع الله نبيهﷺ عليها وحجب المسلمين عنهـا ، حتـى ضجـوا وتشوّشوا من ذلك ، ولـم يكن أحد في القوم راضياً بجميع ما يرضي به النبيﷺ غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبهذا يتبين علوّ مقامه ، ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبيﷺ فإنه حقيق بذلك رضي الله عنه كيف ، وقد قال النبيﷺ والله ما صبّ الله في قلبي شيئاً إلا وصببته في قلب أبي بكر رضي الله عنه . قال أبو بكر رضي الله عنه : ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ، ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول اللهﷺ وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد ، ولقد رأيت سهيل بن عمرو في

حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرّب لرسول الله ﷺ بدنه ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ، ودعا الحلاق فحلق رأسه ، فانا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره ﷺ ، ويجعل بعضه على عينيه ، وأذكر إمتناعه أن يقر يوم الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم أي ورسالة النبي ﷺ فحمدت الله الذي هداه للإسلام مع أنه لا مفسدة في عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وإنما المفسدة لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل ، ثم كتب علي رضي الله عنه : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ، فقال النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، واراد النبي ﷺ بذلك إظهار ما تكلم به مع سهيل أولاً ليطلع المسلمون على أنه ﷺ بذل الجهد للمسلمين في ذلك الصلح . فقال سهيل : والله لا نخلي بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب علي رضي الله عنه ذلك فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل إلا رددته الينا وان كان على دينك ، ومن جاء قريشاً ممن تبعك لم يردّوه اليك .

وفي رواية لمسلم من حديث انس رضي الله عنه : أن قريشاً صالحت النبي ﷺ على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا . فقالوا : يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال : نعم ، فانه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً .

وفي رواية للبخاري وكان فيما اشترط سهيل على النبي ﷺ أنه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك إلا رددته الينا وخليت بيننا وبينه ، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا اي غضبوا وأتقوا منه فابى سهيل إلا ذلك ، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلماً . وكان ممن قال ذلك : عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضي الله عنهم وفي رواية : أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله أترضى بهذا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال : من ذهب منا اليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم الينا أي ورددناه فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ومما كتب في كتاب الصلح ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما لا يدخلا مكة بالسلاح إلا السيف في القراب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن اراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من اصحابه أحد إن أراد أن يقيم بها ، وعند ابن اسحق على أن بيننا عيبة مكفوفة أي أموراً مطوية في صدور سليمة إشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها ، وأنه لا أسلال ولا اغلال أي لا سرقة ولا خيانة ، والمراد أن يأمن

بعضهم من بعض في نفوسهم وأموالهم سراً وجهراً . وقيل الأسلال من سل السيوف ، والأغلال من لبس الدروع ، وان من احب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيره ، وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفي رواية اربع سنين فأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض اهـ .

فان قيل : ما الحكمة في كونه ﷺ وافق سهيلاً على هذه الشروط التي من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الإسلام إلا ويرده اليهم ؟ فالجواب ـ كما نقله النووي ـ عن العلماء : أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي علمها النبي ﷺ وخفيت عليهم ، فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ، ولا تظهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي ، ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة ، فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤوا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة ، وخلوا اهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم ، وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة وإعلام نبوّته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته ، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك ، فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيرهما ، وازداد الآخرون اي الذين لم يسلموا ميلاً الى الإسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل ، وكانت العرب من غير قريش ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأي ولانهم كانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به . فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ﴾ ففيه إشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه ﷺ على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس في دين الله جماعات ، وكان الأمر كذلك . فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الأرض طائعين ، وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة ـ كما سيأتي ان شاء الله تعالى ، ـ فالله ورسوله اعلم بالحكمة البالغة ، فان صد المسلمين عن البيت كان في الظاهر هضماً للمسلمين ، وفي الباطن عزاً لهم وقوة ، فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لأنفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ، ولله

العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون . فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل .

وقال البخاري عند ذكر كتابة الشروط : فبينما هم كذلك ، وقال ابن اسحق : فان الصحيفة لتكتب إذ دخل ابو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمر ويوسف في قيوده ، وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه ، فحبسه ابوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود ، فحين سمع بأن النبي ﷺ وأصحابه بالحديبية ، احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكّب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ، ففرح به المسلمون وتلقوه ، فقام سهيل بن عمرو الى ابنه ابي جندل حين رآه فضرب وجهه ضرباً شديداً حتى رقّ عليه المسلمون وبكوا وتلببه اي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه نحره . وقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك اي اول شيء أحاكمك عليه أن ترده إليّ فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته . فقال سهيل : والله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً فقال له النبي ﷺ : فأجزه لي . قال : ما أنا بمجيز ذلك . قال : بلى ، فافعل . قال : ما أنا بفاعل . فقال مكرز وحويطب : بلى ، قد أجزنا ذلك . فأخذاه وأدخلاه فسطاطاً وكفا اباه عنه فأبى سهيل بن عمرو إجازتهما وقيل : إنما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه ، فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي ﷺ فانه قال ذلك نفاقاً وفي باطنه خلافه . قال ابن إسحق : ثم قال سهيل : يا محمد ، قد لجت القضية اي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده الى قريش ، فلما رأى ابو جندل أباه مصمماً على أخذه قال : أي معشر المسلمين أردّ الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً .

وفي رواية : جعل ابو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أردّ الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك ما بهم فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر ، وقد تم الصلح قبل أن تأتي . وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى جنب أبي جندل يقول له : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم كدم الكلب ويدنى له السيف . قال عمر رضي الله عنه : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول : ان الرجل يقتل أباه والله أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله ، فقال له أبو

جندل : مالك لا تقتله أنت ؟ فقال عمر : نهانا رسول الله ﷺ عن قتله وقتل غيره . فقال ابو جندل : ما أنت أحق بطاعة رسول الله ﷺ مني ، ولعل عمر رضي الله عنه ظن جواز قتل أبي جندل لأبيه لكونه أراد أن يفتنه عن دينه وإن قال له رسول الله ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب ، ثم رجع ابو جندل رضي الله عنه مكة في جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه أباه ، وسيأتي في آخر القصة ان ابا جندل في مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين ، وانهم انضموا الى أبي بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبي ﷺ تسأله بالأرحام أن يأويهم عنده ـ كما سيأتي ـ ثم إن سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديماً سراً وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدراً خرج من بينهم ودخل في اصحاب النبي ﷺ وشهد بدراً والمشاهد كلها ، وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشاً أرسلت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ، وقد وقع في المواهب ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمناً للصلح الذي وقع بينه ﷺ وبين سهيل بن عمرو ، فحبست قريش عثمان رضي الله عنه فحبس ﷺ سهيلاً .

قال الحلبي : ولا يخفى ما فيه ، ولما فرع رسول الله ﷺ من الصلح أشهد عليه رجالاً من المسلمين وهم : ابو بكر وعمرو وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم ، ومن المشركين : حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح إلا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبي ﷺ ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لا سيما عمر رضي الله عنه فانه أتى النبي ﷺ وراجعه كثيراً . كما تقدم ـ ومن مراجعته انه قال له : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلى ، قال : فلم نعطِ الدنية اي الحالة الدنية الخسيسة في ديننا إذاً ونرجع ولم يحكم الله بيننا . فقال له النبي ﷺ : اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري . قلت : وليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به أي للرؤيا التي رآها ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه هذا العام ؟ قال : لا . قال ﷺ : فانك آتيه ومطوّف به أي وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، لأنه كان ﷺ اخبرهم بأنه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ، ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر

عظيم حتى كادوا يهلكون ، وشق عليهم قال عمر رضي الله عنه : لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي ﷺ مراجعة ما راجعته مثلها قط ، حتى قال لي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : الا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ يقول ما يقول ؟ تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم ، فجعلت أتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم .

وروى البزار عن عمر رضي الله عنه : اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي وما ألوت عن الحق فرضي ﷺ وأبيت ، حتى قال : يا عمر ، تراني رضيت وتأبى . وفي رواية . قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء ابا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال : فلم نعطِ الدنية في ديننا إذاً ، فقال أبو بكر : أيها الرجل انه رسول الله ، وليس يعصى ربه ، فاستمسك بغرزه أي ركابه أي لا تفارقه ، فوالله انه على الحق . قال : قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرك أنا نأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فانك آتيه ومطوّف به . فأجابه بمثل ماأجابه النبي ﷺ ،ثم إن هذه الرواية مصرحة بان إتيانه لأبي بكر كان بعد إتيانه للنبي ﷺ . وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل إتيانه ﷺ ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لأبي بكر وراجعه قبل وبعد ، ودل جواب ابي بكر الموافق لجواب النبي ﷺ ، على أن ابا بكر رضي الله عنه أكمل الصحابة علماً ، وأعرفهم باحوال النبي ﷺ ، وأعلمهم بأمور الدين ، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى ، فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله ، وبارع علمه ، وزيادة عرفانه ، ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره .

وقد جاء في بعض الروايات : ان المسلمين استنكروا الصلح المذكور ، وكانوا على رأي عمر رضي الله عنه وعنهم فلم يوافقهم ابو بكر رضي الله عنه ، بل كان قلبه على قلب رسول الله ﷺ سواء ومر . في الهجرة ابن الدغنة وصفه بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ ، سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكَلّ ، ويعين على نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء وبجلالة قدر أبي بكر وسعة علمه عند عمر رضي الله عنه لم يراجع عمر في ذلك أحداً بعده ﷺ أو قبله غير الصديق ، وإنما سأله بعد سؤال المصطفى ﷺ لشدة ما حصل لعمر رضي الله عنه من الغيظ ، ولقوّته في نصر الدين وإذلال الكافرين . قال العلماء : لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه شكاً في

الدين حاشا ، رضي الله عنه .

ففي رواية ابن اسحق : أنه لما قال له إلزم غرزه فانه رسول الله قال عمر : وأنا اشهد أنه رسول الله ، بل كان سؤاله طلباً لكشف ما خفي عليه من المصلحة ، وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام ، كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين . ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى .

وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه : فعملت لذلك اعمالاً . وفي ابن اسحق : فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً . وعند الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما : لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً ، وصمت دهراً ، وإنما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الأمر ، وإن كان معذوراً في جميع ما صدر منه ، بل مأجوراً لأنه مجتهد ، وإنما توقف لنظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة . ولما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح والاشهاد ، وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب ، قام ﷺ إلى هديه فنحره ، ومن جملته جمل كان لأبي جهل نجيب مهري غنمه المسلمون منه يوم بدر ، ثم صار له ﷺ . وكان يضرب في لقاحه ﷺ . وفي رأسه برة أي حلقه من فضة وقيل : من ذهب ، وإنما أدخله ﷺ في الهدي : ليكون في ذبحه إغاظة للمشركين . وكان قد فر هذاالجمل من الحديبة ودخل مكة وإنتهى الى دار أبي جهل ، وخرج في أثره عمرو بن عنمة الأنصاري فأبى سفهاء مكة أن يعطوه ، حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة ثياب فقال رسول الله ﷺ : لولا أنا سميناه في الهدى فعلنا وفي لفظ : قال لهم سهيل بن عمرو : إن تريدوه فأعرضوا على محمد مائة من الإبل فإن قبلها فإمسكوا هذا الجمل وإلا فلا تتعرضوا له ، فعرضوا ذلك عليه ﷺ فأبى وقال : لو لم يكن هذا الجمل للهدي لقبلت المائة ، فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدي على الفقراء الذين حضروا الحديبية .

وفي رواية : أنه ﷺ بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم . وفي رواية أمه ﷺ بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات ، فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت : ما شأنك يا رسول الله ؟ فذكر لها ما لقي من الناس . وقال لها : هلك المسلمون ، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا . وفي لفظ : قال عجباً يا أم سلمة ألا ترين إلى الناس آمرهم بالأمر فلا يفعلونه ؟ قلت لهم : انحروا واحلقوا وحلوا مراراً فلم يجبني أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي فقالت : يا

رسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح . ثم أشارت اليه أن يخرج ولا يكلم أحداً منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ، ففعل ذلك أي أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدنة رافعاً صوته بسم الله والله أكبر ، ثم دخل قبة له من أدم ودعا بخراش الخزاعي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة ، فأخذه الناس وتحاصوه ، وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقات منها ، فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه ﷺ التي نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً للازدحام وإرادة التعجيل اقتداء به ﷺ ، وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهي في الحرم في قول مالك رضي الله عنه وبعضها في الحل ، وبعضها في الحرم في قول الشافعي رضي الله عنه .

وفي رواية أن النبي ﷺ أمر بالهدى فساقه المسلمون إلى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فأمر ﷺ بنحره . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت : حنت كما تحن الى أولادها ، فنحر ﷺ بدنه حيث حبسوه وهي الحديبية ، والمراد نحر أكثره ، فلا ينافي ما رواه ابن سعد عن جابر رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم ، وبعث الله ريحاً فحملت شعورهم فألقتها في الحرم جبراً لهم في صدهم عن البيت ، فإستبشروا بقبول عمرتهم .

قال الزرقاني : ولعل المراد غير شعره ﷺ أي لأنه اخذه المسلمون ـ كما تقدم ـ ويحتمل انهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقية في الحرم ، وحلق رجال وقصر آخرون فقال ﷺ : يرحم الله المحلقين . قالوا : والمقصرين ، قال : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين ، قال : والمقصرين وفي رواية : وقال في الرابعة والمقصرين ، وإنما توقف الصحابة رضي الله عنهم بعد الأمر لاحتمال أنه للندب ، او لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح او تخصيصه بمن أذن لهم في دخول مكة ذلك العام لإتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لأنه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم ، فإستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم ، مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة ، أو لأن الامر المطلق لا يقتضي الفوز . ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم أو فهموا انه ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم ، وأنه هو يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه فأشارت اليه أم سلمة بالتحلل ، لينتفي هذا الاحتمال ففعله ، فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به ، إذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره

لهم بالفطر في رمضان ، فأبوا حتى شرب فشربوا وفي سؤاله أم سلمة رضي الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها ، حتى قال إمام الحرمين : لا نعلم إمرأة أشارت برأي فاصابت إلا أم سلمة .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب في أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أي حين قالت : يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين . وفي قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين أذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ الآية . وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال : قال لنا النبي ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض .

وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية . وروى أحمد باسناد حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما كنا بالحديبية قال ﷺ : لا توقدوا ناراً بليل ، فلما كان بعد ذلك قال : أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم . وفي مسلم : أنه ﷺ قال : لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة . وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضي الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر ، وأجيب بان هذه البيعة إنما كانت لأجله لما أشاعوا موته وغيبته ، إنما هي لامتثاله أمر الله ورسوله ، وبايع عنه رسول الله ﷺ فقال : هذه عن عثمان وضرب بيده على الأخرى ، ولما رجع بايع - كما تقدم - فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأن عدم حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبي ﷺ لأجل تمريض ابنته رقية رضي الله عنها ، وقد عده ﷺ من أهل بدر ، وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين ، فاخراج . غلط ظاهر . ودل قوله : لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة ، وأما قولهم العشرة المبشرّون بالجنة ، فالمراد انهم ذكروا باسمائهم في حديث واحد حيث قال : أبو بكر في الجنة الى آخرهم . قال ابن عبد البر : ليس في الغزوات ما يعدل بدراً او يقرب منها إلا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان .

قال الزرقاني : لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وأنها التي تلي غزوة بدر في الفضل ، وكانت إقامته ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً وقيل : عشرين يوماً . وقال بعضهم : كانت مدة غزوته هذه كلها شهراً ونصفاً . ثم رجع ﷺ الى المدينة وفي نفوس

أصحابه رضي الله عنهم شيء من عدم الفتح الذي كانوا لا يشكوّن فيه . فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم . وقال ابن اسحق : نزلت وهو بضجنان ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف ـ جبل على بريد من مكة .

وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : لقد أنزلت علي سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ واختلف الناس في المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضي الله عنهم : الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح . قال الحافظ ابن حجر : ان الفتح في اللغة فتح المغلق ، والصلح كان مغلقاً حتى فتح الله وكان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت ، فكانت الصورة الظاهرية ضيماً للمسلمين والباطنة عزاً لهم . فان الناس للأمن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه ، فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً اي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم ، وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها ، وعبر فيه بالماضي لتحقق وقوعه ، وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفي . وقيل : المعنى قضينا لك قضاء بيناً على أهل مكة ان تدخلها انت وأصحابك قابلاً من الفتاحة وهي الحكومة .

وفي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال : تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر : يعني بالفتح قوله تعالى ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ وقد وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق انه يختلف باختلاف المراد من الآيات ، فالمراد بقوله تعالى ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الأ من ورفع الحرب ، وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة منها ، وتتابع الامر الى ان كمل الفتح اي بفتح مكة وأما قوله تعالى ﴿ وأنا بهم فتحاً قريباً ﴾ فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ .

وروى الامام احمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصاري الأوسى

رضي الله عنه قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وهو موضع امام عسفان ، وقد جمع الناس وقرأ عليهم ، انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، فقال رجل : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟ قال أي والذي نفسي بيده أنه لفتح ، وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال : نهنيك يا رسول الله ، فلما هنأه جبريل هناه الناس وروى موسى ابن عقبة والزهري والبيهقي عن عروة بن الزبير قال : اقبل النبي ﷺ : راجعاً فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصدَّ هدينا وردﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه ، فبلغهﷺ قول ذلك الرجل فقال : بئس الكلام ، بل هو أعظم الفتح قد رضي المشركون ان يدفعكم بالراح عن بلادهم ، ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم في الأمان ، ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين ، فهو اعظم الفتوح ، انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وأنا ادعوكم في أخراكم انسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون : صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح والله يا نبي الله ، ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت اعلم بالله وأمره منا .

وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي في قوله تعالى ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال : لم يكن في الاسلام فتح قبله اعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وامن الناس بعضهم بعضاًوالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، لم يكلم احد ذو عقل في تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك او اكثر ، ويدل عليه انه ﷺ خرج في الحديبية في الف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة في عشرة آلاف ، ومما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله افواجاً ، فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحاً اذ مقدمة الظهور ظهور ، وجاء أنهم في مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا اي أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع ، وفي الناس ظهر أي ابل فانحره لنأكل من لحمه ولندهن من شحمه ولنحتذي من جلوده ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يا رسول الله ،لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر امثل كيف بنا اذا لقينا عدونا غداً جياعاً رجالاً ؟ ولكن ان رأيت ان تدعو الناس الى ان يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعولهم

فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك . فقال رسول الله ﷺ ، ابسطوا انطاعكم وعباءكم ففعلوا ، ثم قال : من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ، ودعا لهم ثم قال : قربوا أوعيتكم فأخذوا ما شاء الله وملأوا اوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا ، وبقي مثله .

وفي مسلم خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا ان ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبي ﷺ فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز اي كقدر العنز وهي رابضة اي باركة ، وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربا ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله عبده مؤمن بهما الا حجب من النار . وقال ﷺ لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به ؟ فجاء رجل بأدواة وهي الركوة فيها نطفة من ماء أي قليل من ماء ، وقيل للماء اليسير نطفة لأنه ينطف اي يصب ، فأفرغها في قدح ووضع راحته الشريفة ﷺ في ذلك الماء فتوضأنا كلنا أي الاربعة عشرة مائة ند عفقة دغفقة اي نصبه صباً شديداً . وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون ﴾ انه ﷺ رأى وهو بالحديبية ان يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، فاخبرهم بذلك فلما صدّوا قالوا له اين رؤياك يا رسول الله ؟ فانزل الله ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ . الآية

قال الحلبي في السيرة : ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم انه ﷺ لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال : هذا الذي وعدتكم ، فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال : ادعو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : هذا الذي قلت لكم . ولما كان في حجة الوداع ووقف بعرفة قال : هذا الذي قلت لكم ، فان قيل انه لم يذكر في الرؤيا انه اخذ المفتاح ولا ان يقف بعرفه اجيب بانه يجوز ان يكون اخبر بذلك بعد الرؤيا او ان المراد من ذلك مجرد دخوله والله اعلم . والشجرة التي كانت البيعة عندها بلغ عمر رضي الله عنه في خلافته ان ناساً يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضي الله عنه من اتساع الأمر وظهور البدعة وان تعبد كالأصنام ، فأمر بها فقطعت ولما قدم ﷺ المدينة هاجرت اليه ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط رضي الله عنها ، وكانت اسلمت بمكة وبايعت قبل ان يهاجر ﷺ ثم خرجت في مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة ، وصحبت

رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة وهي اخت عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه ، لأن ام عثمان رضي الله عنه تزوجها بعد ابي عثمان عقبة بن ابي معيط ، فولدت له الوليد بن عقبة وام كلثوم بنت عقبة . وذكر بعضهم : انها اول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على ام سلمة رضي الله عنها واعلمتها انها جاءت مهاجرة ، وتخوفت ان يردّها رسول الله ﷺ عملاً بالشرط فلما دخل رسول الله ﷺ على ام سلمة رضي الله عنها . اعلمته فرحب بام كلثوم ، فخرج اخواها عمارة الوليد في ردها بالعهد فقالا يا محمد اوف لنا بما عاهدتنا عليه ، فقالت : يا رسول الله انا امرأة وحال النساء الضعف افتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي ؟ فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط في الرجل فقط ، وان النساء يمتحن قال الله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ الآية فأبى ﷺ ان يرجعها اليهم ، وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة انها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت إلا الله ورسوله .

وفي رواية : كانت المرأة إذا جاءت من حلفها عمر بالله أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين ، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ﷺ فإذا حلفت لم ترد ويرد صداقها إلى بعلها . فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشاً بذلك فرضوا بذلك ، ولم يكن لأم كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد بن حارثة رضي الله عنه ، فكان ﷺ في مدّة الصلح يرد الرجال ولا يردّ النساء بعد امتحانهن ، وممن جاء من الرجال الى النبي ﷺ أبو بصير ، وكان مسلماً بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب في رده : أزهر بن عبد عوف . وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس ابن شريق الثقفي حليف بني زهرة ، وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه كتابا وبعناية رجلاًمن بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق ، فقدما على رسول الله ﷺ بالكتاب فقرأه أبي بن كعب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فإذا فيه : فقد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح في ديننا الغدر ، وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق الى قومك ، فقال : يا رسول الله ، أتردّني الى المشركين يفتنوني في ديني ؟ قال : يا ابا بصير ، انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق معهما وصار

المسلمون يقولون له : الرجل يكون خيراً من ألف رجل ، يريدون بذلك إغراءه على من معه حتى إذا كان بذي الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحباه فقال ابو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه : اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر؟ فقال : نعم ، انظر اليه إن شئت ، فاستله العامري ثم هزه وقال : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً الى الليل . فقال له ابو بصير ، ناولنيه انظر اليه ، فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعني مات ، ثم طلب المولى الذي كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ والحصى يطنّ تحت قدميه . وفي لفظ يطير من تحت قدميه من شدّة عدوه وأبو بصير في أثره قد اعجزه ، فقال ﷺ : إن هذا الرجل قد رأى فزعاً . وفي رواية : ذعراً .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد قال له : ويحك مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي وافلت منه ولم اكذب اني لمقتول : واستغاث برسول الله ﷺ فأمنه فإذا أبو بصير اناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحاً السيف ، وقال لرسول الله ﷺ ، وقت ذمتك وادّي الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه ، فقال : اذهب حيث شئت . فقال : يا رسول الله ، هذا اسلب العامري الذي قتلته رحله وسيفه ، فخمسه فقال رسول الله ﷺ : إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم ، عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك . وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به ذوو الميرة ، واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة ، فكانوا يتسللون اليه . وانفلت ابو جندل بن سهيل بن عمرو الذي ردهﷺ يوم الحديبية ، وخرج من مكة في سبعين راكباً أسلموا فلحقوا بأبي بصير ، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ في مدّة الهدنة خوفاً من ان يردهم إلى أهلهم ، وانضم إليهم ناس من غفار واسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل ، فقطعوا مارّة قريش لا يظفرون باحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا أخذوها ، حتى كتبت قريش له ﷺ تسأله بالأرحام إلا آواهم ولا ساجة لهم بهم .

وفي رواية : أن قريشاً أرسلت ابا سفيان بن حرب في ذلك ، وان قريشاً اسقطت هذا الشرط وقالت : إن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره . فكتب رسول الله ﷺ الى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم : فقدم كتاب رسول الله ﷺ

عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات ، وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً ، وقدم ابو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم وأمنت قريش على عيرهم ، وتحقق قول النبي ﷺ : سيجعل الله لأبي جندل وأصحابه فرجاً ومخرجاً . وعلم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم لدين صعب عليهم رد أبي جندل الى قريش مع وسهيل بن عمرو وأن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه ، وأن رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان المصالحة كانت أولى لهم ـ كما تقدم بيان ذلك ـ والله سبحانه وتعالى أعلم .

غـزوة خيبر

بوزن جعفر وهي مدينة كبيرة من حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام . قال ابن إسحق : أقامﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرجﷺ في بقية المحرم الى خيبر سنة سبع . وقال ابن عقبة عن الزهري . أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها . وقيل : عشر ليالٍ وقيل : خمسة عشر يوماً . وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى أن فتحها في صفر ، وقيل : انها كانت سنة ست وهو منقول عن الإمام مالك ، وبه جزم ابن حزم . لكن قال الحافظ ابن حجر : الراجح ما ذكره ابن إسحق وهو قول الجمهور ، واستعملﷺ على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي ، وقيل : سباع بن عرفطة ، ويمكن الجمع بانه استخلف أحدهما اولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر ، وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ، ومائتا فارس ، وقد استنفرﷺ من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه . وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال : لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيئاً . ثم أمر منادياً ينادي بذلك . قال أنس رضي الله عنه : قال رسول اللهﷺ لأبي طلحة رضي الله عنه وهو زوج أم أنس رضي الله عنها حين اراد الخروج الى خيبر : التمسوا لي غلاماً من غلمانكم يخدمني ، فخرج ابو طلحة مرد في وانا غلام وقد راهقت ، فكان رسول اللهﷺ إذا نزل خدمته ، فسمعته كثيراً ما يقول : اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال . .

قال الحلبي : وهذاالسياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومهﷺ المدينة جاءت به أمه وقالت : هذا ابني وهو غلام كيّس ، وكان عمره

عشر سنين ، وقيل : تسع سنين . وقيل : ثمان سنين . ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : جاءت بي أمي الى رسول الله ﷺ ، وقد ازرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت : يا رسول الله ، هذا انيس ابني اتيتك به ليخدمك فادع الله له . فقال : اللهم أكثر ماله وولده ، وعند غيره مسلم : وأطل عمره وأدخله الجنة . وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون ﷺ إنما قال لأبي طلحة ما ذكر ، رجاء ان يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه ، وكان الله قد وعد رسوله ﷺ عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى : ﴿ وعدك الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ أي مغانم خيبر ، وخرج معه من نسائه ام سلمة رضي الله عنها . وقال ﷺ في مسيره لعامر بن الأكوع ثم سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما : انزل فحدثنا من هنيهاتك اي من أراجيزك وأشعارك . وفي لفظ : انزل حرك بنا الركاب ، وكان يحد وحداء حسنا . وفي رواية : وكان عامر رجلاً شاعراً فقال : يا رسول الله ، تركت قول الشعر . فقال له عمر رضي الله عنه : اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا والقين سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا أنا إذ اصيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وعند إنشاده الأبيات المذكورة قال له رسول الله ﷺ : يرحمك ربك . وفي رواية : غفر لك ربك وما قال ﷺ ذلك لأحد في مثل هذا الموطن إلا استشهد . فقال عمر رضي الله عنه : وجبت أي الشهادة يا رسول الله هلا امتعتنا به أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر ؟ فاستشهد رضي الله عنه في هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فإنه أراد ان يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك فقال الناس : قتله سلاحه . وفي رواية قتل نفسه ، أي فليس يشهد : فقال رسول الله ﷺ : أنه لشهيد . وفي رواية : قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : يا رسول الله ، فداك أبي وأمي ، زعموا أن عامراً حبط عمله . وفي لفظ : يزعم اسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامراً حبط عمله .

إذ قتل بسيفه فقال رسول الله ﷺ : كذب من قال ذلك أي اخطأ في قوله ، وإن له أجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد ، والجاهد الجاد في أمره ، فلما قام به وصفان كان له اجران .

وفي البخاري عن انس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ أتى خيبر ليلاً أي قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ، ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال ، وكان ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم أي لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر ، فان سمع أذاناً كف عنهم وإلا أغار عليهم . فلما أتى خيبراً أصبح ولم يسمعه إذاناً فركب . وفي رواية لابن اسحق : أنه ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه : قفوا . ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله . وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها ، فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم .

وحكى الواقدي : أن اهل خيبر سمعوا بقصده ﷺ لهم ، فكانوا يخرجون في كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون : محمد يغزونا هيهات هيهات ، حتى إذا كان الليلة التي قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ، ولم يصح لهم ديك ، حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحي طالبين مزارعهم ، فوجدوا المسلمين ، فلما رأوهم قالوا : محمد والله والخميس أي جاء محمداً وهذا محمد والله والخميس اي الجيش . فقال النبي ﷺ : الله اكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، قالها ثلاثاً وفي التنزيل : إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ، والثلاثة مبدأ لكثرة ، وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، ودفع راية اسعد بن عبادة رضي الله عنه . وذكر ابن اسحق انه ﷺ نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان ، لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم ، وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حساً خلفهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم في ذراريهم ، فرجعوا واقاموا وخذلوا أهل خيبر اي تركوهم . وجاء انه ﷺ لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير يقولون : الله اكبر لا إله إلا الله . فقال ﷺ : اربعوا على أنفسكم اي ارفقوا بانفسكم لا تبالغون في رفع اصواتكم ، انكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم .

وجاء ان عبد الله بن أبيّ بن سلول أرسل الى يهود خيبر يقول لهم : إن محمداً سائر اليكم فخذوا حذركم ، وأدخلوا اموالكم الى حصونكم ، واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ، إن عددكم كثيروقوم محمد شرذمة قليلون ، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل ، وانما قال ﷺ : الله اكبر خربت خيبر لأنه لما رأى آلة الهدم وهي المساحي والمكاتل تفاءل بأن حصونهم ستخرب ، ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحي وهو الأصح ، وكان يهود خيبرا دخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة ، وكان النبي ﷺ نزل قريباً من حصون النطاة ، فجاءه الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أن تترك منزلك هذا ، فان كان عن امر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان هو الرأي تكلمنا ، فقال رسول الله ﷺ هو الرأي فقال : يا رسول الله ، إن أهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ، ولا أعدل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمر النخل اي النخل المجتمع بعضه على بعض ، تحوّل يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : أشرت بالرأي اذا أمسينا إن شاء الله تحوّلنا . ودعا رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة فقال : انظر لنا منزلاً بعيداً ، فطاف محمد وقال : يا رسول الله ، وجدت لك منزلاً فقال ﷺ : على بركة الله ، وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول . وفي لفظ : إن راحلته قامت تجرّ بزمامها فأدركت لترد ، فقال : دعوها فانها مأمورة ، فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها ، فتحول رسول الله ﷺ الى الصخرة وتحول الناس اليها ، واتخذوا ذلك الموضع معسكراً ، وكان ذلك الموضع حائلاً بين أهل خيبر وغطفان ، وابتنى هنالك مسجداً صلى به طول مقامه بخيبر ، وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ، ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها .

وقاتل ﷺ يومه ذلك اشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر ، وهو على فرس يقال له الظرب وفي يده قناة وترس ، وما قيل انه ﷺ ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته أكاف من ليف ، فلعله كان في الطريق ، أما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل ، وهو ﷺ يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ، وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يقال له ناشر ، فكشف الأنصار حتى انتهى الى رسول الله ﷺ في موقفه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وامسى مهموماً . وفي

ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ، ألقاها عليه مرحب اليهودي وقيل : كنانة بن الربيع اليهودي ، ويحتمل أنهما اجتمعا في ذلك . وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح ، وكان الحر شديداً فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى ، فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه ونـدرت عينه ، فأدركه المسلمون فأتـوا به النبـي ﷺ فسوّى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة . فجاء أخوه محمـد بن مسلمة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة . فقال ﷺ : لا تتمنوا لقـاء العدوّ ، وأسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به ، فإذا لقيتموهم فقولوا : اللهم أنت ربنا وربهم وتواصينا وتواصيهم بيدك ، وإنما يقتلهم أنت . ثم الزموا الأرض جلوساً فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا .

ومكث ﷺ سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة ، يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإذا أمسى رجع الى ذلك المحل ، ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوي جروحه ، وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل ، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضي الله عنه ، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل ، فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه ، فقال : اذهب الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه ،وانتهى به الى باب رسول الله ﷺ فوجده يصلي، فسمع رسول الله ﷺ كلام عمر رضي الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله ﷺ لليهودي : ما وراءك ؟ قال : تؤمني يا أبا القاسم ؟ قال نعم . خرجـت من حصـن النطـاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة . قال : فأين يذهبون ؟ قال : الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤون للقتال ، والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافي ما تقدم ، أنهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وأخبره ان في هذا الحصن يعني حصن الصعـب من حصون النطاة ، في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً ، فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله .قال رسول الله ﷺ: إن شاء الله قال اليهودي: إن شاء الله اوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري ، وأخرى قيل : وما هي ؟ قال : ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فنفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة . ثم قال : يا أبا القاسم ، احتقن دمي . قال : أنت آمن . قال : ولي

زوجه فهبها لي . قال : هي لك . ثم دعاه الى الإسلام فقال : انظرني وكانﷺ تأخذه الشقيقة في بعض تلك الأيام ، فيبعث أناساً من أصحابه فلم يكن فتح ، ثم قالﷺ لمحمد ابن مسلمة رضي الله عنه : لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يديه ، فيمكنه الله من قاتل أخيك . وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبيﷺ الا ورجا أن يعطاها .

وفي رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللهﷺ كلهم يرجو أن يعطاها . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : ما احببت الامارة إلا ذلك اليوم . ويروى ان علياً رضي الله عنه لما بلغه مقالتهﷺ قال : اللهم لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، فبعثﷺ الى علي رضي الله عنه وكان أرمد شديد الرمد ، وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم ، فقيل للنبيﷺ : انه يشتكي عينيه . فقال : من يأتيني به ؟ فذهب اليه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وأخذه بيده يقوده حتى أتى به النبيﷺ ، وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الأبيض . قال ابن إسحق : لم تكن الرايات إلا يوم خيبر ، فإنهﷺ فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم ، وإنما كانت الألوية وكانت راية رسول اللهﷺ سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها .

وفي سيرة الحافظ الدمياطي : وكانت له راية سوداء . وفي رواية بيضاء وربما جعل فيها الأسود ، ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللواء ، ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات . كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا إلّه إلا الله محمد رسول الله أي بالسواد ، فلا تنافي بين الروايات . فقال علي يا رسول الله إني أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قدمي فوضع رأسه في حجرهﷺ ثم بصقﷺ في عينيه . وفي رواية : فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع . وقال علي رضي الله عنه : فما رمدت بعد يومئذ ، وفي رواية : فما رمدت ولا صدعت . وفي لفظ : فما اشتكيتهما حتى الساعة .

وفي هذا السياق لطيفة ، وهو أن من طلب شيئاً او تعرض لطلبه يحرمه غالباً وأن من لم يطلب الشيء ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه ، وقد أشار الى ذلكﷺ بقوله : رحم الله أخي يوسف لو لم يقل إجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ، ولكن لأجل

سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه ، وامر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، وضرب له عليه كلمة من استبرق وفوّض اليه امر مصر ، وقد قيل : لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع إلا على رأس من لا يريدها . ثم دعا النبيﷺ لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله : اللهم اكفه الحر والبرد . قال علي رضي الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حراً ولا برداً فكان رضي الله عنه يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ، ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين . وفي لفظ : الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد ، وكان يفعل ذلك إظهاراً لهذه المعجزة وتحقيقاً لها . وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال : دخل رجل على علي رضي الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة اي قطيفة خلقة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل لك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا ؟ فقال : والله لا أرزأكم من مالكم فانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة ، وقد يقال : لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك الحمى أصابته في ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل ، وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد علي رضي الله عنه ببركة ريق النبي ﷺ بقوله :

وعلي لما تفلت بعينيه وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظراً بعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبيﷺ اعطى علياً رضي الله عنه الراية ليذهب للقتال : فقال علي رضي الله عنه : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : انفد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الإسلام ، فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

وفي رواية : قال علي كرم الله وجهه : علام أقاتلهم ؟ قال علي : أن يشهدوا أن لا إلّه إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم ، وفي رواية : لما أعطاهم الراية قال له : امش ولا تلتفت فسار شيئاً ثم وقف ، ولم يلتفت فصرخ : يا رسول الله علام أقاتلهم ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : لما تهيأ علي رضي الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله ﷺ : يا علي ، والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك ، هذا جبريل عن يمينك بيده

سيف لو ضرب به الجبال لقطعها ، فأبشر بالرضوان والجنة يا علي إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم . وفي رواية : انهﷺ كان يعطي الراية كل يوم واحداً من أصحابه ويبعثه ، فبعث أبا بكر رضي الله عنه فقاتل حتى رجع ولم يكن فتح ، وقد جهد . ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح ، وقد جهد . ثم بعث رجلاً من الأنصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح . فقال عليه الصلاة والسلام : لأعطين الراية أي اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرّار ، فدعا علياً رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، ودعا له ومن معه بالنصر .

وفي رواية : ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ،ووجهه الى الحصن ، فخرج علي رضي الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن ، فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب . قال اليهودي : علوتهم والتوراة التي انزل الله على موسى ، ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحرث اخو مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي رضي الله عنه ، وانهزم اليهود الى الحصن . ثم خرج اليه مرحب . وفي روياة ان مرحبا لما علم أن أخاه قد قتل خرج سريعاً من الحصن ، وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ، ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

اذا الحروف أقبلت تلهب

فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول :

أنا الذي سمتن أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره

أكليكم بالسيف كيل السندره

ثم حمل مرحب على علي رضي الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده ، فتناول علي

رضي الله عنه باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ، ثم ألقاه من يده وراء ظهره ، وكان طول الباب ثمانين شبراً ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلاً الا بعد جهد ، ففيه دلالة على فرط قوة علي وكمال شجاعته رضي‌الله عنه. وعن أبي رافع رضي‌الله عنه : لقد رأيتني في سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر ، رواه ابن اسحق والبيهقي والحاكم . وعن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنهم : ان علياً رضي الله عنه حمل الباب يوم خيبر ، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً ، رواه البيهقي . وفي رواية للبيهقي : ان علياً رضي الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب احد ابوابه فالقاه بالأرض ، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً فكان جهدهم ان أعادوا الباب مكانه ، وهذا لا يعارض رواية أربعين لأنهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين : وأما الرواية السابقة التي فيها : لقد رأيتني في سبعة فقال الحافظ ابن حجر : الجمع بينها وبين رواية الأربعين ان السبعة عالجوا قلبه ، والأربعين عالجوا حمله ، والفرق بين الأمرين ظاهر ولو لم يكن إلا باختلاف حال الأبطال . ثم ان علياً رضي الله عنه ضرب مرحباً فتترس فوقع السيف على الترس ، فقدّه وشق المغفر الحجر الذي تحته والعمامتين ، وفلق هامته حتى أخذ السيف في الاضراس ، والى ذلك اشار بعضهم وقد اجاد بقوله :

وشادن أبصرته مقبلاً   فقلت من وجدي به مرحبا
قدّ فؤادي في الهوى قدّة   قدّ علي في الوغى مرحبا

وما ذكر من قتل علي رضي الله عنه لمرحب هو الصحيح المروي في صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير : ان الذي قتل مرحباً محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال : ان مرّحباً طلب المبارزة ، فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه : أنا يا رسول الله ، فإن أخي قتل بالأمس ولم يأخذ أحد بثاره ، وكان الذي قتله مرحب ، فقال : قم اليه ، اللهم أعنه عليه ، فقام اليه وبارزه فضربه مرحب ، فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها ، فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله . وفي رواية : فضربه في ساقه ، فيحتمل انه بارزه وضربه في ساقه وعلي رضي الله عنه الذي قتله . وقل ان الذي قتله محمد بن مسلمة إنما هو الحرث أخو

مرحب ، فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوباً على سيف مرحب : هذا سيف مرحب من يصبه يعطب . وقول عليّ رضي الله عنه :

أنا الذي سمتن أمي حيدره

أراد بذلك إعلام مرحب برؤية رآها علمها علي رضي الله عنه مكاشفة ، وذلك ان مرحباً رأى تلك الليلة مناماً ، أن أسداً افترسه فأشار بقوله حيدرة ، وهو من أسماء الأسد الى انه الأسد الذي يفترسه . فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه . وهذا الاسم سمت علياً به أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أرادت أن يكون اسم ابنها كأسم ابيها ، وكان أبو طالب غائباً . فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه علياً . وقيل : أن علياً كان يلقب بحيدرة وهو صغير ، والحيدرة الغليظ القوي ، فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئاً لحماً . ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني ياسر شاكي السلاح بطل مغادر

وكان أيضاً من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم ، وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، انه يقتل ابني ؟ فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله تعالى فقتله الزبير ، وعند ذلك قال له رسول الله ﷺ : فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواري الزبير .

وذكر الزمخشري : أن هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة . قال : انه يعني الزبير أول من استحق السلب ، وكان ذلك في بني قريظة برز رجل . من العدو فقال رجل ورجل . فقال النبي ﷺ : قم يا زبير فقالت أمه صفية رضي الله عنها : واحدي يا رسول الله ، فقال ﷺ : أيهما علا صاحبه قتله . فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله ، فنقله رسول الله ﷺ سلبه . وقال : السلب للقاتل هذا كلامه .

قال الحلبي : فليتأمل فاني لم أقف في كلام احد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة . وفي رواية : ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب ، ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أي من أنهما اشتركا في ذلك . وكان من جملة قتلى المسلمين الأسود الراعي كان أجبر

الرجل من اليهود يرعى له غنماً ، وكان عبداً حبشياً يسمى أسلم ، وقيل : يسار فجاء الى النبي ﷺ وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله أعرض علي الاسلام فعرضه عليه فأسلم . وفي رواية : قال : أن أسلمت ماذا لي ؟ قال : الجنة . فأسلم ، فلما أسلم قال : يا رسول الله إني أنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها . وفي رواية انها امانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك . قال : اضرب في وجهها فانها سترجع الى ربها . فقام الأسود فأخذ حفنة من حصى فرمى به وجهها وقال : ارجعي الى صاحبك ، فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر . وفي رواية : سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة ، فأتى به الى رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله : لَمْ أعرضت عنه ؟ قال : ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان : ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك . زاد في لفظ : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير ، وقد كان الإسلام من نفسه حقاً ، ثم إن الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم ، وهو أول حصن من حصون النطاة على يد عليّ أبي طالب رضي الله عنه . وعن يزيد بن ابي عبيد قال : رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فقلت : ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني يوم خيبر . فقال الناس : أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة ، رواه البخاري .

وفي البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال في رجل ممن يدعى الإسلام : إنه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال حتى كثرت به الجراح ، فكاد بعض الناس يرتاب أي يشك في قوله ﷺ : انه من أهل النار ، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته ، فاستخرج منها سهماً فنحر نفسه . فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعي فقال : يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه . فقال ﷺ : قم فأذن في الناس إنّه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : أنه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكر ومال الآخرون الى عسكرهم ، وفي أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فادة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقيل : ما أجزى أحد منا اليوم كما أجزى فلان . فقال ﷺ : أما أنه من أهل النار . فقال رجل من القوم : أنا صاحبه . فخرج

معه كلما وقف وقف معه ،! وإذا أسرع أسرعه معه ، فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييثه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل الى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ قال الرجل الذي ذكرت آنفاً : إنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك . فقلت : أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها ، وإنما الأعمال بالخواتيم . وقوله ﷺ في هذا الرجل : انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق في قلبه ، أطلع الله نبيه ﷺ عليه ، أو لأنه يرتد بعد ذلك ويستحل قتل نفسه .

قال العلماء : هذا الرجل أعلمنا النبي ﷺ انه نفذ عليه الوعيد بالنار ، ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضي عليه بالنار ، بل يحتمل أن هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك في الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافراً . ويؤيده قوله ﷺ : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة . وجاء في رواية : إن الذي نادى بلال ، وفي أخرى عمر بن الخطاب ، وفي اخرى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم .

قال الحافظ ابن حجر : يجمع بأنهم نادوا جميعاً في جهات مختلفة ، ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبي هريرة وسهل بن سعد رضي الله عنهما في بعض الألفاظ فقيل : ان القصة متعددة في موطنين لرجلين مختلفين وقيل : انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة ، وسيأتي أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يحضر قتال خيبر ، إنما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود ، والمسلمون يفتحون حصونهم حصناً بعد حصن حتى أتموها . وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون ، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً وقيل : أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصناً حصناً وهي النطاة بوزن حصاة ، وحصن الصعب، وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار في سهمه بعد ، وكان في قلة جبل والشق والقموص وحصن البري وحصن أبي والوطيح والسلالم ، وهو حصن ابن أبي الحقيق . وأخذ ﷺ كنز آل أبي الحقيق الذي كان

في مسك أي جلد حمار ، فلما كثر جعلوه في مسك ثور ، فلما كثر جعلوه في مسك جمل ، وكانوا قد غيبوه في خربة ، فدل الله رسوله ﷺ فأخبر بموضعه . وكان من مال بني النضير الذي حمله حيي بن أخطب لما أجلي عن المدينة .

روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن أهل خيبر شرطوا له ﷺ أن لا يكتموه شيئاً فان فعلوا فلا ذمة لهم ، فأتى بكنانة والربيع فقال لهما : ما فعل حيي الذي جاء به من النضير ، قالا : أذهبته الحروب والنفقات . فقال : العهد قريب والمال أكثر . وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما : انه ﷺ أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال : أين آنيتكم التي كنتم تعيرونها أهل مكة ؟ قالوا : هربنا فلم نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شيء فقال : إن كتمتماني شيئاً فأطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما . فقالا : نعم . فدعا رجلاً من الأنصار فقال : اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فأنني بما فيها ، فجاءه بالآنية والأموال فقوّمت بعشرة آلاف دينار ، فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث الذي نكثاه . وفي رواية : ان كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه ﷺ الى الزبير فمسه بعذاب فقال : رأيت حيياً يطوف في خربة ههنا ، ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبي الحقيق ، وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون ، وأرسلت أسلم الى رسول الله ﷺ أسماء بن حارثة وأمرته ان يقول لرسول الله ﷺ : ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون : أجهدنا الجوع ، فلامهم رجل وقال : من بين العرب تصنعون هذا ؟ فقال هند بن حارثة أخو أسماء . والله إني لارجو أن يكون البعث الى رسول الله ﷺ مفتاح الخير ، فجاءه اسماء وبلغه ما قالت أسلم ، فدعا لهم أي قال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوّة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم اياه . وقال : اللهم افتح أكثر الحصون طعاماً وودكاً .

ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم ، بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاماً منه من شعير وتمر وودك أي سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع ، وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل ، وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزاً ، فخرج له الحباب ، فقتله الحباب . فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فقتله وقال : خذها

وأنا الغلام الغفاري . فقال الناس : حبط جهاده . فقال ﷺ لما بلغه ذلك : يؤجر ويحمد ، وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه ، فثبت الحباب بن المنذر رضي الله عنه فحضن ﷺ المسلمين على الجهاد ، فأقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ، ثم أن المسلمين اقتحموا الحصن يقتلّون ويأسرون ، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيئاً كثيراً . ونادى منادي رسول الله ﷺ : كلوا واعلفوا ولا تحملوا اي لا تخرجوا به إلى بلادكم . وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : أصبت من في خيبر أي غنيمتها جراباً فاحتملته على عنقي أريد رحلي ، فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها وهو أبو اليسر كعب ابن زائد الأنصاري رضي الله عنه فأخذ بناصيتي وقال : هلم بهذا حتى نقسمه بين المسلمين . فقلت : لا والله لا أعطيك ، فجعل يجاذبني الجراب ، فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب الغنائم : لا أبالك خلّ بينه وبينه ، فأرسلني فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه . وكل الحصون فتحت عنوة إلا حصن الوطيح وحصن سلالم فانها مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوماً فلم يخرج أحد منهم ، فهم ﷺ ان يحمل عليه وأن ينصب عليهم المنجنيق ، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ، وأن لا يصحب أحداً منهم إلا ثوب واحد فصالحهم على ذلك . وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئاً . فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز إلا ثوباً واحداً فمن قال : ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين . ومن قال : صلحاً حمل على هذين . ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ، ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاء يهود تطلبها فأمر ﷺ بدفعها إليهم ، ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله اعطني جارية فقال : ﷺ اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي ، وكانت امرأة حسناء فتنافس ا لناس فيها ، فجاء رجل الى النبي ﷺ قال : خذ جارية من السبي غيرها ، فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي الربيع بن أبي الحقيق ، زوج صفية ، وكانت صفية بنت حيي من سبط هرون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاه ﷺ لنفسه ثم اعتقها وتزوّج بها وفي المواهب وإنما أخذ ﷺ صفية لأنها بنت ملك من ملوكهم .

قال الحافظ ابن حجر : ولد صفية مائة نبي ، ومائة ملك ، ثم صيرها إلى نبيه ﷺ ، وليس ممن توهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه ، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسباً وجمالاً ، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه ﷺ بها ، فان في ذلك رضا الجميع ، وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها فلطم وجهها وقال : إنك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب ، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها ﷺ فسألها عنه فأخبرته .

وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة رضي الله عنه قال : لما نزل ﷺ خيبر كانت صفية عروساً فرأت في المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها ، فقصَّت ذلك على زوجها فقال : ما تمنين إلا هذا الملك الذي نزل بنا ، ولا تنافي لامكان رؤيتها القمر أولاً ثم الشمس ثانياً ، فأخبرت بالمنام الأوّل أباها وبالثاني زوجها .

وفي هذه الغزوة سمت اليهودية الشاة للنبي ﷺ وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث ، امرأة سلام بن مشكم . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت خيبر واطمأن ﷺ بعد فتحها ، أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم ، فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظيم أنها مسمومة ، وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال ﷺ : لأصحابه : ارفعوا أيديكم ، ثم قال : اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ : إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال : من أبوكم ؟ فقالوا : أبونا فلان أي وانتسبوا الى غير أبيهم . فقال رسول الله ﷺ : كذبتم ، بل أبوكم فلان . قالوا صدقت وبررت . ثم قال : هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال لهم ﷺ : من أهل النار ؟ قالوا : نكون فيها زماناً يسيراً ثم تخلفوننا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : اخسئوا فيها ، والله لن نخلفكم فيها أبداً . ثم قال لهم : هل أنتم صادقوني عن الشيء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم قال : هل جعلتم في هذه الشاة سماً فقالوا : نعم . فقال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرّك .

وفي رواية : أرسل ﷺ الى اليهودية فقال : هل سممت هذه الشاة ؟ فقال : من

أخبرك ؟ قال : أخبرتني هذه في يدي مشيراً للذراع . قالت : نعم . قال لها : ما حملك على ذلك ؟ قالت : إن كنت نبياً يطلعك الله وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك ، وقد استبان لي انك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أني على دينك وأن لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فعفا عنهاﷺ ولم يعاقبها ، وتوفي من أصحابه الذين اكلوا معه بشر بن البراء رضي الله عنه ، واحتجم رسول اللهﷺ عن كاهله من أجل الذي أكل من الشاة .

وفي رواية : أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل : أي اجزاء الشاة احب الى رسول اللهﷺ ؟ فقالوا : لها : الذراع ، فعمدت الى شاة لها فذبحتها ، ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد أن شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم ، فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف . وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الأكلة بسبب ذلك السم فدفعﷺ تلك اليهودية لأوليائه فقتلوها فيه ، وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان في بعضها أنهﷺ لم يعاقب تلك اليهودية . وفي بعضها : أنه قتلها فيحمل على قتلها قصاصاً في بشر بن البراء ، وما كانﷺ ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح ، وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلاً ، فتلقى النبيﷺ جعفراً وقبّل جبهته وعانقه وقام له ، وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه ولعدي بن حاتم رضي الله عنهما . ثم قالﷺ :ما أدري بأيهما أفرح : بفتح او خيبر أم بقدوم جعفر ؟ وقالﷺ لجعفر رضي الله عنه : أشبهت خلقي وخلقي ، فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليهﷺ رقصه ، وجعل ذلك أصلاً لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد في مجالس ا لذكر والسماع ، وقدم من الحبشة مع جعفر رضي الله عنه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وجماعة من قومه .

ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : بلغنا مخرج النبيﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم في ثلاث او اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فالتقينا الى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب فقال : ان رسول اللهﷺ بعثنا هنا وأمرنا بالإقامة فاقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبيﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهدها معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فانه قسم لهم معنا وكانت اسماء بنت عميس رضي الله عنها متزوجة بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ،

وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضي الله عنه : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم ، فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ليس بأحق بي منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم انتم أهل السفينة هجرتان .

وعند البيهقي حديث طويل في قصتهم وفيه : انه ﷺ قال : إني لأعرف أصوات رفقة الأشعر بين القرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وقدم على النبي ﷺ في هذه الأيام أيضاً أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه . قال ابو هريرة رضي الله عنه : قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دوس فصلينا الصبح ، خلف سباع ابن عرفطة الغفاري رضي الله عنه ، فأخبرنا ان النبي ﷺ بخيبر فزوّدنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة ، فاقمنا حتى فتح الله ، وقدم على النبي ﷺ حجاج ابن علاطٍ السلمي ، وأسلم وكان مكثراً من المال . فقال : يا رسول الله إن مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة ، فأذن لي ان آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا باسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه ، فأذن له رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله لا بدّ لي ان أقول أي خلاف الواقع لاحتال على التوصل لآخذ مالي قال : قل قال : فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فإذا رجال من قريش يتشممون الأخبار ، وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعدما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير ، في ان النبي ﷺ يغلب أهل خيبر أو لا ، فقال حويطب بن عبد العزى : وجماعة بالأول . وقال عباس بن مرداس : وجماعة بالثاني . فلما جاءهم حجاج قالوا : حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا بإسلامه . ثم قالوا : يا حجاج بلغنا أن القاطع يعنون رسول الله ﷺ قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخير ما يسركم فاجتمعوا علي يقولون : يا حجاج ايه ؟ فقلت : لم يلق محمداً وقالوا : قوماً يسحنون القتال غير خيبر ، فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قطوانهم اسروا محمداً قوالوا : لا نقتله حتى نبعث به ، الى مكة فنقتله بين أظهرهم . وفي لفظ : يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لأهل مكة : قد جاءكم الخبر ، هذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ؟ قال حجاج وقلت لهم : أعينوني على غرمائي ، أريد أن أقدم فأصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار إلى ما هناك فجمعوا لي مالي على أحسن ما يكون ، ثم فشا الخبر بمكة ، وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة ، وحزن من كان بمكة من المسلمين .

وسمع بذلك العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم . ثم

أرسل الى حجاج غلاماً وقال : قل له يقول لك العباس : الله أعلى وأجل من أن يكون الذي جئت به حقاً . فقال له حجاج : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له : ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره وأكتم عني . فأقبل الغلام فقال : ابشر يا أبا الفضل ، فوثب العباس فرحاً كأن لم يكن مسه شيء ، وأخبره بذلك وأعتق العباس ذلك الغلام . وقال : لله علي عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام ، وقال : إني اخشى الطلب ، فإذا مضت الثلاث فأظهر أمرك فوافقه العباس رضي الله عنه على ذلك فقال : إني أسلمت وإن لي عند امرأتي مالاً وديناً على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الي وإني تركت رسول الله ﷺ قد فتح خيبر ، وجرت سهام الله وسهام رسوله ﷺ فيها ، وتركته عروساً بابنة ملكهم حيي بن أخطب وقتل ابن أبي الحقيق ، وأخبره الخبر وتمامه ، فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس رضي الله عنه تلك الليالي الثلاث . فلما مضت الثلاث عمد العباس رضي الله عنه الى حله فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيباً ثم أقبل يخطو حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، وهذا والله التجلد لحر المصيبة . قال : كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله ﷺ ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت ملكهم حيي بن أخطب لنفسه وأنه تركه عروساً بها . وإنما قال لكم ذلك ليخلص ماله وإلا فهو من أسلم ، فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون : يا عباد الله ، انفلت عدو الله يعنون حجاجاً أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك وقد قسم ﷺ غنائم خيبر ، فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ، ثم دفع ﷺ لأهل خيبر الأرض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم : إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، ثم استمروا على ذلك إلى خلافة عمر رضي الله عنه ، ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين ، فأجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم

غزوة وادي القرى

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود . روى ابن اسحق عن أبي هريرة رضي الله عنه : لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله ﷺ وأتينا وادي القرى ، نزلناها أصيلاً مع غروب الشمس ، وحاصرهم ﷺ اربعة أيام ، وهيأ ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وراية الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، وراية الى سهل بن حنيف رضي الله عنه ، وراية الى عباد بن بشر رضي الله عنه ، ثم دعاهم الى الإسلام واخبرهم انهم أن اسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه ، ثم آخر فقتله الزبير أيضاً ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ، ثم آخر فقتله أبو دجانة رضي الله عنه ، ثم اخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلاً ، كلما قتل رجل دعا من بقي الى الإسلام حتى أعطوا ما بأيديهم ، وفتحها ﷺ عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الأرض والنخل بأيدي يهود وعاملهم عليها ، وولاها ﷺ عمرو بن سعيد ابن العاص وصالحه ﷺ أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى ، وولاها ﷺ يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وكان إسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة ، وصالحه أيضاً أهل فدك على ان لهم نصفها وله ﷺ نصفها فأقرهم على ذلك ، فكانت له ﷺ خاصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادي القرى لأنه صالحهم بعد أن فتح خيبر ، ثم رجع ﷺ الى المدينة منصوراً مؤيداً والله أعلم .

ذكر خمسة سرايا بين خيبر وعمرة القضاء

سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

إلى تربة ـ بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث ـ وادٍ غرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء ، وهو موضع على أربع ليلٍ من مكة ، وكانت في شعبان سنة سبع . بعث ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه ثلاثون رجلاً ، فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوزان الى الطائفة التي كانت منهم بتربة فهربوا ، وجاء عمر رضي الله عنه إلى محالهم فلم يلق منهم أحداً ، بل ترفعوا واخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها ، فانصرف راجعاً الى المدينة . فلما كان بذي الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بني هلال : هل لك في جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد اجدبت بلادهم ؟ فقال عمر رضي الله عنه : لم يأمرني ﷺ بهم إنما أمرني أن أعمد لقتال هوازن بتربة .

ثم سرية ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

الى بني كلاب قبيلة بنجد بناحية ضربة ـ بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ـ وكانت في شعبان أيضاً سنة سبع . ويقال : الى بني فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين . وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى فزارة وخرجت معه ، حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا الماء ، وقتل من قتل منهم ، ورأيت الذراري فخشيت ان يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ؛ فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي ام قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب ، فجئت بهم اسوقهم إلى ابي بكر رضي الله عنه ، فنفلني أبو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوباً ، فقدمنا المدينة فلقيني ﷺ فقال : يا

سلمة ، هب لي المرأة لله أبوك فقلت : هي لك ، فبعث بها الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين . قال بعضهم : ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لأن ذلك إنما كان في سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم .

ثم سرية بشير بن سعد

الانصاري الخزرجي رضي الله عنه الى بني مرة بفدك في شعبان ايضا سنة سبع ، ومعه ثلاثون رجلاً فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس ، فقالوا : في نواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون والماء ، فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة ، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه العدد الكثير منهم عند الليل ، فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل اصحاب بشير ، فأصيبوا وولىّ منهم من ولى ، وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق ، فضربوا كعبه اختبار لحاله أهو حي أم ميت ، فلما لم يتحرك قالوا : قد مات ، ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضي الله عنه ، يخبرهم على النبي ﷺ ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر في القتلى حتى أمسى ، فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهود بها أياماً حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة .

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه :

إلى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة ، في مائة وثلاثين رجلاً وقيل : في مائتين وثلاثين . فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعماً وشاء إلى المدينة . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضي الله عنهما نهيك بن مرداس الأسلمي ، وقيل : الغطفاني بعد أن قال لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا أسامة ، من لك بلا إلّه إلا الله ؟ فقال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : هلا شفقت عن قلبه فتعلم أصادق هو ام كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد ان لا إلّه إلا الله وفي رواية : أن قوم مرداس لما انهزموا بقي وحده وكان ألجأ غنمه لجبل ، فلما لحقوه قال لا إلّه إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم ، فقتله أسامة بن زيد رضي الله عنهما . فلما رجعوا نزل قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عَرَضَ الحياة الدنيا ﴾ الآية . وقيل : ان ذلك في سرية أخرى سنة ثمان ،

كان اسمة هو أميرها . وانه لما قدم المدينة قال له النبيﷺ : يا أسامة اقتلته بعدما قال لا إلّه إلا الله . قال أسامة ، قلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً فما زال يكررها أي قوله اقتلته الخ ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أي لأن الإسلام يجب ما قبله ، فقيل : ان النبيﷺ دفع لأهل القتيل ديته وأمر أسامة أن يعتق رقبة والله أعلم .

ثم سرية بشير بن سعد أيضاً :

الانصاري رضي الله عنه الى يمن وجبار وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت في شوال سنة سبع من الهجرة : بعثهﷺ ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان وأعدهم عيينة ابن حصن للاغارة على المدينة ، فساروا الليل وكمنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعماً كثيرة فغنمها ، ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم إنهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول اللهﷺ فأسلما فأرسلهما ، والمناوشة تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً .

عُمرة القضاء

قال موسى بن عقبة : قال : ابن شهاب انه ﷺ خرج في هلال ذي القعدة سنة سبع معتمراً ، وأمر أصحابه أن يعقروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية ، وأمر ان لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضاً فكانوا الفين سوى النساء والصبيان ، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه ، وساق معه ﷺ ستين بَدَنه ، وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس ، وإنما فعل ذلك احتياطاً وتوثقاً خوفاً من غدر أهل مكة ، فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضي الله عنه وأحرم ﷺ وسلك طريق الفرع ولبى ، ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران ، فوجد بها نفراً من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال : هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى ، فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً وإنا على كتابنا وملتنا فقيم بغزونا محمد في أصحابه ، وبعثوا مكرز بن حفص في نفر من قريش حتى لقوه ﷺ ببطن يأجج في أصحابه والهدي والسلاح قد تلاحق فقالوا : والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلاَّ بسلاح المسافر . فقال : إني لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز : هو الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع بأصحابه الى مكة فقال : إن محمداً على الشرط الذي شرط لكم ونزل ﷺ بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج ، موضع على أميال من مكة وخلف عليه اوس بن خولي الأنصاري رضي الله عنه في مائتي رجل ، حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضي الله عنهم ، وخرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال ولم يقدروا على رؤيته ﷺ هو وأصحابه يطوفون بالبيت .

وفي رواية : خرجوا استنكافاً أن ينظروا اليه ﷺ غيظاً وحنقاً أي حسداً وقدم ﷺ الهدى أمامه بذي طوى ، وخرج راكباً ناقته القصواء والمسلمون متوحشون السيوف محدقون برسول الله ﷺ ، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشي بين يديه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقبله	ويذهل الخليل عن خليله
قد انزل الرحمن في تنزيله	بان خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تأويله	كما قتلناكم على تنزيله
يا رب اني مؤمن بقيله	اني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه : يا ابن رواحة . أبين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال له ﷺ : خل عنه يا عمر فلهي أي هذه الأبيات أي نكايتها فيهم أسرع من نضح النبل ، وقيل : إن قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ ، من قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما يوم صفين ، ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا ، وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال ﷺ لابن رواحة رضي الله عنه : قل لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، واعز جنده وهرم الاحزاب وحده ، فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس ، وفي أمره بذلك زيادة إغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور ولا سيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ، ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه وطاف على ناقته . وفي رواية : ماشياً وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم .

وفي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون قوّتهم فقالوا : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم : لهؤلاء أجلد من كذا وكذا إنهم لينفرون من نفر الظبي ، والمشركون كانوا على جبل قيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لأنهم إنما يرونهم إذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته ، وبعد فراغه نحر هديه عند المروة

وحلق هناك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى اصحابه ببطن يأجج ، يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ، ففعلوا وأقامﷺ بمكة ثلاثاً كما شرطه قريش في المدنة ، فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا : ننشدك الله والعهد إلا ما خرجت من أرضنا ، فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فاسكتهﷺ وأذن بالرحيل . قال الحافظ ابن حجر : كأنه دخل في أوائل النهار فلم تكمل الثلاث إلا في مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق ، وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفي البخاري من حديث البراء : فلما دخلها يعني مكة ومضى الأجل أي الأيام الثلاثة أتوا علياً رضي الله عنه فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبيﷺ فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنها واسمها امامة أو عمارة أو سلمى اوغيرذلك ، تنادي : يا عم يا عم فتناولها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها وهي في هودجها : دونك ابنة عمك . وقال علي رضي الله عنه للنبيﷺ : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أي في أنها تكون عند أيهم ، وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال علي رضي الله عنه : أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهراني المشركين ، وقال جعفر بن أبي طالب : هي ابنة عمي وخالتها اسماء بنت عميس تحتي ، وقال زيد بن حارثة : هي ابنة أخي اي لأن النبيﷺ آخى بينه وبين حمزة رضي الله عنه فكان لكل فيها شبهة ، فقضى بها النبيﷺ لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الأم . وقال لعلي أنت مني وأنا منك تطيباً لخاطره . وقال لجعفر : أشبهت خلقي وخلقي . وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ، وإنما أقرهم النبيﷺ على إخراجها مع اشتراط المشركين ان يرد اليهم من جاء اليه ، وان لا يخرج بأحد من أهلها لأنهم لم يطلبوها ، ولأن النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك الشرط ، وتزوجﷺ ميمونة رضي الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف . وجاء في رواية : انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال . قال المحققون : إن ذلك وهم ، والصحيح الأول ، واختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء ، فقال مالك والشافعي والجمهور : لأنه قاضي قريشاً سنة الحديبية ، فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها ، بل كانت عمرة تامة . وقال ابو حنيفة وأحمد في رواية عنه : ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة

سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع ، في خمسين رجلاً فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبني سليم فأخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم ، فجمعوا لابن أبي العوجاء جمعاً كثيراً فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الإسلام فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا اليه ، فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الأمداد ، وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية ، وقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم ، وفي رواية ، قتلوا جميعاً حتى أميرهم وقيل : تركوه جريحاً ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في أوّل يوم من صفر . وقيل : نجامعه اثنان او أكثر فعاونوه في الذهاب الى المدينة والله أعلم .

سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه :

الى بني الملوح بالكديد ـ بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال ـ وهو ماء بين عسفان ، وقديد وكانت في صفر سنة ثمان . روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وامره بشن الغارة على بني الملوح بالكديد فخرجنا حتى إذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال : إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله ﷺ فقلنا له : ان تكن مسلماً فلن يضرك رباط يوم وليلة ، وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود وقلنا له : ان غارك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي رئية لهم فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر ، فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في اول يومي ، فانظري الى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لا تكون الكلاب جرت بعضها ؟ فنظرت وقالت : لا والله أفقد شيئاً . قال : فناوليني قوسي وسهمين ، فناولته فأرسل سهماً فما أخطأ بين عيني فنزعته وثبت مكاني ، فأرسل الآخر فوضعه في منكبي فنزعته ووضعته وثبت مكاني فقال لامرأته : لو كان رئية لقوم لقد خالطه سهماي لا أبالك إذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ، ثم دخل وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شننا

عليهم الغارة ، فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريح القوم ، فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا ، وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد ، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر أحد أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم أن يمر الينا ونحن نحدوها سراعاً ، حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهي امه وقيل : أم أبيه وهو صحابي رضي الله عنه ، سكن مكة ثم المدينة وتوفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه . وله حديث واحد وهو قوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذي وابن حبان وصححاه والله اعلم .

إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص رضي الله عنهم

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ : فليس موطن اشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي اني في غير شيء ، وأن محمداً يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله ، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إليّ كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ومثل الإسلام لا يجهله أحد ، قد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به . فقال : ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيراً له ، ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام .

وسرتني مقالة رسول الله ﷺ ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا ؟ فقال : لو لم يكن يبقى غيري ما اتبعته أبداً ، فقلت : هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان ، قلت : فاكتم ذكر ما قلت لك . قال : لا أذكره . ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت : هذا لي صديق ، فأردت ان اذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربع ، مسافع والحلاس والحرث وكلاب ، فانهم قتلوا كلهم يوم أحد ، فكرهت أن أذكر له ثم قلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب في حجر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، ثم

قلت له لصفوان وعكرمة ، فأسرع الإجابة وواعدني ان سبقني اقام بمحل كذا ، وإن سبقته إليه انتظرته ، فلم بطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة ، وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم ، فقلنا : وبك . قال : أين مسيركم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام . قال : وذلك الذي أقدمني . وفي لفظ : قال عمرو لخالد : يا أبا سليمان أين تريد ؟ قال : والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وإن هذا الرجل لنبي فاذهب وأسلم . فحتى متى ؟ قال عمرو : وأنا والله ما جئت إلا لأسلم فاصطحبنا جميعاً .

وحدث عمرو بن العاص رضي الله عنه عن سبب إسلامه كما رواه ابن اسحق وغيره ، قال عمرو : لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم : تعلمون والله أن أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وقد رأيت أن نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد فكوننا تحت يده أحب الينا من يد محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي قلت : فاجمعوا ما يهدي له ، وكان أحب ما يهدي اليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو ابن أمية الضمري رسوله ﷺ في شأن جعفر وأصحابه ، فدخل عليه ثم خرج فقلت لأصحابي ، هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشي فأعطيانه فضربت عنقه لرأت قريش أني أجرت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قلت له : نعم أدماً كثيراً وقربتة اليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : إني رأيت رسول عدوّنا خرج من عندك فأعطينه لأقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا ، فغضب ثم ضرب ألقى ضربة بيده ظننت انه كسره ، فلو اشنقت بي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته . قال : أتسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام لتقتله ، قلت : كذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمر ، وأطعني واتبعه ، فأنه والله لعلى الحق وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت عامداً الى رسول الله ﷺ ، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح ، فصحبته حتى قدمنا المدينة .

وفي إسلام عمر على يد النجاشي لطيفة ، هي : أن صحابياً أسلم على يد تابعي ولا

يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة ، فأخبر بهم رسول الله ﷺ فسرّ بهم وقال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . قال خالد : فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله ﷺ فلقيت أخي فقال : اسرع فان رسول الله ﷺ قد سر بقدومكم وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله ﷺ يبتسم حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوّة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت : أني أشهد ان لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله . قال : الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ان لا يسلمك إلا إلى خير . قلت : يا رسول الله ، ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك . فقال ﷺ ، الإسلام يجُبّ ما كان قبله . وتقدم عثمان وعمر فأسلما . وفي رواية عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه ﷺ ، وان لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ﷺ وما استطعت ان ارفع طرفي حياء منه ، قال : فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال : إن الإسلام يجُبّ ما كان قبله ، والهجرة تجبّ ما كان قبلها ، فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد في أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة .

وروى الزبير بن بكار : انهم لما قدموا عليه ﷺ قال عمرو : كنت أسنّ منهما فأردت أن أكيدهما ، فقدمتهما قبلي للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما ، فأضمرت في نفسي أن أبايع على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وانسيت أن أقول وما تأخر . وروى الزبير بن بكار : ان رجلاً قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه : ما ابطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك ؟ قال : كنا مع قوم لهم علينا تقدم ، وكانوا ممن توازي احلامهم الجبال فلذنا بهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر الينا نظرنا وتدبرنا ، فإذا حق بين فوقع الإسلام في قلبي ، وكان عمرو رضي الله عنه امير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه ، وهو احد دعاة العرب ، توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة .

وروى الخطيب مرفوعاً : يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجراً ، وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فهو أحد الأشراف كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية ،

وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة ـ كما تقدم ـ ثم صار سيف الله ولم يزلﷺ يوليه أعنة الخيل . روى ابو يعلى : لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله ، صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤته ، ويوم قتال أهل الردّة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى ، إذ كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل .

وروى ابو زرعة الدمشقي مرفوعاً نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ، سله الله على الكفار . وروى سعيد بن منصور عن خالد رضي الله عنه قال : اعتمر رسول اللهﷺ ولعلها عمرة الجعرانة ، فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالا وهي معي الا تبين لي النصر . ورواه ابو يعلى بلفظ . فما وجهت في وجه إلا فتح ، والأكثر على أنه مات بحمص سنة إحدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة . وقيل : توفي بالمدينة النبوية .

روى ابن المبارك عن خالد رضي الله عنه انه قال : لما حضرته الوفاة ، لقد طلبت القتل في مظانة فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصّي العبدري فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح في الجاهلية والإسلام . ووقع في تفسير الثعلبي بلا سند ، انه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له المفتاح . قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمر وخالد وبه جزم غير واحد ، ثم سكن المدينة وبها مات سنة اثنتين وأربعين ، وقيل : استشهد بأجنادين قال العسكري : وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه أيضاً

لما رجع رضي الله عنه من سرية الكديد مؤيداً منصوراً بعثهﷺ الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك ، في صفر سنة ثمان . روى ابن سعد أنهﷺ هيأ الزبير بن القوام رضي الله عنه وقال له : سر حتى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير ، فان اظفرك الله بهم فلا تبق فيهم ، وهيا معه مائتي رجل وعقد له لواء . فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم . فقالﷺ للزبير : اجلس وبعث غالباً ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح ، وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحرث الى

محالهم ، فأشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر ، وروى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال : بعثني ﷺ في سرية مع غالب الى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح ، وقد أخذ علينا اميرنا ان لا نفترق وآخى بيننا وقال : لا تعصوني فانه ﷺ قال : من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم ، فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، فأصبنا القوم ، وروى انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو اهله ثم قال : اما بعد ، فاني اوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمراً ، فانه لا رأي لمن لا يطاع ، ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم : لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه ، وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف ، وكان شعارهم أمت أمت ، وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها ، وكانت سهامهم عشرة ابعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم .

ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسيء ـ بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة ـ وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان ، ومعه أربعة وعشرون رجلاً وأمره ان يغير عليهم ، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعماً كثيراً وشاء ، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة ، وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم .

ثم سرية كعب بن عمير :

الغفاري رضي الله عنه الى ذات اطلاح من ارض الشام ، وراء ذات القرى ، في ربيع الأوّل سنة ثمان في خمسة عشر رجلاً ، فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعاً كثيراً ، وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم ، فأخبر بقلة الصحابة فجاؤوا على الخيل ، فدعاهم المسلمون الى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح في القتلى . قال ابن سعد : هو الأمير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي ﷺ فأخبره الخبر ، فشق عليه

ذلك وهمّ بالبعث اليهم ، فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله اعلم .

ثم سرية مؤتة

وسماها البخاري وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها ، وإن لم يخرج فيها النبي ﷺ وهي - بضم الميم وسكون الواو والهمز بدلها آخرها هاء - وهي من عمل البلقاء ، وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس ، وكانت في جمادي الأولى سنة ثمان . وسببها أن النبي ﷺ كان أرسل الحرث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى ،من جهةهرقل،وهو الحرث بن أبي شمر الغساني ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له : أين تريد ؟ فقال : الشام . فقال : لملك من رسل محمد ؟ قال : نعم ، فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فأمر رسول الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه على ثلاثة آلاف ، وندب رسول الله ﷺ الناس وقال : ان قتل زيد فالأمير جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلاً من بينهم يجعلونه عليهم أميراً ، وكان ممن حضر يهودي اسمه النعمان فقال : يا محمد ، ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعاً لأن أنبياء بني اسرائيل كانوا إذا استعملوا لرجل على القوم ثم قالوا : أن أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبواجميعاً ثم جعل يقول لزيد : اعهد لي أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبياً . قال زيد : أشهد انه رسول صادق بار ، وعقد لهم ﷺ لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك الى الإسلام ، فأن أجابوا وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم ، فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج ﷺ مشبعاً حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم وقال : أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة ، ولا تقربوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء ، ولما ودّع ابن رواحة بكى رضي الله عنه فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدينا ولا صبابة بكم . ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

لكنني اسأل الرحمن مغفرة   وضربة ذات فرغ تقذف الربذا
او طعنة بيدي حران مجهزة   بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي   يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفي رواية : ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبيﷺ وفراقه قال له النبيﷺ : قل شعراً تقتضبه اقتضاباً أي من غير روية . فقال :

إني تفرست فيك الخير نافلة   فراسة حالفت فيك الذي نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله   والوجه منه فقد ازهى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن   تثبيت موسى ونصر كالذي نصروا

فقال لهﷺ : وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبيﷺ ؟ فلما صلى رآه قال : ما منعك ان تغدو مع اصحابك ؟ قال : أردت ان أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم . فقالﷺ : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم . وفي رواية : لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها . فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمر والغساني ، فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلائع امامه ، فلما نزل المسلمون وادي القرى بعث اخاه سدوس بن عمرو في خمسين من الكفار ، فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ، ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدوّ فأقاموا على معان ليلتين ، ومعان ـ بفتح الميم ـ موضع او جبل من أرض الشام ، وبلغ المسلمين أن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من مشركي الروم ومع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرام يبلغون مائة ألف ، وهم الذين جمعهم شرحبيل . وجاء في رواية : ان القوم كانوا مائتي الف من الروم وخمسين ألفا من العرب ، ومعهم خيول كثيرة . فقال المسلمون : نكتب الى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر فأما أن يمدنا بالرجال وأما أن يأمرنا بأمر فنمضي له ، فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال : يا قوم ، والله ان التي تكرهون للتي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه ، فمضوا إلى مؤنة

ووافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لا حدبه من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف ، والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب إظهاراً للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم . وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم ، لأنهم باعوها لله تعالى إذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا إنما هو لما وقر في قلوبهم واطمأنت عليه نفسوهم من الثقة ، يقول الله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ وقوله : ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ وقوله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح رضي الله عنه ، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال ، وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وكان اسنّ من علي رضي الله عنه بعشر سنين وقيل : كان عمره أربعين وقيل : إحدى وأربعين ، وكان رضي الله عنه حين أشتد القتال وأحاط به العدوّ يقاتل ويقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم وقد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ اذ لاقيتها ضرابها

وإنما عقر فرسه خوفاً أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان بقاتل ولا يفر ، ففيه دليل على فرط شجاعته رضي الله عنه . ولما أخذ اللواء قاتل قتالاً شديداً فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعه يساره ، فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون . وفي رواية وتسعون جرحاً ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شيء في دبره ولا ظهره ، أي ليس منها شيء في حال الأدبار بل كلها في حال الإقبال لمزيد شجاعته ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه

أن أجلب الناس وشدّوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً :

يا نفسي ألا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً رضي الله عنهما ،.ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال : شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال : وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور : أنهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم . وفي الصحيح : وما يسرهم انهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ، ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الأنصار ، وكان من أهل بدر رضي الله عنهم وقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : انت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه . وفي رواية : ان ثابتاً مشى باللواء الى خالد وقال : أنت أعلم بالقتال مني ، فلم يقبل خالد اللواء وقال : انت أحق به مني لأنك ممن شهد بدراً ، فنادى ثابت : يا معشر المسلمين ، فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه . وفي الصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة . قال الحاكم : قاتلهم خالد بن الوليد قتالاً شديداً فقتل منهم مقتله عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة ، وانقطع في يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى ما بقي في يده إلا صفيحة يمانية ، وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ما رؤي مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا .

وجاء في رواية : أنه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا ، حتى لم ير اثنان جيعاً ، ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين . وفي رواية : انه لما اصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة ، فأنكر العدوّ حالهم وقالوا : جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم ، وكان جملة من قتل من

المسلمين اثني عشر رجلاً وهذا من عناية الله بالإسلام وأهله ومزيد إعزازه ونصره لهم ، إذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتي ألف فلا يقتل منهم إلا اثنا عشر رجلاً ، مع أنهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام ، وأما قتلى المشركين فلا يحصون ، فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته ﷺ الباهرة التي أكرم الله بها أصحابه رضي الله عنهم ، ورفعت الأرض يومئذ لرسول الله ﷺ حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه ، وذلك انه لما أطلع على ذلك نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال : يأيها الناس ، باب خير باب خير باب خير ثلاثاً ، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدوّ فقتل زيد شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ، ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره . وفي رواية : ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله ، سلة الله على الكفار والمنافقين من غير إمرة حتى فتح الله عليهم . وفي رواية ، قال : اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره ، فمن يومئذ سمي خالد سيف الله . وفي لفظ : ثم اخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه .

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خالد ابن الوليد رضي الله عنه الى النبي ﷺ فقال : يا خالد ، لم تؤذي رجلاً من أهل بدر لو انفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله ؟ فقال : يا رسول الله انهم يقعون في فأردّ عليهم . فقال : لا تؤذوا خالداً فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار . قال بعضهم : كون ما وقع يوم مؤتة فتحاً ونصراً واضح لإحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لأنهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف ، وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية ، وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة ، وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم ، فصار أهل المدينة يقولون لهم : انتم الفرارون ورسول الله ﷺ يقول : بل هم الكرارون وفي لفظ : العكارون اي الكرارون . وجاء في رواية : أنا فئتكم يشير الى قوله تعالى : ﴿ إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة ﴾ يعني ان فرارهم كان من الأنحياز الى فئة ، وأيضاً زاد العدوّ على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم ، والحاصل ان المسلمين لما

قتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه انهزموا وتفرقوا ، وذهب جماعة منهم الى المدينة . ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس ، وقد مدح رسول الله ﷺ خالداً على ذلك وأثنى عليه . ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي ﷺ بخبر الجيش قال له النبي ﷺ : إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله لأزداد يقيناً . فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ووصف له ما كان فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله : إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم ، وحين رأى ذلك قال : حمي الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل : ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الأشعري رضي الله عنه ، ولا مانع من أن كلاً منهما جاء بالخبر .

وعن اسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال : ائتني بيني جعفر ، فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية : وبكى حتى نقطت لحيته الشريفة فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر واصحابه شيء قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم قالت : فقم أصبح واجتمع عليّ النساء وجعل رسول الله ﷺ يقول لي : يا أسماء ، لا تقولي هجراً ولا تضربي خداً وقال : اللهم قدمه يعني جعفر الى أحسن الثواب ، واخلفه في ذريته بأحسن ما خلقت أحداً من عبادك في ذريته ، وخرج رسول الله ﷺ الى إهله فقال : لا تغفلوا عن آل جعفر ان تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وفي لفظ : انه دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول : واعماه ، فقال علي مثل جعفر فلتبك البواكي . ثم قال ﷺ : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن انفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ما هم فيه ، وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن سلمى مولاة النبي ﷺ عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً ، قال عبد الله : فأكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله ﷺ مع اخوتي ثلاثة أيام ، ندور معه ﷺ كلما صار في بيت إحدى نسائه ، ثم رجعنا الى بيتنا ، وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر رضي الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر النقيعة ، وطعام البناء الوكيرة .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح : ثم أمهل ﷺ آل جعفر ثلاثاً ثم أتاهم فقال لهم :

لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ثم قال : ائتوني ببني أخي فجيء بنا كانا أفرخ ، فدعا الحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال : أما محمد فشبيه عمنا ابي طالب ، واما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ، ثم دعا لهم . قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما : دعا لي وقال : اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعث شيئاً ولا اشتريته إلا بورك لي فيه . وجاء انه ﷺ قال : مثل لي زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في خيمة من در ، كل واحد منهم على سرير ، فرأيت زيد وابن رواحة في أعناقهما صدودا أي اعراضاً ، ورأيت جعفراً ليس في عنقه صدود ، فسألت فقيل : انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ، وأما جعفر فانه لم يفعل .

وعن قتادة ان رسول الله ﷺ قال : لما قتل زيد اخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد . وفي رواية : رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا في الجنة على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريري صاحبيه فقلت : مم هذا ؟ فقيل لي : مضينا وتردد عبد الله عبد الله بعض التردد ثم مضى أي فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد في النزول وفي لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضاً فقيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد . وقال ﷺ : ان الله أبدل جعفراً بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال : إني صائم فضعه في ترسي عند رأسي ، فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال : فمات صائماً قبل الغروب ، ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح .

وكان النبي ﷺ يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال : وعليكم السلام ورحمة الله ، فقال الناس : يا رسول الله ، ما كنت تصنع هذا ؟ فقال مرَّ بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم عليّ وفي رواية : مرّ بي وهو مخضب الجناحين بالدم .

ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبي ﷺ خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابني عبد الله ابن جعفر ، فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت

عميس رضي الله عنها وتزوّجها أبو بكر رضي الله عنه بعد جعفر بن أبي طالب ، فولدت له محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ، ثم تزوّجها علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : هنيئا لك ابوك يطير مع الملائكة في السماء .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير مع الملائكة . وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت . قال السهيلي : إن الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران ، لا أنهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ، ولا كونهما مضمخين بالدم ، ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال : إنهما جناحان حقيقيان . وأطال في ذلك والله اعلم . وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يرثى بها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وبعض من معه فقال :

يؤوبني ليل بيثرب أعسم   وهم اذا ما نوّم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي لوعة   سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقد ان الحبيب بلية   وكم من كريم يبتلي ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا   شعوباً وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا   جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم   الى الموت ميمون التقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم   أبيّ إذا سم الظلامة يجسر
فطاعن حتى مال غير موسد   بمعترك فيه فتى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه   جنان وملّتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد   وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
ولا زال في الاسلام من آل هاشم   دعائم عزلا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم   رضام الى طود يروق ويقهر
بهاء ليال جعفر وابن أمه   علي ومنهم أحمد المتخير

وحمـزة والعبـاس منهـم ومنهم عقيل وماء العـود من حيث يعصمر
بهـم تفـرج الـلأواء في كل مارق عماس اذا ما ضاق بالنـاس مصدر
هم اولياء الله أنـزل حكمه عليهـم وفيهـم ذا الكتـاب المطهر

سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه

الى بلاد بلى وعذرة وهي وراء وادي ذات القرى ، بينها وبين المدينة عشرة ايام وبلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد ابن قضاعة ، وتسمى سرية ذات السلاسل ، سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا ، والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض في اول الأمر ، فلا ينافى انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا . وقيل : سميت بذلك لأن بها ماء يقال له السلسل ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه ﷺ بلغه ان جمعاً من قضاعة تجمعوا للاغارة وارادوا ان يدنوا من أطراف المدينة ، فبعث ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : بعث إليّ النبي ﷺ يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال : يا عمرو ، أني أريد ان أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت : إني لم أسلم رغبة في المال . قال : نعم المال الصالح للمرء الصالح . فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه ، وكان يكمن النهار ويسير الليل . فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء بعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمره أن يلحق بعمرو ، وان يكونا جميعاً ولا يختلفا فأرضى ابو عبيدة ان يؤم الناس . فقال عمرو وإنما قدمت عليّ مدداً اي معيناً ومقوياً وأنا الامير أي ولا أمارة لك حتى تؤم الناس . فقال ابو عبيدة لا ولكن انا على ما أنا عليه ، وانت على ما انت عليه ، وكان ابو عبيدة رجلاً سهلاً هيناً عليه امر الدنيا فقال : يا عمرو ، ان رسول الله ﷺ قال لي : لا تختلفا وإنك ا ان عصيتني أطعتك فأطاع له ابو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدوّ بلى وعذرة ، فحمل عليهـم المسلمـون فهربوا في البلاد وتفرقوا بعد ان اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون ، فأقام هناك ثلاثـة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فينحرون ويأكلون ولـم يكن في ذلك غنائـم

تقسم .

وقال البلاذري : فلقي العدوّ من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم اي فرقهم ، وقتل منهم مقتله عظيمة ، وغنم وهذا يعضده قوله ﷺ ، فيغنمك الله ويسلمك كما مر . وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة : ان عمرو بن العاص رضي الله عنه أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا ناراً فأنكر ذلك عمر رضي الله عنه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : دعه فان رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب فسكت عنه .

وروى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه : انهم سألوه ان يوقدوا ناراً فمنعهم فكلموا أبا بكر رضي الله عنه فكلمه في ذلك فقال : لا يوقد أحد ناراً ، الا قذفته فيها ، قال : فلقوا العدوّ فهزموهم ، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله فقال : كرهت ان آذن لهم ان يوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره .

وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسي انه لم يبعثني على قوم فيهم ابو بكر وعمر الا لمنزلة لي عنده ، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة قلت : أني لست أعني النساء أنما أعني الرجال ، قال : ابوها قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعدّ رجالاً فسكت مخافة ان يجعلني في آخرهم ، وقلت في نفسي : لا أعود اسأله عن هذا . وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل ، اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية ، وفضل أبي بكر على الرجال وبنته على النساء ، ومنقبة لعمرو بن العاص رضي الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضي ان له فضلاً في الجملة وقد قال رافع الطائي : وهذه الغزوة هي التي يفتخر بها أهل الشام أي ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم .

سرية الخبط

وفي سرية أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري ، احد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه وعنهم وسماها البخاري غزوة سيف البحر ـ بكسر

السين ـ اي ساحل البحر ، واشتهرت بسرية الخبط ، بعث ﷺ ابا عبيدة ومعه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أرض جهينة ليلقي عيراً لقريش ولمحاربة حي من جهينة ، وكانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد ، وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله ﷺ جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل : كان معهم غيره فلما فني ما معهم أكلوا الخبط ـ وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ـ ورق السلم ، قال جابر رضي الله عنه : كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله . وفي رواية : كان الرجل منا يأكل تمرَة تمرة فقالوا لجابر . كيف كنتم تصنعون ؟ قال : نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ، ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما جزراً ونحرها لهم . .

وفي رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس ، من يشتري مني تمراً بالمدينة بجزر تجزر هنا ؟ فقال له رجل من جهينة : من انت فأنتسب فعرفه الجهني فقال : عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق ، وأشهد له نفراً من الصحابة وأمتنع عمر رضي الله عنه لكون قيس لامال له . فقال الأعرابي : ما كان سعد لقصر بابنه وأرى وجهاً حسناً وفعلاً شريفاً فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزوراً ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال : عزمت عليك ان لا تنحر أتريد ان تخفر ذمتك ولا مال لك ؟ فقال قيس : يا ابا عبيدة ، أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يقضي عني تمر القوم مجاهدين في سبيل الله ؟ فكاد ابو عبيدة يلين وجعل عمر يقول : اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران ، فقدم بها قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليها ، وبلغ سعداً مجاعة القوم فقال : ان يكر قيس كما اعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال : ما صنعت في مجاعة ؟ قال : نحرت قال : اصبت . ثم ماذا ؟ قال : نحرت قال : أصبت . ثم ماذا ؟ قال نحرت . قال : أصبت . ثم ماذا ؟ قال : نهيت قال : ومن نهاك ؟ قال : ابو عبيده أميري قال : ولم ؟ قال : زعم انه لا مال لي وانما المال لأبيك ؟ فقال : لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقاً وقدم الجهني مع قيس فأوفاه اوسقه وحمله كساه .

فبلغ النبي ﷺ فعل قيس فقال : ان الجود من سمعت أهل ذلك البيت ، وقيل : ان قيسا نحر قبل الثلاث ستاً مما كان معه من الظهر ، ثم ثلاثا من التي اشتراها من الجهني ، وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأي المكيدة في الحرب ، مع النجدة والبسالة والشجاعة من

وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما ، حين ولاه سيدنا علي رضي الله عنه مصر ، بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لرأي العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم مالا مزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت : اشكو إليك قلة الجرذان ببيتي ، والجرذان نوع من الفيران فقال : ما أحسن هذا السؤال وقال لها : لأكثرنّ جرذان بيتك ، فملأ بيتها طعاماً وقيل قالت له : مشت جرذان بيتي على العصا . فقال لها لأدعهن يثبن وثوب الأسود ، ثم ملأ لها بيتها طعاماً ، ولا مانع من تعدد الواقعة . وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك جميلاً وكانت الأنصار تقول : وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا كلها . ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط .

قال أهل السير : ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل : ان العنبر المشموم رجيعها . قال الازهري : العنبر سمكة بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعاً . وفي رواية لجابر رضي الله عنه : فألقي لنا البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية : ثمانية عشر يوماً حتى صحت أجسامنا وادهنا من ودكه ، فأخذ ابو عبيده ضلعاً من اضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته براكبه . وفي رواية : ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه اجسم رجل ، فخرج من تحتها وما مست رأسه . وفي رواية فدخل اي الراكب تحتها ما يطاطىء رأسه . وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه : فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه اي حدقتيه الدهن بالقلال ، ونقتطع منه الفدر أي القطع من اللحم كالثور . وفي رواية عن جابر أيضاً . فدخلت أنا وفلان فعد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا ، فسبحان القوي القادر فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال : هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا ؟ فكان معنا منه شيء فارسلنا الى رسول الله ﷺ فأكل ، ولم يذكر احد من أهل السير أنهم قاتلوا احد في هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو اكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى اعلم

سرية ابي قتادة رضي الله عنه الى نجد

واسم ابي قتادة الحرث وقيل : عمرو أو النعمان بن ربعي الأنصاري السلمي ، بعثه ﷺ الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان ، وبعث معه خمسة عشر رجلاً ، وأمره ان يشن الغارة على غطفان بأرض محارب ، فسار الليل وكمن النهار ، ثم

هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم ، وسبى ابو قتادة ومن معه سبياً كثيراً واستاق النعم ، فكانت الابل مائتي بعير ، والغنم ألفي شاة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما : بعثﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا إبلاً كثيرة وغنماً فكانت سهامنا اثني عشر بعيراً ، ونفلنا بعيراً ، فرجعنا بثلاثة عشر بعيراً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، وكان السبي أربع نسوة وأطفال وجوار ، وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبي وقعت في سهم ابي قتادة ، فجاء محمية ابن جزء الزبيدي فقال : يا رسول الله ، ان أبا قتادة قد أصاب في وجهة هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية ، فأرسلﷺ الى ابي قتادة فقال : هب لي الجارية فوهبها له ، فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدي والله سبحانه وتعالى أعلم .

سرية ابي قتادة أيضا رضي الله عنه الى اضم

وهو ـ بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم ـ واد على ثلاثة برد من المدينة ، وكانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان ، وذلك انهﷺ لما همّ ان يغزو أهل مكة بعد ان نقضوا العهد كما سيأتي بعث ابا قتادة رضي الله عنه في ثمانية أنفار سرية إلى بطن اضم ليظن ظان انهﷺ توجه الى تلك الناحية ، ولتذهب بذلك الأخبار فلا تستعد قريش لحرية ويدخل عليهم على حين غفلة ، وكان يقول : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، واستجيب له فعميت الأخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ، ولا علموا بذلك إلا ليلة دخولهﷺ كما سيأتي فخرج ابو قتادة ومن معه رضي الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الأشجعي ، فسلم عليهم بتحية الاسلام اي قال : السلام عليكم . وقيل عظمهم بالانقياد ، ومنه كلمة الشهادة التي هي امارة على اسلامه فقتله محلم ابن جثامة ، فأنزل الله ﴿ ولا تقولوا لمن ألقي اليكم السلام لست مؤمنا ﴾ الاية .

روى الامام احمد والطبراني عن عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ الى اضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مربنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له ، ومعه متيع له ووطب من لبن ، فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه وبينه ، واخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول اللهﷺ واخبرناه الخبر نزل فينا . ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولون لمن ألقى اليكم السلام

لست مؤمناً ﴾ . الى آخر الآية . وتقدم في سرية غالب الليثي أن الآية نزلت في قتل أسامة بن زيد مرداس بن نهيك ، فيحتمل تعدد القصة ، وتكرر نزول الآية ، ثم ان ابا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعاً وبلغهم انه ﷺ خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا ، فاخبروه الخبر فقال لمحلم : أقتلته بعد ما قال آمنت بالله ؟ وفي رواية بعد ما قال اني مسلم ، فجلس محلم بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له وقال :إنما قالها متعوّذا قال : فلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ قال : وهل قلبه لا مضعة من لحم ؟ قال ﷺ انما كان ينبىء عنه لسانه وفي رواية لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال : استغفر لي يا رسول الله ، قال : لا غفر الله لك اي زجراً وتهويلاً لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة ، فقام محمل وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالي حتى مات ، فجهزوه ودفنوه فلفظته الارض ، ثم عادوا ودفنوه فلفظته الأرض ، ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضغوا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظكم في حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء في بعض طرق هذه القصة : ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الأضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان ، وقام الأقرع بن حابس يدفع عن محمل بن جثامة لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عنده ﷺ وأرادوا الاقتصاص من محلم ، ثم قبلوا الدية ، ثم سأل محلم النبي ﷺ ان يستغفر له فقال : اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم .

غزوة الفتح الأعظم
وهوَ فتح مَكّة شرّفها الله تعَالى

وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس بسببه في دين الله افواجاً وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجـا خرج ﷺ بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية ، فانه كان قد وقع الشرط ان من احب ان يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده ، وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل في ساحات وأقنية من السقاية كانت في يد عبـد المطلـب ، فأخذهـا منـه نوفـل ، فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم احد وقالوا : لا ندخل بينك و وبين عمك ، ثم كتب الى اخواله بني النجار فجاء منهم سبعون وقالوا : ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ، ثم حالف نوفل بني أخيه عبد شمس ، فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفاً ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه وهو : باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ، وما لا ينسى ابداً ، اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء ، وما بل بحر صوفه ولا يزداد فيما بيننا وبينكم . الا تجدداً أبد الدهر سرمداً .

وفي رواية حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد ، وأوثق عقد لا ينقض، ولا ينكث ماأشرقت شمس على ثبير وحنّ بفلاة بعير ، وما أقام الأخشبان واعتمر بمكة انسان ، حلف

أبد لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شدا ، وظلام الليل مدا ، وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة ، لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً ، وكفى به حميلاً .

ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبيﷺ يوم الحديبية قالﷺ : ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف ، وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ، ولا حلف في الاسلام ، وهذا الذي نفاه في الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات ، والذي قوّاه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق ، فلا تنافي حينئذ ثم انه قد كان بين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وبين خزاعة حروب وقتلى في الجاهلية ، وتشاغلوا عن ذلك ظهر الاسلام ، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر ومعه جماعة من قبيلة بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة ، فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال ، فلما انتهو الى الحرم قالت بنو بكر : يا نوفل انا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة وهي قوله لا إله له يا بني بكرا صيبو اثاركم فلعمري انكم لتسرفون فلا تصيبون ثأركم فيه . وقيل : ان سبب القتال بين بني بكر وخزاعة ان شخصاً من بني بكر هجا رسول الله ﷺ وصار يتغنى به ، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه ، فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوه بالرجال والسلاح على خزاعة ، فأمد وهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم ، وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين او ثلاثة وعشرين ، وقاتل مع بني بكر جمع من قريش خفية منهم : صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ولم يشاوروا في ذلك أبا سفيان وقيل : شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا ، وأن هذا لا يبلغ رسول الله ﷺ ، ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة ، فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ندموا .

وفي رواية : ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم في عماية الصبح ، ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون ،

وأصبحت خزاعة مقتلوين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمر ولنوفل بن معاوية البكرى ، قد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا مما لا نطاوعك ، عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا وقالا أن بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش : ان محمداً غاز بنا فقال ابن أبي سرح : لا يغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوة يرسل اليكم ان دواقتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً او تبرؤوا من حلف بني بكر أو ننبذ اليكم على سواء . فقال سهيل بن عمرو تبرأ من حلفهم اسهل . وقال شيبة بن عثمان ندى لدى القتلى اهون وقال قرطة بن عمرو ، لاندى ولا نبرأ لكنا ننبذ اليه على سواء . وقال ابو سفيان : ليس هذا بشيء وما الرأي الاصوب . الاحجد هذا الأمر ، اي كون قريش دخلت في نقض عهد أو قطع مدة ، وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأي ولا رأي غيره ، وكان هذا النقض من قريش في شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيهﷺ على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضي الله عنها صبيحة وقعة خزاعة : لقد حدث يا عائشة في خزاعة امر فقالت : اترى قريشاً تجترىء على نقض العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف ؟ فقال : ينقضون العهد لامر يريده الله تعالى. قالت : يا رسول الله ، خير قال خير .

وروى الطبراني من حديث ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنهما قالت : بات عندي رسول اللهﷺ ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه بالليل : لبيك لبيك لبيك ثلاثاً نصرت نصرت نصرت ثلاثا ، فلما خرج قلت : يا رسول الله ، سمعتك تقول في متوضئك : لبيك لبيك لبيك ثلاثاً ، نصرت نصرت نصرت ثلاثا ، كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد ، فقال : هذا راجز بني كعب وهم بطن من خزعة يستصرخني ، ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر وهذا علم من اعلام النبوة باهر ، فاما انه اعلم بذلك بالوحي وعلم ما تصوّره الراجز في نفسِه ، أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيهﷺ كلامه .

قال اهل السير : ولما انقضى قتال بني بكر وخزاعة خرج عمر بن سالم الخزاعي احد بني كعب ، وهم بطن من خزاعة ومعه اربعون راكباً من خزاعة ، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه ، وقبل قدومهم بثلاث امر النبيﷺ عائشة رضي الله عنها أن تجهزه اي تهيىء له أهبة السفر وما يحتاج اليه في قطع المسافة ، اعتمادا على

ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد ، وأمرها ان لا تعلم أحداً ، فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه قبل ان يخبره النبي ﷺ ويستشيره في ذلك فقال : يا بنية ما هذا الجهاز ؟ فقالت : ما ادري ، فقال : والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر فأين يريد رسول الله ﷺ ؟ فقالت : لا علم لي ، وفي رواية لابن أبي شيبة ، انها اعلمته ، وجمع بينهما بانه دخل عليها مرتين الأولى قالت له لا علم لي ، ثم أخبرته ﷺ فأذن لها في إخبار أبيها لكونه عيبة سره ، فدخل عليها ثانياً فأخبرته فقال : والله ما انتقضت الهدنة بيننا ، وخرج رضي الله عنه فذكر ما قالت له للنبي ﷺ فذكر له ﷺ انهم اوّل من غدر . قالت ميمونة رضي الله عنها : فأفنا ثلاثاً اي بعد قوله لها : هذا راجز بني كعب ، ثم صلى بالناس صلى اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده ، وذلك ان عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبي ﷺ وهو جالس بالمسجد فقال منشئاً :

يا رب انـي ناشـد محمـداً حلف أبينـا وأبيه الا تلدا
ان قريشـا اخلفـوك الموعـدا ونقضـوا ميثاقـك المؤكدا
وزعمـوا ان لسـت تدعـو أحـدا وجعلـوا لى في كداء رصدا
فـانصر هداك الله نصراً أبـدا وادع عبـاد الله يأتـوا مددا
فيهـم رسـول الله قد تحـردا ان سيم خسفـا وجهـه تربدا
هـم بيتونـا بالوتـير هجـدا وقتلونـا ركعـاً وسجدا

وفي رواية :

هم قتلونـا بصـعيد هجـدا نتلـوا القـران ركَّعـاً وسجَّدا
وزعمـوا ان لسـت ادعـوا أحـداً وهـم أذل وأقـل عددا

فقال له رسول الله ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم . وفي رواية : فقام ﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول : لانصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسي . وفي رواية قال : والذي نفسي بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها ،

لقد رأيت رسول الله ﷺ غضب مما كان من شأن بني كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان وفي رواية : انه دمعت عيناه حين سمع شعر عمر وبن سالم وقال : خزاعة مني وانا منهم ، وسأل ﷺ عمرو بن سالم فيمن تهمنكم قال : في بني بكر قال : كلها قال : لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ، ثم قال ﷺ لعمرو بن سالم وأصحابه ، ارجعوا وتفرقوا في الأودية ، فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق ، وقصد بذلك ﷺ لصفاء مجيئهم للنبي ﷺ ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي ﷺ بعد ذهاب عمرو ابن سالم ومعه نفر من قومه ، فأخبروه ﷺ الخبر ورجعوا ، ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل : ان بديلاً لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران .

وفي رواية انه ﷺ قال لركب خزاعة : انا باعث الى اهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومخيرهم في خصال ثلاث ، فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤوا من حلف بني نفاثة او ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو : لاندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ، ثم ندمت قريش على ما ردوا به ، فبعثوا ابا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم في المدة وقيل : ان ابا سفيان توجه مبادراً اقبل ان يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله ، وقيل : ان الحرث بن هشام وعبد الله بن ابي ربيعة مشيا الى ابي سفيان فنالا لئن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم . إلا محمد في أصحابه ، فقال ابو سفيان : قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها ، قالوا : وما هي : قال رأت دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة ملياً ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال ابو سفيان : هذا أمر ألم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا علي والله ما شوورت فيه ، ولا هويته حتى بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو صادقي ، وما بد من ان اتي محمداً فأكلمه . فقالت قريش : أصبت . فخرج ومعه مولى له على راحلتين ، وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم : هل ذهبتم الى المدينة ؟ قالوا : لا وتركوه وذهبوا فجاء الى ميركهم بعد ان فارقوه ، فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة . وفي رواية ان أبا سفيان لقي بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان ان يكون بديل قد جاء رسول الله ﷺ ، فقال للقوم اخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها ؟ قالوا : لا علم لنا بها إنما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل .

وفي لفظ ، قال : من أين اقبلت يا بديل ؟ قال : سرت الى خزاعة ي في هذا الساحل . قال : او ما أتيت محمداً قال : لا فلما راح بديل الى مكة اي توجه اليها قال ابو

سفيان : لئن كان جاء الى المدينة لقد علف بها النوى ، فجاء الى منزلهم ففتت أبعار اباعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان : احلف بالله لقد جاء القوم محمداً وقبل قدوم ابي سفيان المدينة قال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم كانكم بأبي سفيان قد جاء يقول : جدد العهد وزد في المدة وهو راجع بسخطة ، فلما انتهى ابو سفيان الى المدينة دخل على تمام حبيبة ام المؤمنين زوج النبي ﷺ ورضي عنها ، فاراد ان يجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته عنه ، فقال : يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وانت رجل مشرك نجس ولم احب ان تجلس على فراش رسول الله ﷺ. قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت : بل هداني الله للاسلام ، فأنت يا ابت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول في الاسلام وانت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ، فقام من عندها فأتى رسول الله ﷺ يسأله ان يجدد العهد ويزيد في المدة ، فأبى عليه وقال ابن اسحق : انه كلم النبي ﷺ فلم يرد عليه شيئا . وفي رواية قال : يا محمد ، اني كنت غائبا في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة فقال ﷺ : فلذلك جئت . قال : نعم ، فقال : هل كان من حدث ؟ فقال : معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال ﷺ فنحن على ذلك فاعاد ابو سفيان القول فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فكلمه ان يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل وفي رواية : قال لأبي بكر : تكلم محمداً أو تجير بين الناس ؟ فقال : جواري في جوار رسول الله ﷺ فأتى عمر رضي الله عنه فقال : أنا أشفع لكم والله لو لم أجد ، الا الذر لجاهدتكم به .

وفي رواية : قال له عمر رضي الله عنه ما كان من حلفنا جديداً فأخلفه الله وما كان متيناً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال ابو سفيان : جوزيت من ذي رحم شراً . ثم دخل على علي رضي الله عنه وعنده فاطمة رضي الله عنها وحسن رضي الله عنه غلام يدبّ بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك امسّ القوم بي رحما ، واني جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً ، فاشفع لي : فقال علي رضي الله عنه ، ويحك يا ابا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة وقال : يا بنت محمد اقل لك ان تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر؟ فقالت : والله ما بلغ بني هذا ان يجير بين الناس وما كان احد يجير على رسول الله

ﷺ .

وفي رواية : انه جاء عثمان رضي الله عنه قبل علي رضي الله عنه فقال : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، ثم أتى سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال : يا ابا ثابت ، انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد في المدة . فقال سعد : جواري في جوار رسول الله ﷺ ما يجير أحد عليه ، فأتى اشراف قريش والأنصار فكلمهم وكلهم يقول : جواري في جوار رسول الله ﷺ ما يجير احد علي . فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال : هل لك ان تجيري بين الناس ؟ فقالت : انما انا امرأة وابت عليه فقال : مري ابنك فقالت : ما بلغ ان يجير فقال لعلي رضي الله عنه : يا ابا حسن ، اني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني قال : والله مااعلم شيئا يغني عنك ولكنك، سيد بني كنانة فقم فأجربين الناس ، ثم الحق بأرضك قال : او ترى ذلك مغنيا عني شيئاً ، قال : لا والله ما أظنه ، ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال : ايها الناس ، اتى قد اجرت بين الناس ولا والله ما اظن ان يخفرني احد ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، اني قد اجرت بين الناس ، فقال ﷺ : انت تقول ذلك يا ابا حنظلة ، ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة ، وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش اشد التهمة وقالوا ، قد صبا واتبع محمداً سراً وكتم إسلامه .

فلما دخل على هند امرأته ليلاً قالت : لقد غبت حتى اتهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل ، ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت : ما صنعت ؟ فأخبرها الخبر وقال: لم أجد الا ما قال لي عليّ فضربت برجلها في صدره وقالت : فبحت من رسول قوم فما جئت بخير ، فلما اصبح حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما وقال : لا أفارق عبادتكما حتى اموت ، وأراد بذلك ان تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبأ ، فلما صنع ذلك قالوا له : ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد او زياد : في مدة ؟ فانا لا نأمن ان يغزونافقال : والله لقد ابى علي : وفي رواية . فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابا بكر فلم اجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته ادنى العدو ، وفي رواية ، اعدى العدو وكلمت عليه اصحابه فما قدرت على شيء منهم ، إلا انهم يرمونني بكلمة واحدة ، وما رأيت قوماً يوماً أطوع لملك عليهم منهم له ، إلا ان علياً لما ضاقت بي الأمور قال : انت سيد بني كنانة فأجر بين الناس ، فناديت بالجوار ، قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا وإنما قال : انت تقول ذلك يا ابا

حنظلة ؟ قالوا : رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً ، ولعمر الله ما جوارك بجائز ، وان اخفارك عليهم لهين ، والله ما زاد عليّ على ان لعب بك تلعباً ، فقال : والله ما وجدت غير ذلك فقالوا ٠ ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن ، وتجهز رسول الله ﷺ وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها .

وروى ابن ابي شيبة عن ابي مالك الاشجعي قال : خرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجلس عند بابها ، وكان إذا جلس وحده لم يأته احد حتى يدعوه فقال : ادع لي ابا بكر فجلس بين يديه فناجاه طويلاً : ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال : ادع لي عمر فجاء فجلس فناجاه طويلاً ، فرفع عمر صوته فقال : يا رسول الله ، هم رأس الكفر الذين زعموا أنك ساحر ، وإنك كاهن ، وإنك كذاب ، وإنك مفتر ، ولم يدع شيئاً مما كانوا يقولون إلا ذكره ثم قال : وايم الله لا تذل العرب حتى تذل اهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال : لا احدثكم بمثل صاحبيكم هذين ؟ قالوا : نعم : يا رسول الله : فأقبل بوجهه الكريم على ابي بكر رضي الله عنه فقال : ان ابراهيم عليه السلام كان ألين في الله تعالى منْ الدهن بالليل ثم أقبل على عمر رضي الله عنه فقال : ان نوحاً كان أشد في الله تعالى من الحجر ، وان الامر امر عمر ، فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا ابا بكر فقالوا : انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله ﷺ قال قال لي : كيف تأمرني في غزو مكة ؟ قلت : يا رسول الله ، هم قومك حتى رأيت أنه سيطيعني ، ثم دعا عمر فقال : هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه ، وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة .

وجاء في بعض الروايات انه ﷺ تجهز وما اعلم احداً ، والمراد انه ما اعلم عامة الناس ، فلا ينافي انه اعلم كبار أصحابه رضي الله عنهم ، فتجهز الناس وقال حسان رضي الله عنه : يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزعة :

عناني ولم اشهد ببطحاء مكة	رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم	وقتلى كثير لم تجس ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي	سهيل بن عمرو وحرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن ام مجالد	إذا احتلبت صرفا وأعضل بابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحق : قوله بأيدي رجال يعني قريشاً وابن أم مجالد عكرمة ابن ابي جهل وكان ﷺ يقول : اللهم خذ على أسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ، ولا يسمعون بنا ، الا فلتة . وأمر جماعة ان تقيم بالانقاب ، وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول : لا تدعوا احداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه وفي رواية ثم امر بالطرق فحبست فعمي على اهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد رضي الله عنه كتاباً وأرسله الى مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرساً ، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن ابي طالب والزبير بن العوّام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، وهو موضع على بريد من المدينة ، فان بها طعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها ، قال : فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي الكتاب ، قالت : ما معي كتاب ، فالتمسناه فلم نر كتاباً فقلنا : ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب او لنلقين عنك الثياب . وفي رواية : او لنكشفنك او لنضرب عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها ، فأخرجته من عقاصها . وفي رواية : فلما رأت الجدّ اهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله ﷺ ، فاذا فيه ، من حاطب بن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية . اما بعد ، يا معشر قريش ، فان رسول الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له وعده ه فانظروا لانفسكم والسلام .

وفي رواية : ان لفظ الكتاب ان رسول الله ﷺ اذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد احببت ان تكون لي عندكم يد ، فدعا النبي ﷺ حاطباً فقال : أتعرف هذا الكتاب ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على هذا قال حاطب : يا رسول الله ، لا تعجل عليّ أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت . وفي لفظ : ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم :ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفاً لهم ، ولم أكن من أنفسها وفي رواية ، ولكني كنت أمرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين ممن له اهل أو مال بمكة لهم قرابات يحمون بها اهليهم وأموالهم ، فأحببت اذ فاتني النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب : والله ما ارتبت في الله

مند أسلمت ، ولكني كنت امرأً غريباً ولي في مكة بنون واخوة فكتبت كتاباً لا يضر الله ورسوله ، ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله ﷺ : اما انه قد صدقكم فيما اخبركم به فقال له عمر رضي الله عنه : قاتلك الله ترى رسول الله ﷺ يأخذ بالأنقاب وتكتب الى قريش . وفي رواية انه قال : انه يعلم يا رسول الله انك اخذت على الطريق وأمرت ان لا نرى أحداً يمر ممن تنكره الا رددناه ، يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً . فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي رواية ، فقد وجبت لكم الجنة ..

وفي اخرى ، لا يدخل النار احد شهد بدراً ، فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال : الله ورسوله اعلم . وانزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا الا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ فالذي نزل في ذلك الى هنا ، وقيل : الى قوله ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم ﴾ وانما قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به ، لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين ، فظن انه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي ﷺ من إخفاء مسيره عن قريش ، وحرصه على عدم وصول خبره اليهم ، وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقاً لكونه أظهر خلاف ما ابطن ، وحاطب كان معذوراً متأولاً بماذكره من عذره ، وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ﴾ الخ وقوله ﷺ : لعل الله اطلع علي اهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة ، وتأملوا لأن يغفر لهم ما سيحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم ، وما أحسن قول بعضهم .

وإذا الحبيب أتـى بذنـب واحد جاءت محاسنـه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسولهﷺ في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك ، فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى ، يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ، ولما أرادﷺ الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة ، بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار واشجع وسليم وغيرهم ، فأرسل اليهم يقول لهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . وبعث رسلاً في كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق ، فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل : اثني عشر ألفا من المهاجرين والأنصار ، وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم ، وقيل : ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ، ثم تلاحق به الفان .

قال الحلبي في السيرة : وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس ، وكانت الأنصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة الفا ومعها مائة فرس ، وكانت اسلم اربعمائة ومعها ثلاثون فرساً ، وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً ، وكان معه ﷺ من زوجاته ام سلمة وميمونة رضي الله عنهما ، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وقيل : ابارهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، وجمع بينهما بان أبارهم جعله للقضايا والأحكام وابن ام مكتوم للصلاة ، خرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليالٍ خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة ، وقيل : لليلتين خلتا من رمضان وقيل : لست عشرة وقيل : ثمان عشرة قال النووي : لا اعلم خلافا في ان ذلك في شهر رمضان ، اي وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ، ولما بلغﷺ الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان أفطر ، لأنه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له : إنما ينظرون فيما فعلت ، فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء ، وقيل ، من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس ، فشرب فأفطر فناوله رجلاً الى جنبه فشرب فلم يزل مفطراً رفقاً بالمسلمين حتى انسلخ الشهر ، لأنه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان في اهبة القتال وبعث السرايا ، ولم ينو الاقامة . ولذا كان يقصر الصلاة وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبيﷺ ، قد خرج بأهله وعياله مهاجراً ، فلقى رسول اللهﷺ بالجحفة وكان إسلامه قديماً ، وكان يكتمه بأمر النبيﷺ ، وكانﷺ امره بالاقامة بمكة ليكتب له اخبار قريش ، وكان العباس رضي الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين ، وما أظهر اسلامه لأهل مكة الا يوم الفتح ، وكان مقيماً بمكة على سقايته ، وكان ينفع المستضعفين

بمكة وبه يثقون ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ . وقيل : انه لقي النبي ﷺ بذي الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبي ﷺ الى مكة للفتح .

وروى الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : استأذن العباس النبي ﷺ في الهجرة فكتب اليه : يا عم أقم مكانك الذي انت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة ، ولما لقيه قال : هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة .

ممن لقيه ﷺ في الطريق ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه ﷺ واخوه من الرضاع من حليمة السعدية . وكان مع ابي سفيان ولده جعفر وعبد الله بن ابي امية المخزومي ابن عمته ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب ، وهو اخو ام سلمة زوج النبي ﷺ لأبيها ، لان امها عاتكة بنت عامر بن قيس ، وكان لقاء أبي سفيان ومن معه للنبي ﷺ بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالأبواء ، وهم مسلمون مهاجرون . واسم ابي سفيان كنيته . وقيل اسمه المغيرة ، وكان يألف النبي ﷺ ولا يفارقه قبل النبوة ، فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا ، وكان عبد الله بن ابي امية قبل اسلامه شديداً على النبي ﷺ وعلى المسلمين . وفي لفظ ، وكان كل منهما اي من أبي سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله ﷺ ، فأعرض عنهما ﷺ لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو ، فالتمسا الدخول عليه ﷺ فكلمته ام سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، فقال : لا حاجة لي بهما اما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال ، يعني قوله له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً الى السماء فتعرج فيه وانا انظر ثم تأتي بصك واربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك : فقالت له ام سلمة رضي الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال ابو سفيان : والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا يعني ولده جعفراً ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ ، رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما ، وانشده أبو سفيان معتذراً مما مضى فقال :

لعمرك اني يوم احمل راية   لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران اظلم ليله   فهذا اواني حين اهدى واهتدى
هداني هاد غير نفسي ونالني   مع الله من طردته كل مطرد

اصــدّوا نأى جانبــا عن محمد   وادعــى وان لم انتــسب من محمد

قال ابن اسحق : انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد ، ضربﷺ صدره وقال : انت طردتني كل مطرد ، وقال علي رضي الله عنه لأبي سفيان بن الحرث عند أذنه ﷺ له في الدخول عليه : أئت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوه يوسف ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ﴾ فانه لا يرضي ان يكون احد احسن منه قولاً . ففعل ذلك ابو سفيان فقال لهﷺ ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحـم الراحمـين ﴾ . ويقال : انه ما رفع رأسه الى رسول اللهﷺ منذ أسلم حياً منه ، وكانﷺ يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبيﷺ يوم حنين ولم يفارقه ، وكانﷺ يقول فيه : أرجو ان يكون خلفاً من حمزة . وقال لهﷺ : كل الصيد في جوف الفرا . وقيل : قال ذلك لأبي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد ، وتوفي ابو سفيان بن الحرث رضي الله عنه سنة خمس عشرة او عشرين . بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منبرة . يروى انه قال عند موته ولا تبكن عليٍّ فاني لم انطق بخطيئة منذ اسلمت .

واما عبد الله بن ابي امية المخزومي فكذلك كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي ﷺ لا يستطيع ان يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد في غزوة الطائف رضي الله عنه ، وعقد ﷺ الألوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبني سليم لواء وراية ، ولبنـي غفـار راية ، ولأسلم لواءين ، ولبني كعب راية ، ولمزينة ثلاثة الوية ولجهينة اربعة ألوية ، وكان جماعة من بني بكر اسلموا فكانوا معهﷺ فأعطاهم لواء ولأشجع لواءين ، ورأى ابو بكر الصديق منا ما قبل عقد الألوية وقيل : عند نزولهم بمر الظهران فقال : يا رسول الله ، رأيت في المنام أنا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر اي تصوت ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هي تشخب لبناً . فقالﷺ ذهب كلبهم وأقبل درهـم وهـم يسـاوون بأرحامهم وإنكم لاقون بعضهم ، فان لقيتم ابا سفيان فلا تقتلوه . وقوله : ذهب كلبهم اي شدتهم . وقوله ؟ وآقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام . ثم لما نزلﷺ مر الظهران امر اصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش او تسمع بها فترعب من كثرتها ، واستجاب الله لرسولهﷺ فاخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره ، وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون ، وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبيﷺ وهو مهاجر ، فبعث اهله الى المدينة ورجع مع النبيﷺ قال العباس : حين نزل النبيﷺ

مر الظهران رقت نفسي لأهل مكة وقلت : واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش الى آخر الدهر ، فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد بعض الحطابة ، او صاحب لبن او ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة وكان من قضاء الله ان خرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء الخزاعي يتجسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به وقيل : انه بلغهم مسيره ﷺ ولم يعلموا . الى اي جهة ، وقيل : ان قريشاً بعثوا أبا سفيان يتجسس الأخبار ، وقالوا : ان لقيت محمداً فخذلنا منه أماناً فأقبل ابو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران ، فقال ابو سفيان ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً هذه كنيران عرفة فقال بديل : هذه نيران بني عمرو يعني خزاعة فقال ابو سفيان . هم أذلُّ وأقلّ من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل ابو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله ﷺ . وفي رواية اخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الأنصار وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤوا بهم فلما أخذوا بخطم ابعرتهم قال ابو سفيان : من انتم ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد قوم لم يعلموا بهم .

وروى الطبراني عن ابي ليلى قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران فقال : ان أبا سفيان بالأراك فخذوه فاخذناه . وفي رواية . وكان ﷺ بعث بين يديه خيلاً تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي ، ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤوا بهم الى عمر رضي الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة ، فقالوا : جئنات بنفر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر رضي الله عنه وهو يضحك اليهم : والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم . قالوا : والله أتيناك بابي سفيان فقال : احبسوه وفي رواية ان العباس رضي الله عنه كان صديقاً لأبي سفيان ، فلما ركب البغلة ليتوجه الى الأراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أماناً ، اذ سمع صوت أبي سفيان فأخذه وجاء به فأمسكه الحرس فاجاره من الحرس ان يقتلوه . وقال عمر رضي الله عنه لأبي سفيان حين مر به العباس علي : ابو سفيان عدوّ الله ، الحمد لله الذي امكن منك من غير عقد ولا عهد . قال العباس : وقلت له : يا ابا حنظلة فعرف صوبي فقال : ابو الفضل ؟ قلت : نعم

قال : مالك فداك ابي وأمي ؟ قلت والله هذا رسول الله ﷺ في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفي رواية قد جاءكم في عشرة آلاف فقال : واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبي وامي ؟ قلت ، والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، فترك صاحبيه وركب خلف العباس رضي الله عنه ، فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا ، من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ والعباس عليها قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته .

قال العباس : ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر في اثري فقال : يا رسول الله ، هذا ابو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه ، من غير عقد ولا عهد فدعني اضرب عنقه . قال العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله ، إني قد أجرته ، ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله ﷺ : إنكم لاقون بعضهم فان لقيتم ابا سفيان فلا تقتلوه . قال العباس رضي الله عنه : ثم جلست الى رسول الله ﷺ فقلت : لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما اكثر عمر في شأن ابي سفيان قلت : مهلاً يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا . ولكنك قد عرفت انه من رجال بني عبد مناف فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان أحب اليّ من اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا اني عرفت ان اسلامك كان احب الى رسول الله ﷺ من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله ﷺ : اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا اصبحت فأنني به كذا في رواية ابن اسحق وذكر موسى ابن عقبة وغيره ان العباس قال : قلت يا رسول الله ، ابو سفيان وحكيم وبديل قد اجرتهم وهم يدخلون عليك . قال : أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم ، فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا ان لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، فشهد بديل وحكيم . وقال ابو سفيان : ما اعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيئاً بعد فأرجئها اي اخرها وفي رواية ، قال له ﷺ : يا أبا سفيان ، أسلم تسلم قال : كيف أصنع باللات والعزى ؟ فقال له عمر ، أخرأ عليهما ، وكان عمر رضي الله عنه خارج القبة ثم قال عمر : اما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها . فقال ابو سفيان : ويحك يا عمر انك رجل فاحش ، دعني مع ابني عمي فإياه أكلم ، فقال ﷺ : إذهب به يا عباس ، فذهب به فلما أصبح أتى به اول النهار على رسول الله ﷺ .

وروى ان ابا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال : ما للناس أمروا

في بشيء ؟ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره العباس فتوضأ وانطلق به ، فلما كبرصلى الله عليه وسلم كبر الناس ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، ثم سجد فسجدوا فقال : ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون ياطوع منهم له يا أبا الفضل ، اصبح ابن اخيك والله عظيم الملك فقال العباس : انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أوداك فلما رآهﷺ بعد فراغه من الصلاة قال : ويحك يا أبا سفيان ؟ ألم يأن لك ان تعلم ان لا إله إلا الله ؟ فلما رأى ابو سفيان مخاطبة النبيﷺ له بهذا الخطاب اللين العذب ، وانهﷺ أغضي وضرب صفحاً عما جرى منه في عداوته ومحاربته ، قال : بأبي انت وأمي ، ما أحلمك واكرمك واوصلك ، لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لا غنى عني شيئاً لقد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك ، فوالله ما لقيتك من مرة إلا نصرت عليّ فلو كان إلهي محقاً وإلهك مبطلاً لكنت غلبتك . ثم قالﷺ : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه ففي النفس منها شيء ، فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لا سيما مع شدة حنق المسلمين عليه ، فقال له : ويحك أسلم وأشهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فاسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه .

وروى الحافظ الذهلي عن سعيد بن المسيب قال : لما دخلﷺ مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى اصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ ثم أصبح فقال له النبيﷺ : قلت لهند أترين هذا من الله ؟ فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذه إلا الله وهند .

وروى ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : خرجﷺ وابو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه : ما أدري بم يغلبنا محمد ؟ فأتاهﷺ فضرب صدره وقال : بالله لغلبك فقال : أشهد أنك رسول الله . وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : رأى ابو سفيان رسول اللهﷺ يمشي والناس يطئون عقبة فقال في نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعاً . فجاء عليه السلام حتى ضرب في صدره فقال : إذن يخزيك الله . فقال : أتوب الى الله واستغفر الله ما ايقنت انك نبي إلا الساعة ، إني كنت لأحدث بذلك نفسي ، والحاصل ان أبا سفيان كان في أول

الأمر مستكرهاً فلم يزل ﷺ يترفق به ويتألفه حتى تمكن الإسلام من قلبه . ولقد حضر مع النبي ﷺ غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها في يده الى النبي ﷺ : فقال له : إن شئت ارجعها الله اليك خيراً مما كانت ، وان شئت خيراً منها في الجنة . فرمى بها وقال : خيراً منها في الجنة ، وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان يحثّ الناس ويحرضهم على القتال ويقول : هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله . قال انس بن مالك رضي الله عنه : لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته . وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين ، وقيل : سنة إحدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة .

قال السيوطي في تحفة الأدب ، روى القزويني في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لطم ابو جهل فاطمة رضي الله عنها في أول بعثة النبي ﷺ فشكت الى رسول الله ﷺ فقال لها : ائت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل فقال لها : الطميه كما لطمك ، ففعلت . فجاءت الى النبي ﷺ فأخبرته فرفع يديه وقال : اللهم لا تنسها لأبي سفيان . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما شككت أن إسلامه كان لدعوة النبي ﷺ ، وقد أوصى ﷺ بأصحابه وأنصاره وأصهاره ، وهو من أصهاره لأن ابنته ام حبيبة رضي الله عنها كانت زوج النبي ﷺ : وقال ﷺ : أني سألت الله أن لا يدخل النار أحداً ممن صاهرني او صاهرته ، فإياك أن تصغي لما ينقله بعض المؤرخين ، ويتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفي ابنه او في احد من أصحاب النبي ﷺ ، فتكون من الهالكين ، وما جرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد ، وكلهم مأجورون ، ان شاء الله تعالى .

فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي ﷺ ، وأن لا يجعل لأحد منهم في عنقنا ظلامة . قال موسى بن عقبة ، قال أبو سفيان وحكيم بن حزام : يا رسول الله ، جئت بأوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف إلى أهلك وعشيرتك ؟ فقال ﷺ : أنتم أظلم ، وأفجر فقد غدرتم بعد الحديبية وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالأثم والعدوان في حرم الله وأمنه ، فقالا : صدقت يا رسول الله . وقال بديل : والله يا رسول الله ، لقد غدروا ولو أن قريشاً خلوا بيننا وبين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا . ثم قالا : لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحمتفا وأشد عداوة لك . فقال ﷺ : اني لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهزيمة

هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم ، فاني أرغب الى الله تعالى في ذلك . ثم قال أبو سفيان : يا رسول الله ، ادع الناس بالأمان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ، من كف يده وأغلق داره فهو آمن ، ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت إسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث أنه كان متبوعاً فأصبح تابعاً ليس له من الأمر شيء فقال : يا رسول الله ، أن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم ، ثم أعانه ابو بكر رضي الله عنه .

فقد روى ابن أبي شيبة أن أبا بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيئاً . فقال ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قال : وما تسع دار أراد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن ، وهي من أسفل مكة ، ودار أبي سفيان بأعلاها ، ومن دخل المسجد هو آمن . قال : وما يسع المسجد ؟ قال : ومن اغلق بابه فهو آمن . قال أبو سفيان : هذه واسعة وأمر ﷺ مناديه أن ينادي بذلك كله إلا من استثناهم النبي ﷺ ، وأمر بقتلهم ، كما سيأتي ثم قال له العباس : النجاء الى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي - .

وفي رواية : انه ﷺ بعث أبا سفيان وحكيم بن خزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى إذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به أسلموا تسلموا ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابه آمن ، فقامت فيه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت اي الزق الضخم الدسم الأحمس ، قبحت من طليعة قوم . وفي رواية : انها أخذت بلحيته ونادت : يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق ، هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟ فقال لها : ويحك ، اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمين او لأضربن عنقك . وقال لهم : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد .

وروى أنه ﷺ قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه : ان بمكة أربعة نفر أربابهم عن الشرك وارغب بهم في الإسلام : عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو ، وهذا يدل على أن جبيراً أسلم يوم الفتح كمن ذكر معه ، وقيل : ان إسلامه كان قبل ذلك ، وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ لخديجة

زوج النبيﷺ ورضي عنها ، فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الإسلام ستين ، وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة ، وكان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، أعتق في الجاهلية مائة رقبة ، وفي الإسلام مثل ذلك ، فانه حج في الإسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها : عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، واهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة ، وأهدى الف شاة رضي الله عنه ، ولما أرادﷺ السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه : لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر . فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاءَ أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي قال : يا رسول الله لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الأراك .

وفي رواية : ومعه حكيم بن خزام فقال ابو سفيان : غدراً ؟ قال : لا ، ولكن لي اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين .

وفي رواية : قال له : إن أهل النبوّة لا يغدرون وأمرﷺ كل قبيلة ان تكون عند راية صاحبها ، وتظهر ما معها من القوة والعدة ، فأصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ، ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها ، فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة ، ـ والكتيبة بالتاء المثناة ـ القطعة من الجيش ، وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم .

وأوّل من قدم خالد ابن الوليد رضي الله عنه في بني سليم وهم ألف وقيل : تسعمائة ، معهم لو أن يحملها العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة ، فحين مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً فقال ابو سفيان للعباس : من هؤلاء ؟ فقال : خالد بن الوليد ، فقال : خالد الغلام ؟ قال : نعم . قال : ومن معه ؟ قال : بنو سليم . قال : مالي ولبني سليم ؟ ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضي الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وافتاء العرب فكبروا ثلاثاً فقال ابو سفيان للعباس : من هؤلاء ؟ قال : الزبير بن العوام . قال : ابن اختك ؟ قال : نعم . ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم ابو ذر رضي الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : غفار . قال مالي ولغفار ، ثم مرت اسلم في اربعمائة فيها لواءان يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الأعجم ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم . قال : مالي ولأسلم . ثم مرت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان : فلما

حاذوه كبروا ثلاثاً فقال : من هؤلاء ؟ قال بنو كعب إخوة أسلم . قال : هؤلاء حلفاء لمحمد ؟ قال : نعم . ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحرث ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال : من هؤلاء ؟ قال : مزينة . قال مالي ولمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها . ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن بكيث وعبد الله بن بدر ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال : جهينة . قال مالي ولجهينة والله ما كان بيني وبينهم حرب قط . ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد ابن بكر في مائتين يحمل لواءهم ابو واقد الليثي ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . قال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم . ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواءان يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعي فكبروا ثلاثاً . قال: من هؤلاء ؟ قال : أشجع قال : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد . فقال له العباس : أدخل الله الإسلام في قلوبهم فهذا فضل الله . ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك ، وقيل : ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم .

ثم قال ابو سفيان : أبعد ما مضى محمد ، فقال له العباس : لو أتت الكتيبة التي محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة . قال : ومن له بهؤلاء طاقة ، وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة : ما مر محمد : فيقول العباس : لا ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها إذ في كل بطن منها لواء وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله ﷺ . فقال ابو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه ، معه راية الأنصار ، وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضي الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبي ﷺ والأنصار ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رويدا يلحق أولكم آخركم .

وفي رواية : ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع وفيهم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون والأنصار ، وفيها الرايات والألوية مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم في الحديد ، لا يرى منهم الا الحديد ولعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول : رويداً يلحق أولكم آخركم .

وفي رواية : قال ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ في الأنصار : فقال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً . فقال : يا أبا سفيان إنها النبوّة ، فقال : نعم ، إذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اي يوم الحرب الذي لا يوجد منه مخلص ، اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من اهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة . فقال ابو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذمار أي حبذا يوم الهلاك تمنى ابو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمي قومه ويدفع عنهم ، وقيل : معناه هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه . قال : ذلك غلبة وعجزاً وقيل : المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي لقربك من النبي ﷺ .

وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل : سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقالا : يا رسول الله ، ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش . فقال لعلي رضي الله عنه : أدركه فخذ الراية منه ، ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد ابن عبادة ، ورأى ﷺ أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه ، وقيل : إنما امر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي ﷺ أبا سفيان فانه قال للنبي ﷺ : لما حاذاه وهو مار في جنود الله ، أمرت بقتل قومك قال : لا فذكر له ابو سفيان ما قال سعد بن عبادة ، ثم ناشده الله والرحم أي قال له : أنشدك الله في قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشاً أي بالإسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين .

وفي رواية : ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، أشار بهذا الى انه ﷺ هو الذي يكسوها ذلك العام ، وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان . ثم أرسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضي الله عنه . وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال : لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله ﷺ فقالت :

يا نبي الهدى اليك لجاحيّ قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إلّه السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء

إن سعـداً يريد قاصمة الظهر بأهـل الحجـون والبطحاء
خزرجـي لو يستـطيع من الغيظ رمانـا بالنسر والعواء
وغـر الصـدر لا يهـم بشيء غـير سفـك الدمـا وسبـي النساء
قد تلظـى على البطـاح وجاءت عنـه هنـد بالسـوأة السواء
إذ ينـادي بذل حي قريش وابـن حرب بذا من الشهداء
فلئـن أقحـم اللـواء ونادى يا حمـاة الأدبـار أهـل الثواء
ثم ثابـت اليه من بهـم الخزرج والأوس أنجـم الهيجاء
لتكونـن بالبطـاح قريش فقعـة القـاع في أكف الأماء
فانهينـه فانـه أسـد الاسد لدى الغـاب والـغ في الدماء
انـه مطـرق يريد لنـا الامر سكوتـا كالحيـة الصماء

فلما سمع ﷺ هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فامر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس . وجاء انه لما جاءه الرسول من النبي ﷺ بتسليمها لابنه ، أبى أن يسلمها إلا بإمارة من النبي ﷺ فأرسل اليه بعمامته فسلمها لأبنه . وجاء في بعض الروايات : انه ﷺ سلمها لعلي . وفي بعضها أنه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر ، والذي يظهر في الجمع بين الروايات انه ﷺ أرسل علياً رضي الله عنه لينزعها ويدخل بها ، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ، ثم أن سعداً خشي ان يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بأبي سفيان قال له العباس : النجاء الى قومك ، فجاء اليهم يصيح بالأمان فامسكته زوجته وقالت : اقتلوه الى آخر ما تقدم ، وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة بن الزبير : اخبرني نافع بن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : سمعت العباس يقول للزبير رضي الله عنهما في حجة اجتمعوا فيها بمكة في خلافة عمر رضي الله عنه : يا أبا عبد الله ، ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم .

قال الحلبي في السيرة ، وفي ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ، ودخل ﷺ من الثنية العليا ، وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى ، روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : انه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على

راحلته القصواء مردفاً أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه ، وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث اردف في هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضي الله عنهما ، والمتكبر يعد اردافاً ابنه إذا ركب في السوق عاراً عليه ، ما ذاك إلا تكبر برأ الله منه نبيه ﷺ .

وفي رواية ودخل ﷺ مكة يوم الجمعة معتجراً بشقة برد حبرة حمراء وفي رواية عمامة سوداء خرقانية واضعاً على رأسه الشريف على رحله تواضعاً لله تعالى حين رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول : اللهم إن العيش عيش الآخرة وفي رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما دخل ﷺ عام الفتح أي لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخليل بالخمر ، فتبسم والتفت إلى ابي بكر رضي الله عنه وقال : يا أبا بكر ، كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عدمت بنيتي إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء

فقال ﷺ : أدخلوها من حيث قال حسان . وروى الطبراني عن العباس رضي الله عنه قال : لما بعث ﷺ قلت لأبي سفيان بن حرب : أسلم بنا . قال : لا والله ، حتى أرى الخيل تطلع من كداء . قلت : ما هذا ؟ قال : شيء طلع بقلبي لأن الله لا يطلع هناك خيلاً أبداً . قال العباس رضي الله عنه : فلما طلع ﷺ من هناك ذكرت أبا سفيان به ، فذكره وتقدم هذا الحديث بأطول من هذا ، وإنهما توجها الى اليمن في تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود ، وسألاه عن النبي ﷺ فسألهما عن صفاته فوصفاه له . فقال : هو هو ، ذبحت يهود وقام وترك رداءه . فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه . فقال له العباس : ألا تسلم بنا ؟ فقال : لا والله ، حتى أرى الخيل تطلع من كداء إلى آخر الحديث .

قال الحافظ ابن حجر : وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقاً واضحاً موافقاً للأحاديث الصحيحة . فقال : وبعث رسول الله ﷺ الزبير ابن العوّام على المهاجرين وخيلهم ، وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد ـ وأمره أن يركز رايته

بالحجون ، وأن يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل منها : قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أي أقربها الى الثنية التي دخل منها ، وهو أوّل بيوت مكة من الجهة التي دخل منها ، وكان لواؤهﷺ يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها ، وجعل أبا عبيدة على الرجالة أي المشاة ، وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه ، واستمر بلا راية في مقدمة كتيبة رسول اللهﷺ ، وأمرهمﷺ أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، فاندفع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى دخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحرث بن عبد مناف ، وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش ، فقاتلوا خلد منعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا : لا تدخلها عنوة . فصاح خالد في أصحابه ، فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بني بكر نحو اربعة وعشرين رجلاً ، ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة ، وكانت سوقاً بمكة ثم دخلوا الدور ، وارتفعت طائفة منهم على الجبال هرباً وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان : يا معشر قريش ، علام تقتلون أنفسكم ؟ من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ويطرحون السلاح في الطرق فيأخذه المسلمون .

وروى ابن إسحق : ان أصحاب خالد لقوا ناساً من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمر ، وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئاً من القتال ، فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهني ، وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا وفي ذلك يقول جحاش بن قيس يخاطب أمرأته حين لامته على الفرار ، وقد كان سابقاً يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض أسرى المسلمين يكون خادماً لها ، وكانت أسلمت سراً . وفي رواية : انها رأته وهو يبري نبلاً له فقالت له : لم تبري هذا النبل ؟ قال : بلغني أن محمداً يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لأحد منكم خادماً من بعض من نستأسره ، فقالت : والله لكأني بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه ، لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول اللهﷺ يوم الفتح أقبل اليها . وقال : ويحك هل من مخبأ فقالت له : وأين الخادم : فقال لها : دعيني عنك ، وأنشد يقول :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلقنا وهمهمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . وقتل من أصحاب خالد أيضاً رجلان : حبيش بن الأشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبيﷺ مهاجراً وكرز بن جابر الفهري ، وهذا أسلم بعد غزوة بدر ، وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرح النبيﷺ في غزوة بدر الأولى ، ثم لما أسلم استعمله النبيﷺ وبعثه في طلب العرنيين ـ كما تقدم ـ ولما وقع القتال بأسفل مكة نظرﷺ الى بارقة السيوف فقال : ما هذا ؟ وقد نهيت عن القتال . فقالوا : نظن ان خالدا قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بدٌ أن يقاتلهم .

وجاء في رواية إنه قيل له : يا رسول الله ، هذ خالد بن الوليد يقتل فقال : قم يا فلان فقل له فليرفع يديه من القتل . فأتاه الرجل فقال له : إن نبي الله يقول لك : اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين . فأتى رسول اللهﷺ فذكر له ذلك فأرسل اليه ألا آمرك أن تنذر خالداً ؟ قال : أردت أمراً فأراد الله أمراً ، فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذي كان . فسكتﷺ وما رد عليه . وقوله : قتل سبعين لا ينافي رواية أربعة وعشرين ، لأن زيادة الثقة مقبولة والأقل داخل في الأكثر . وقال موسى بن عقبة : قال رسول اللهﷺ بعد ان اطمأن لخالد رضي الله عنه : قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدأونا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت . فقالﷺ قضاء الله خير .

وجاء في رواية : إن قريشاً وبشت أوباشاً لها أي جمعت جموعاً من قبائل شتى ، فنادىﷺ أبا هريرة رضي اللهعنه وقال له : اهتف لي بالأنصار فهتف بهم فجاؤوا واطافوا برسول اللهﷺ فقال لهم : ترون الى اوباش قريش وأتباعهم ، ثم قال : بيديه إحداهما على الأخرى ، أحصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحداً منهمإلا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه . فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم . فعند ذلك قالﷺ : من أغلق بابه فهو آمن اي أمر أن ينادي بذلك ويعلن به ، ووجهﷺ اللوم على خالد بن

الوليد فقال . يا رسول الله ، هم بدأونا بالقتال وقد كففت ما استطعت ، ودعوتهم الى الإسلام فأبوا حتى إذا لم أجد بدّاً قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا في كل وجه . فقالﷺ : قضاء الله خير .

وجاء في رواية : انهﷺ قال : كفوا القتال إلا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر ، وهي الساعة التي أحلت لرسول اللهﷺ ، وكان دخوله ﷺ لعشر بقين من رمضان ، ومعهﷺ زوجتاه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما . وتقدم انهﷺ استثنى أناساً من الدخول في الأمان ، وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبي شرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبيﷺ والمسلمين وعكرمة ابن أبي جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الأسود وكعب بن زهير والحرث بن هشام ، وهو أخو أبي جهل لأبويه ، وزهير بن أبي أمية وسارة هي مولاة لبني المطلب ، وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية ، ووحشي قاتل حمزة ، وأكثر هؤلاء أسلموا ـ كما سيأتي ـ بيانه . أما عبد الله بن أبي سرح بن الحرث العامري فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة ، وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبيﷺ فأهدر دمهﷺ يوم الفتح . فلما علم بإهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخا له من الرضاع فقال : يا أخي ستأمن لي رسول اللهﷺ قبل أن يضرب عنقي ، فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ، أتى به إليهﷺ وصار يقول عثمان : يا رسول الله ، أمنته فبايعه ، والنبيﷺ يعرض عنه مراراً ثم قال : نعم : فبسط يده فبايعه . فلما خرج عثمان وعبد الله قالﷺ لمن حوله : أعرضت عنه مراراً ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه ، وكان عباد بن بشر رضي الله عنه نذر إن رأى عبد الله بن أبي سرح قتله ، وكان قائماً على رأس النبيﷺ وهو متقلد سيفه ينتظر النبيﷺ يشير اليه ان يقتله . فقال له النبيﷺ : انتظرتك ان تفي بنذرك . فقال : يا رسول الله ، خفتك أفلا أومضت إلي ؟ فقال : انه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين وهم الايماء بالطرف .

قال الزرقاني : ثم أدركته العناية الأزلية ، وأتته السعادة الأبدية ، فأسلم وحسن إسلامه وعرف فضله وجهاده ، وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر وكان له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين ، وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، وغزا الأساود من النوبة سنة إحدى وثلاثين ، وهادن

باقي النوبة الهدنة الباقية بعده ، وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين ، وولاه عمر رضي الله عنه صعيد مصر . ثم ضم اليه عثمان رضي الله عنه مصر كلها وكان محموداً في ولايته . واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين .

وروى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال : لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح : اللهم اجعل آخر عملي الصبح ، فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضي الله عنه . وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لأنه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم ، وكان اسمه عبد العزى فسماه النبيﷺ عبد الله ، وبثعه لأخذ الصدقة وأرسل معه رجلاً من الأنصار يخدمه .

وفي رواية : كان معه مولى يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلاً وأمر أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام . ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئاً وهو نائم فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً وكا شاعراً فجعل يهجو النبيﷺ في شعره ، وكان له قينتان تغثيانه بهجاء رسول الله ﷺ الذي يصنعه . وقد جاء أنه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم : لا يدخلها محمد عنوة . فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة ، فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها ، فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله ﷺ بالحجون ، فأخبره فأمر بقتله وقيل : لما طاف رسول الله ﷺ بالكعبة قيل : هذا ابن خطل متعلقاً بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصياً ولا تمنع من إقامة حدّ واجب ، فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الأسلمي وقيل : الزبير ، وقيل : سعد بن ذؤيب ، وقيل : سعد بن زيد . والظاهر انهم اشتركوا في قتله جميعاً جمعاً بين الأقوال . وأمرﷺ بقتل قينتيه فقتلت إحداهما واستؤمن رسول الله ﷺ للاخرى فأمنها فأسلمت . وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمرﷺ بقتله لأنه كان من أشدّ الناس أذية للنبيﷺ ، وكان أشد الناس على المسلمين . ولما بلغه ان النبيﷺ اهدر دمه هرب ليلقي نفسه في البحر او يموت تائهاً في البلاد ، وكانت امرأته أم حكيم رضي الله عنها بنت عمه الحرث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله . فاستأمنت له رسول الله ﷺ .

وروى ابو داود والنسائي : أن عكرمة ركب البحر أي حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة : أخلصوا ان آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينج من البحر إلا الإخلاص لا ينجي في

البر غيره . اللهم لك عهد ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً غفوراً كريماً ، فجاء وأسلم أي بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به . وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه : ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل دعو الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ﴾ .

وروى البيهقي : ان امرأته قالت : يا رسول الله ، قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف ان تقتله فأمنه فقال : هو آمن فخرجت في طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتي يقول له : أخلص أخلص . قال ما أقول ، قال قل : لا إلّه إلا الله . قال : ما هربت إلا من هذا ، وإن هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتي ما الدين إلا ما جاء به محمد ﷺ قال : وغير الله قلبي . وجاءت أم حكيم تقول : يا ابن عم جئتك من عند أبرّ الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ ، فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول : انت كافر وانا مسلمة ، فقال : ان أمراً منعك مني لأمر كبير . فلما وافى مكة أو المدينة قال ﷺ : يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذي الحي . قال الزهري وابن عقبة : فلما رآه ﷺ وثب قائماً فرحاً به ورمى عليه رداءه ، وقال : مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً ، فوقف بين يديه ﷺ ومعه زوجته ام حكيم بنت الحرث بن هشام رضي الله عنها وهي منتقبة . فقال : إن هذه أخبرتني انك امنتني . فقال ﷺ : صدقت . فأنت آمن . فقال : إلام تدعـو ؟ قال : أدعو الى أن تشهد أن لا ألّه إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكذا وكذا ، حتى عد خصال الإسلام . قال : ما دعوت إلا إلى خير وأمر حسن جميل ، قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا وانت اصدقنا حديثاً وأبرنا ثم قال : فأني اشهد ان لا إلّه إلا الله . وان محمداً رسول الله . قال : ثم ماذا ؟ قال : تقول أشهد الله وأشهد من حضرني أني مسلم مجاهد مهاجر . فقال عكرمة ذلك . رواه البيهقي .

وفي رواية ، قال عكرمة : أشهد ان لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله ، وطاطا رأسه من الحياء فقال له : يا عكرمة ما تسألني شيئاً اقدر عليه ، إلا أعطيتكه . قال : استغفر لي كل عداوة عاديتكها . فقال: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها او منطق تكلم به وردّ ﷺ زوجته له اي أبقاها على نكاحها الأوّل حيث اجتمعا في الاحلام قبل تمام عدّتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضي الله عنه .

وروى ابن عبد البرانة ﷺ رأى في منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فاعجبه

فقال : لمن هذا ؟ فقيل لأبي جهل ، فشق عليه وقال : لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ، فلما جاء عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به وأوّل العذق بعكرمة، واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وأنها قد تكون لغير من ترى له ، ولم يزل عكرمة رضي الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد في الشام في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقيل : أنما استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وتفصيل ذلك ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما فرغ من قتال اهل الردّة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم ابا عبيدة رضي الله عنه ثم عزله ، وولى خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسهيل ابن عمرو رضي الله عنهم ، ووقفوا انفسهم للجهاد وأنهم لا يرجعون فحضروا فتوح الشام بعد حروب كثيرة . ثم توفى ابو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى ابا عبيدة رضي الله عنه على الجنود ، وأبقى خالد بن الوليد رضي الله عنه أميراً من الأمراء تحت أمر أبي عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التي حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ، ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة ، فاقتتلوا مع المسلمين قتالاً شديداً . ولم يكن أحد في يوم حمص أشد قتالاً وأكثر بأساً من عكرمة ابن أبي جهل ، حتى كان يقصد الأسنة بنفسه ، فقيل له : اتق الله وارفق بنفسك . فقال : يا قوم ، أنا كنت أقاتل عن الأصنام فكيف اليوم وانا أقاتل في طاعة الملك العلام ؟ واني ارى الحور العين يتشوقن أليّ ولو بدت واحدة منهن لأهل الدنيا لأغنتهم عن الشمس والقمر ، ولقد صدقنا رسول الله ﷺ فيما وعدنا ، ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزدد إلا اقداماً وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله ، فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده ، حربة عظيمة تضيء وتلهب فهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضي الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضي الله عنه وبكى بكاء شديداً ، ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذي قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ، ثم فتح الله عليهم حمص . وكان جملة من قتل من الكفار في ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم .

وفي الاحياء للامام الغزالي في كتاب تلاوة القرآن : كان عكرمة بن أبي جهل رضي

الله عنه إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول : هو كلام ربي هو كلام ربي رضي الله عنه . ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضي الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام ، تزوجها خالد بن سعيد رضي الله عنه ، وأراد ان يدخل بها فجعلت تقول : لو أخرت الدخول حتى يقضي الله هذه الجموع تعني الروم . فقال خالد : ان نفسي تحدثني اني أصاب في جموعهم . قالت : فدونك . فدخل بها في خيمته فما أصبح الصبح إلا والروم قد اصطفت ، فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل . حتى قتل ، فشدت ام حكيم رضي الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التي دخل بها فيها خالد ، فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم .

وجاء ان عكرمة رضي الله عنه شكا الى النبي ﷺ قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله ﷺ وقال : لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات . وفي رواية : لا تسبوا الاموات فتؤذوا الأحياء وفي أُخرى : أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ، وقد كان قبل إسلامه رضي الله عنه بارز رجلاً من المسلمين ، فضحك رسول الله ﷺ فقال له بعض الأنصار : ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا ؟ قال : أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضي الله عنه شهيداً في قتل الروم في وقعة اليرموك ، كما تقدم وأما الحويرث بن نقيد ـ بنون وقاف مصغراً ـ ابن وهب بن عبد ابن قصيّ فانما أهدر دمه ﷺ لأنه كان يعظم القول فيه ﷺ وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضي الله عنه حمل فاطمة وام كلثوم رضي الله عنهما بنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الأرض وشارك هبار بن الأسود في نخس جمل زينب رضي الله عنها لما هاجرت ، فأهدر ﷺ دمه فقتله علي رضي الله عنه ، وذلك أنه سأل عنه ، وهو في بيته قد أغلق عليه بابه فقيل : هو في البادية ، فتنحى علي رضي الله عنه عن بابه فخرج يريد ان يهرب من بيت الى آخر ، فتلقاه علي رضي الله عنه فضرب عنقه ، وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على انصاري فقتله ، وكان الأنصاري قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ في غزوة ذي قرد ، ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ، ورجع الى قريش فأهدر ﷺ دمه ، فقتله غيلة ابن عبد الله الليثي ، وأما هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي فانه كان شديد الأذى للمسلمين ، وكان عرض لزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت ، فنخس بها الجمل حتى سقطت على

صخرة وأسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة حتى ماتت رضي الله عنها ، فأهدرﷺ دمه يوم الفتح ، فهرب واختفى ثم جاء الى النبيﷺ وهو بالجعرانة .

قال جبير بن مطعم رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الأسود فقالوا : يا رسول الله هبار بن الأسود قال : قد رأيته فأراد رجل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس ، فوقف هبار فقال : السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمد رسول الله ، وقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم ، ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك ، عني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي ، فقالﷺ : قد عفوت عنك ، وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام ، والاسلام يُحبّ ما قبله .

قال الزهري : إن هباراً رضي الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكا ذلك له ﷺ فقال : سب من سبك . فكفوا عنه . وأما كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني فانما أهدر دمهﷺ لأنه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبيﷺ ، وصار يعير أخاه بجيراً حين أسلم ، وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيراً قال لكعب : أثبت في غنمنا حتى آتى هذا الزجل يعني النبيﷺ ، فأسمع كلامه وأعرف ما عنده ، فاقام كعب بابرق العزاف وهو ماء لبني أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول اللهﷺ ، فسمع كلامه وآمن به ، وسبب قول بجير لأخيه اثبت في غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ ، أن أباهما زهيراً كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثهﷺ ، ورأى زهير في منامه ان قد مد سبب أي حبل من السماء وانه مدّ يده ليتناوله ففاته ، فأوّل ذلك بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وإنه لا يدركه ، واخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ، ان ادركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بانه قد ظهر أمره تحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل ... على اي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أبا ... عليه ولا تلفى عليه اخالكا

فان كنــت لم تفعــل فلســت بآسف ولا قاتــل امــا عثــرت لعالكا
سقــاك بهــا المأمــون كأساروية فانهلــك المأمــون منهــا وعلكــا

وكان ﷺ يُسمى في الجاهلية الامين والمأمـون ، ثم ارسـل كعـب بالابيات الى أخيه بجير ، فلما اتت بجيراً كره ان يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده اياها ، فلما سمع ﷺ قوله : سقاك بها المأمون قال : صدق ، وانه لكذوب ، وأنا المأمون ، ولما سمع قوله : على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال : اجل لم يلف عليه اباه ولا امه . ثم قال ﷺ : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بجير ان رسول الله ﷺ قد قتل رجـالاً ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر أي أقبل مسرعا الى رسول الله ﷺ ، فانه لا يقتل أحداً جاء تائباً وان انت لم تفعل فانج الى نجاتك من الأرض اي الى محل ينجيك وكتب له هذه الأبيات :

فمــن مبلــغ كعبــاً فهــل لك في التي تلــوم عليهــا باطــلاً وهــي أحزم
إلــى الله لا العــزى ولا الــلات وحده فتنجــوا اذا كان النجــاء وتسلم
لدي يوم لا ينجــو وليس بمفلت من النــاس الأطاهــر القلــب مسلم
فدين زهير وهــو لا شيء دينه ودين ابــي سلمــى علــى محرم

فلما بلغت الأبيات كعباً وبلغه انه ﷺ امر بقتله وأراق دمه ، ضاقت عليه الأرض وخاف على نفسه ، وأرجف به اي خوّفه من كان حاضراً عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا له : إنك لمقتول : فلما لم يجد بداً ومخلصاً يلتجىء اليه إلا الاسلام ، خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي ﷺ من فتح مكة ، فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة ، فغدا به الى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، ثم أشار الـى رسـول الله ﷺ وقال : هذا رسول الله ، فقم اليه واستأمنه ، فجاء حتى جلس الى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه : فقال : يا رسول الله ، ان كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك تائباً مسلماً فهل انت قابل منه ، ان أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، ثم تشهّد فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم أنشده قصيدته المعروفة التي اولها بأنت سعاد فقلبي اليوم متبول الى ان قال فيها :

تمشي الوشاة بجنبيها وقولهم ... إنك يا ابن ابي سلمى لمقتول

وقال كل صديق كنت آمله ... لا الهينك إني عنك مشغول

فقلت خلو سبيلي لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وان طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول

أنبئت ان رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي اعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وان كثرت فيَّ الأقاويل

وقال فيها :

إن الرسول لنور يشتضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما اسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الأنباري :

انه لما وصل الى قوله .

ان الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه ، وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال : ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله ﷺ الذي أعطانيه أحداً فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فأخذها منهم ، وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم ، وكان الخلفاء يلبسونها في الأعياد وقيل : إنها فقدت في وقعة التتار .

وروى ابن اسحق : انه لما جاء الى النبي ﷺ وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، دعني وعدوّ الله اضرب عنقه ، فقال ﷺ : دعه عنك فانه جاء تائباً نازعاً اي مائلاً مشتاقاً الى الاسلام ، كافاً عن الشرك تاركاً له ، فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما ضنع به صاحبهم ، وخص المهاجرين بمدحته في قصيدته لأنهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الأنصار ، فقال له ﷺ : لولا ذكرت الأنصار بخير فانهم

أهل لذلك .

فقال بعد ذلك يمدح الأنصار :

من سره كرم الحياة فلا يزل	في مقتب من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر	ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة	كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم	للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم	بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء ، وكذا ابوه زهير واخوه بجير ، وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضي الله عنه . وجاء عن سعيد بن المسيب أن كعباً لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضي الله عنهم ، فدل على ابي بكر رضي الله عنه فأخبره بخبره ، فمشى ابو بكر وكعب على اثره حتى صار بين يدي رسول الله ﷺ فقال : رجل يبايعك يا رسول ارلله ، فمد يده فبايعه . .

قال العلامة الزرقاني : والجمع ممكن بانه لما قدم المدينة نزل على الجهني فأخبره بأن ابا بكر ارق الصحابة ، واتى به اليه فسارا به معا ثم تقدم الصديق وكعب على اثره ، فلما امن عرفه بنفسه والله اعلم .

واما الحرث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل شقيقه ، فانه كان شديداً على النبي ﷺ والمسلمين ، وكذا زهير بن أبي امية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها ، فانه كان شديداً في كفره ، فأهدردمهما ﷺ يوم الفتح فهربا واختبئا في بيت ام هانيء بنت ابي طالب رضي الله عنها فأجارتهما ، فأجاز ﷺ جوارها ، ثم جاءت بهما فأسلما وحسن إسلامهما رضي الله عنهما وكون الذي اجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن ابي امية هو الصحيح وقيل : الذي اجارته معه هو عبد الله بن ابي ربيعة . وقيل : هو هبيرة بن ابي وهب . قال الحافظ ابن حجر : وهذا ليس بشيء لأن هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركاً حتى مات ، وكانت ام هانيء رضي الله عنها تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي .

روى الامام احمد وغيره عن ام هانىء رضي الله عنها قالت : لما كان يوم الفتح فرَّ إليَّ رجلان من احمائي من بني مخزوم فدخل عليٌّ عليٌّ رضي الله عنه فقال : والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ ، فلما رآني قال : مرحباً وهلاً بأم هانىء ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : قد اجرنا من أجرت يا ام هانىء . والمشهور ان اسلام ام هانىء رضي الله عنها كان عام الفتح ، وقيل : اسلمت قديماً وكانت تكتم إسلامها وعن الحرث بن هشام رضي الله عنه قال : لما اجارتني ام هانىء رضي الله عنها وأجاز النبي ﷺ جوارها صار لا يتعرضني احد بعد ذلك وكنت اخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فمر علي وأنا جالس ولم يتعرض لي وكنت استحي ان يراني رسول الله ﷺ لما اذكر برؤيته اياي ما كنت افعله في كل موطن مع المشركين ، فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ، ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال : الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضي الله عنه .

وكذا ابن ابنه ابو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم وأما سارة فهي مولاة لبني المطلب بن عبد مناف وانما اهدر ﷺ دمها لأنها كانت مغنية بمكة ، تغني بهجاء النبي ﷺ ، وهي التي كان معها كتاب حاطب بن ابي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها ﷺ : ما كان في غنائك ما يغنيك ؟ فقالت : ان قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها واوقر لها بعيراً طعاماً ، فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله ﷺ فتغنى به ، فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله ﷺ فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها .

واما صفوان بن أمية بن خلف الجمعي فكان أيضاً من اشد الناس عداوة وأذية لرسول الله ﷺ وللمسلمين ، فأهدر دمه ﷺ . فاختفى وأراد ان يذهب ويلقي نفسه بالبحر ، فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وقال : يا نبي الله ، ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك أمنت الأحمر والأسود . فقال : أدرك ابن عمك فهو آمن . فقال : اعطني آية يعرف بها أمانك فاني قد طلبت منه العود فقال : لأ اعود معك الا ان تأتيني بعلامة اعرفها ، فأعطاه ﷺ عمامته التي دخل بها

مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان : أغرب عني لا تكملني فقال اي صفوان : فداك ابي وامي جئتك من عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ، وهو ابن عمك عزة عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال : اني اخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك واكرم ، وأراه العمامة التي جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : أن هذا يزعم انك امنتني قال : صدق فقال : امهلني بالخيار شهرين فقال ﷺ : انت بالخيار أربعة أشهر ، ولما اراد ﷺ الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين الف درهم وطلب منه دروعاً كانت عنده فقال ، أغصباً يا محمد ؟ قال : لا ولكن عارية مرجوعة او مضمونة ، ثم خرج مع النبي ﷺ حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه ، فلما قسم ﷺ غنائم هوازن بحنين اعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ، ثم رآه ﷺ يرمق شعباً مملوءاً ونعماً وشاء ، فقال له ﷺ : يعجبك هذا ؟ قال : نعم . قال : هولك وما فيه .

وفي رواية . ان صفوان رضي الله عنه طاف مع النبي ﷺ ليتصفح الغنائم ، اذ مر بشعب مملوء إبلاً وغنماً فأعجبه وجعل ينظر اليه ، فقال له النبي ﷺ اعجبك هذا الشعب ، يا أبا وهب ؟ قال : نعم : قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما في الشعب . وقال : ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس احد قط بمثل هذا الا نبي أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وترك المدة التي كان طلبها وكان يقول : كان النبي ﷺ أبغض الخلق إليّ فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق اليّ ، وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وأم ابنه معاوية رضي الله عنهم فانما أهدر دمها ﷺ لأنها مثلت بعمة حمزة رضي الله عنه يوم أحد ، ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت في بيت ابي سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته ﷺ بالأبطح وقالت : الحمدلله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد ، اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت : انا هند بنت عتبة فقال ﷺ : مرحباً بك ثم ارسلت اليه بهدية جديين مشويين وقد يدع جارية لها فقالت: انها تعتذر اليك وتقول لك : ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال ﷺ : بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها ، قالت هند : فلقد رأينا من كثرتها ما لم نره قبل وذلك بدعائه ﷺ : وقالت : كنت أرى في النوم اني في الشمس أبداً قائمة والظل قريب مني لا اقدر عليه ، فلما دنا ﷺ رأيت كأني دخلت الظل ، فكان ذلك هو الدخول في الاسلام . . وجاء انها لما أسلمت عمدت الى

صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول : كنا منك في غرور .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قالت هند بنت عتبة : يا رسول الله ، ما كان على ظهر الأرض أهل خباء احب الي أن يذلوا من اهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض اهل خباء احب الي ان يعزوا من اهل خبائك قال النبي ﷺ : وايضاً والذي نفسي بيده اي ستزيدين من ذلك ويتمكن الأيمان في قلبك ، فيزيد حبك لرسول الله ﷺ يقوى رجوعك عن بغضه . ثم قالت : يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان اطعم من الذي له عيالنا ؟ قال : لا أراه الا بالمعروف . وكان اسلامها بعد إسلام زوجها فأقرهما ﷺ على النكاح الأول لأن الاسلام جمعهما في العدة . بل قيل : ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة . وكانت هند امرأة ذات انفة ورأي وعقل ..

وجاء في رواية انه ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة منتقبة خوفاً من رسول الله ﷺ ، فلما دنين من رسول الله ﷺ قال لهن : بايعنني على ان لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن اولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وأرجلكن، ولا تعصينني في معروف . فقالت هند ، لما قال ولا تسرقن قالت : والله اني كنت اصيب من مال ابي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً ، أم لا. فقال ابو سفيان وكان حاضراً ، إما ما اصبت فيما مضى ؟ فأنت منه في حل عفا الله عنك. فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال : وانك لهند بنت عتبة قالت : نعم ، فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله ، ولما قال : ولا ترنين ، قالت : او ترني يا رسول الله الحرة ؟ ولما قال : ولا تقتلن اولادكن ، قالت ربينا هم صغاراً فقتلتهم كباراً وفي لفظ : وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر . فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى على قفاه ، وتبسم ﷺ . ولما قال : ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن . قالت: والله ان إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال : ولا تعصينني في معروف قالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا انا نعصيك في معروف .

وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها ، وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، وكان من

جملة من أسلم وبايعه ﷺ على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبي سفيان ، وقيل : ان اسلام معاوية كان عام الحديبية . وعن معاوية رضي الله عنه قال : لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت، ذلك لأمي فقالت : اياك ان تخالف أباك فيقطع عنك القوت ، فأسلمت وأخفيت إسلامي فقال لي يوماً أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي : أخوك خير منك هو على ديني . فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته ﷺ فرحب بي وكتبت له بعد ان استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال : استكتبه فانه امين .

وفي البخاري : ان كريباً قال لابن عباس رضي الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال : دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله ﷺ وجاء انه ﷺ اردفه يوماً خلفه فقال : ما يلبني منك ؟ قلت : بطني قال : اللهم املأه حلماً وعلماً . وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه : اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه سمع النبي ﷺ يدعو لمعاوية رضي الله عنه يقول : اللهم اجعله هادياً مهدياً واهده واهديه ولا تعذبه . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه : انت مني وانا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين ، واشار بأصبعه الوسطى والتي تليها . وقال له النبي ﷺ : إذا ملكت فأحسن .

وفي رواية اذا ملكت من أمر امتي شيئاً فاتق الله واعدل وفي رواية : يا معاوية انك ستلي أمر أمتي فارفق بها ، ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله ﷺ وازاره ورداءه وشيء من شعره فقال عند موته : كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بازار ، واحشوا منخري وشدقي من الشعر ، وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال : اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي . اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي ، وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ، ولم يثق بأحد سواك . ثم بكى حتى علا نحيبه . وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل : ثمان وسبعين سنة وكان ابيض جميلاً وهو من الموصوفين بالحلم ، ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة ، وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة إلا ستة أشهر ، وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على احد منهما . وقد قال ﷺ : الله ، الله في أصحابي وأصهاري وانصاري ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

وأما وحشي بن حرب فأهدرﷺ دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه ، فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال : فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت : الحق بالشام أو باليمن او ببعض البلاد ، فوالله اني لفي ذلك من همي ، إذ قال لي رجل : ويحك والله انه ما يقتل أحداً يدخل في دينه ، فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم قاى رأسه اشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : إقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال : ويحك غيب وجهك عني ، فكنت اتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه ، فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك ، اي أن هذه تكفر تلك وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، فقال النبيﷺ لعمه العباس : اين ابنا اخيك لا اراهما ، يعني عتبة ومعتبا ابني أبي لهب فقال العباس رضي الله عنه تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش قال : ائتني بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما للإسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما .

ثم قامﷺ واخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى اتى الملتزم ، فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه ، فقال له العباس رضي الله عنه أسرك الله يا رسول الله ؟ اني أرى السرور في وجهك قال : اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وشهدا معه حنيناً والطائف ، ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين وممن اختفى ايضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلماً فجاء الى النبيﷺ ليأخذ له اماناً فقالﷺ : هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله : من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمري ان سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول اللهﷺ فقال سهيل : كان والله براً صغيراً براً كبيراً ، ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ، ثم أسلم بالجعرانه رضي الله عنه ، وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم ، حتى ان الله ثبت به اهل مكة يوم جاءهم خبر وفاتهﷺ ، فكادوا ان يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فيها : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية ، فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد رضي الله عنه في اليرموك ، وقيل : توفي بالشام في طاعون عمواس ، ودخلﷺ مكة يوم الاثنين بين ابي بكر وأسيد ابن حضير رضي الله عنهما وهو متواضع مطأطىء رأسه على ناقته القصواء ،

مردفاً اسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهوﷺ يقرأ سورة الفتح .

وعن انس رضي الله عنه قال : لما دخلﷺ مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحلة متخشعا وفي رواية : حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله اي تواضعاً لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في حال دخوله ، حتى جاء البيت فطاف به .

وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني : ان طوافهﷺ إنما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ، ودعا بالقصواء فأدنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وابو بكر رضي الله عنه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء ، وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر ، فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه وإستنشده قول حسان الماضي .

يلطمهن بالخمر النساء

الى ان انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون ، فاستلم الركن بمعجنة وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ، ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً حتى جعلﷺ يشير اليهم أن اسكتوا ، والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعاً يستلم الحجر الأسود كل طوفة بمعجنة ، وكان ذلك يوم الأثنين لعشر يقين من رمضان وهو حلال غير محرم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول اللهﷺ مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنماً لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص ، فجاءﷺ ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية : فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير ان يمسه بما في يده ، يقول: جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً وفي رواية فأتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل ، وكان أعظم الأصنام وكان في يدهﷺ قوس ، فجعل يطعن بها في عينيه ويقول ﴿ جاء الحق ﴾ الآية ثم أمر به فكسر . فقال الزبير ابن العوام رضي الله عنه لأبي سفيان رضي الله عنه قد كسر هبل ، أما انك قد كنت يوم احد في غرور حتى تزعم انه قد انعم . فقال ابو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام ، لقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غيرما كان .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح : هذا ما وعدني ربي ، ثم قرأ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال :

واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء
توالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
فإذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

ولما فرغ ﷺ من طوافه نزل عن راحلته . روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال : ما وجدنا مناخاً في المسجد لراحلته ﷺ حتى أنزل علي أيدي الرجال ، فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى ﷺ الى المقاع فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال : لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلواً فنزع له العباس دلواً فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون : ما رأينا ملكاً قد أبلغ من هذا ، ولا سمعنا به ثم جلس ﷺ في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ، ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها ﷺ هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم ، وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين . وفي رواية : جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت على ستة أعمدة . وفي رواية : ان بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذي استقبله قريباً من ثلاثة أذرع .

وفي رواية : ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الأحكام منها : لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الامع ذي محرم ، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر . ثم قال : يا معشر قريش ، ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ﴿ يا ايها الناس ان خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً

وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ﴾ ثم قال : يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم ، قالوا خيراً ، أخ كريم وابن اخ كريم .

وقد قدرت وأوّل من قال ذلك سهيل بن عمرو فقالﷺ : أقول كما قال اخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فانتم الطلقاء اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا فخرجوا كأنما نشروا من القبور ، فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله : ايها الناس ، ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيام فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً او يعضد بها شجرة ، فان احد ترخص فيها لقتال رسول اللهﷺ فقالوا له : ان الله قد اذن لرسولهﷺ ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون اني فاعل فيكم ؟ الى آخر ما تقدم . وقد اختلفت الروايات في كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين اراد الدخول ، والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال : ائتني بالمفتاح . وتقدم انه أسلم في مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم .

فذهب عثمان الى امه سلافة بنت سعيد الأنصارية الأوسية ، وقد أسلمت بعد ذلك رضي الله عنها . فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح ابت ان تعطيه فقال : يا أمه ، ادفعي لي المفتاح فانه رسول اللهﷺ فأبت ان تعطيه وقالت : لا واللات والعزى ، فقال لها لا لات ولا عزى ، ، قد جاء أمر غير ما كنا فيه ، والله لتعطنه وانك ان لم تفعلي قتلت أنا وأخي وأنت قتلتينا ، والله لتدفعنه أو ليأتين غيري فيأخذه منك فأدخلته في حجزتها وقالت : اي رجل يدخل يده هنا ؟ قال الزهري : وأبطأ عثمان على رسول اللهﷺ وهو ينتظر ، حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول : ما يحبسه ، وفي رواية : فجعلت تقول : ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار ، وعمر رافع صوته وهو يقول : يا عثمان ، اخرج فقالت : يا بني ، خذ المفتاح فان تأخذه أحب الي من أن يأخذه تيم وعدي اي ابو بكر وعمر ، فاخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريباً من وجه رسول اللهﷺ ، عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفي رواية : فاستقبلهﷺ ببشر ففتح له عثمان الباب . وفي رواية فأخذهﷺ منه وفتح

الكعبة ، فيحتمل انهما تشاركا في الفتح .

فقد روى الفاكهي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت بنو ابي طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله ﷺ المفتاح ففتح بيده .

قال العلامة الزرقاني : ويحتمل الجمع بأنه ﷺ لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له اي فصح اسناد الفتح لكل منهما ، وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبي ﷺ الكعبة على باب الكعبة يذب الناس . ولما خرج ﷺ من الكعبة جلس في المسجد ومفتاح الكعبة في يده ، فقام اليه علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ﷺ ، فقال ﷺ ما معنا : انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس ، اي وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم ، وهي الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم .

وفي رواية ان العباس رضي الله عنه تطاول يومئذ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم ، فقال رسول الله ﷺ اين عثمان ابن طلحة ، فدعي به فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بز ووفاء ، وأنزل الله هذه الآية في شأن عثمان بن طلحة ﴿ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ﴾ وروى الازرقي وغيره عن مجاهد قال : نزلت هذه الآية في عثمان ابن طلحة أخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح ، فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال : خذوها اي الحجابة يا بني أبي طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم قال : وقال عمر رضي الله عنه : خرج ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ما سمعته يتلوها قبل ذلك : قال السيوطي : ظاهر هذا انها انزلت في جوف الكعبة وروى الأزرقي عن ابن المسيب : خذوها خالدة تالدة لا يظلمكموها إلا كافر .

وفي رواية عند ابن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه ﷺ دفع المفتاح الى عثمان فقال : خذوها خالدة مخلدة اني لم أدفعها اليكم ، ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم ، الا ظالم ، وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه قال : لقيني ﷺ بمكة قبل الهجرة فدعاني الى الاسلام فقلت : يا محمد ، العجب لك حيث تطمع ان اتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال : وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل النبي ﷺ يوماً يريد ان يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته ، فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال : يا عثمان ، لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعني ما دامت قريش

انت لا تقدر على ذلك ، فقال : بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت ان الأمر سيصير الي ما قال اي لأنه كان معروفاً بينهم بالصدق والأمانة قال عثمان : فأردت الاسلام ، فإذا قومي يزبرونني زبراً شديداً ، فلما كان يوم الفتح قال : يا عثمان ، ائتني بالمفتاح فأتيته به ، ثم دفعه اليَّ وقال : خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ، ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف ، قال عثمان : فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال : لم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة ، لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت ؟ قلت : بلى اشهد أنك رسول الله .

وفي تفسير الثعالبي : بلاسند ، ان هذه الآية ﴿ ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي ، أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة ، فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال : لو علمت انه رسول الله لم أمنعه ، فلوى عليٌّ يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ، فدخل ﷺ البيت ، فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة ، فأنزل الله هذه الآية فأمر ﷺ علياً ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ، ففعل ذلك علي رضي الله عنه ، فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما : أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق ؟ فقال علي رضي الله عنه : لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله ، وأسلم .

قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمر وبن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله في أول الحديث ، فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه ، فانّ ذلك كله منكر .

قال الزرقاني : ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لأنه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى ، لأنه لم يمكن من هو أجل منه منع شيء ولا قول شيء يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث ، وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة ، واسم ابي طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب العبدري ، وطلحة ابو عثمان قتل كافراً يوم أحد ! ويقال لعثمان الحجبي ولآل

بيته الحجبة ويعرفون الان بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة .

قال الحافظ ابن حجر : ان ابا طلحة له ولدان : عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان : فلما مات عثمان بن طلحة بن ابي طلحة اخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة ، لأن عثمان بن طلحة كان لا ولد له ، وبقي في اولاد شيبة وهم الشيبيون .

قال العلامة الزرقاني : وفي هذه الأخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن . قال العلامة الشمس الحطاب المالكي المكي : ولا التفات إلى قول بعض المؤرخين ، ان عقبهم انقطع في خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضي الله عنه لا يشرك مع الحجبة في الخزانة أحد لأنها ولاية منه ﷺ ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم في زمانهما ، وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة ، وكذا ذكر العلامة القلقشندي وعاش الى إحدى وعشرين وثمانمائة ، ولا دلالة لزاعم انقراضهم في إخدام معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيداً ، لأن إخدامها غير ولاية فتحها ـ كما هو معلوم ـ وكثيراً ما يقع في كلام المؤرخين كالأزرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى .

وقد تقدم الكلام على إسلام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة في قصة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وأما شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فأسلم عام الفتح ، وكان رضي الله عنه يحدث عن سبب إسلامه فيقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ، ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة ثم صار الى حرب هوازن قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله ، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها .

وفي لفظ : اليوم أدرك ثأري من محمد أي لان أباه وعمه وجملة من بني عمه قتلوا يوم أحد ، قتلهم حمزة وعلي وغيرهم رضي الله عنهم . قال : وقلت لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما تبعته ، لا يزداد ذلك الأمر عندي إلا شدة . فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل ﷺ عن بغلته ، أصلت السيف ودنوت منه أريد الذي أريد منه ، ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل ، رفع الي شواظ من نار كالبرق كاد يهلكني ، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه . وفي رواية : فلما هممت به حال بيني وبينه خندق

عن نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك . قال : فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ وتبسم ، وعرف الذي أريد ، فناداني يا شيبة أدن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال : اللهم أعذه من الشيطان . قال شيبة : فوالله لهو في الساعة صار أحب إليَّ من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان فيَّ . ثم قال : ادن فقاتل ، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم إني أحب ان أقيه بنفسي وكل شيء ، ولو كان أبي حياً ولقيته تلك الساعة لأوقعت السيف به ، فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد ، وقرِّبت اليه بغلته فاستوى عليها قائماً .

وجاء في رواية عن شيبة ابن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله ﷺ إذ قلت : يا رسول الله ، اني لأرى خيلاً بلقاً قال : يا شيبة انه لا يراها الا كافر ، فضرب بيده على صدري ثم قال : اللهم إهد شيبة ، فعل ذلك ثلاثاً فما رفع ﷺ يده عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحبُّ إليَّ منه . ولما انقضى القتال ورجع ﷺ الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه ما دخل عليه غيري ، حباً لرؤية وجهه ﷺ وسروراً به فقال : يا شيبة الذي اراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره لاحد قط فقلت : اني اشهد ان لا إله إلا الله واشهد انك رسول الله . ثم قلت له : استغفر لي فقال : غفر الله لك .

وجاء ان بلالاً رضي الله عنه أمره النبي ﷺ ان يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين ، وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد . وفي رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحرث بن هشام وغيرهم جلوساً بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد أوخالد بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً ان لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . وقال الحرث بن هشام : اما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره . وفي رواية . انه قال : اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً . وقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيدا قبل ان يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة . وقال الحكم بن أبي العاص . والله ان هذا لحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية ابي طلحة وقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً . لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : قد علمت الذي قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال : اما انت يا فلان فقلت : كذا . وأما أنت يا فلان فقلت : كذا . واما انت يا فلان فقلت : كذا فقال ابو سفيان : اما انا

يارسول الله فما قلت شيئاً فضحك رسول الله ﷺ ، فقال الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد : نشهد إنك رسول الله ، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول اخبرك ، وصار بعض من قريش يستهزؤون ، ويحكون صوت بلال غيظاً ، وكان من جملتهم ابو محذورة وكان من احسنهم صوتاً ، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئاً سمعه رسول الله ﷺ فأمر به النبي ﷺ فمثل بين يديه ، وهو يظن انه مقتول ، فمسح رسول الله ﷺ ناصبته وصدره بيده الشريفة قال : فامتلأ قلبي والله ايماناً ويقيناً ، وعلمت انه رسول الله ﷺ فالقى عليه رسول الله ﷺ الأذان وعلمه اياه وأمره ان يؤذن لاهل مكة ، وكان سنة ست عشرة سنة واولاده بعده كانوا يتوارثون الأذان بمكة ، ويروى ان جويرة بنت ابي جهل قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة : والله لا نحب من قتل الأحبة ابداً ولقد جاء لأبي الذي جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ، ثم اسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها .

وممن جاءه ﷺ يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي ، وقيل : عبد الله بن السائب ، وقيل : السائب بن عويم ، وقيل : قيس بن السائب بن عويم ، وكان شريكا للنبي ﷺ قبل بعثته ﷺ : قال : لما أسلمت اخذ عثمان وغيره يثنون عليّ فقال ﷺ لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ : لما أقبلت عليه قال : مرحباً بأخي وشريكي كان لايداري ولا يماري ، قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية لا تتقبل منك اي لتوقفها على الاسلام ، وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام . وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوّح حدث نفسه بقتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه رسول الله ﷺ قال : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال . لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة رضي الله عنه يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً احب الي منه .

وفي سيرة ابن هشام قال فضالة : فرجعت الي أهلي فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت : هلم اليّ الحديث فقلت : لا ، وانبعث فضالة رضي الله عنه يقول :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ... يأبى عليّ الله والاسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحـى بينا والشرك يغشي وجهـه الاظلام

ولما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان ويكنى بأبي قحافة يقوده وقد كف بصره ، فلما رآه ﷺ قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون أنا آتيه وفي لفظ : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر رضي الله عنه . فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله : هو أحق ان يمشي اليك من ان تمشي أنت اليه ، فأجلسه بين يدي رسول الله ﷺ فمسح رسول الله ﷺ صدره وقال : اسلم تسلم فأسلم ، ولم يعش لأبي قحافة ابن ذكر الا ابو بكر رضي الله عنه ، وهنأ رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه باسلام أبيه ، وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة ، وذلك ان إسلام أبي طالب كان أقر لعينك وكان رأس ابي قحافة رضي الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب : فقال ﷺ : غير وهما وجنبوه السواد ، وكانت ام أبي بكر بنت عم أبيه أسلمت قديماً حين أسلم ابو بكر رضي الله عنه ، وأخته ام فروة رضي الله عنها اسلمت ايضاً وابناؤه وبناته .

قال بعضهم : لم يكن أحد من الصحابة اسلم هو ووالداه وأخته وجميع اولاده وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه ، وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه ، وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضي الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة : أسماء وهي اكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم ، مات ابو بكر رضي الله عنه وهي في بطن أمها وأخبر بانها انثي قبل وفاته وهي حمل في بطن امها حيث قال لعائشة رضي الله عنها انما هما أخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها اختاً غير أسماء رضي الله عنها ، فسألته عن ذلك فاشار الى الحمل المذكور وقال : اراها انثى فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه ، وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿ ربّ أو زعني ان أشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم ، في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ قال بعضهم : لا يعرف في الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وصحبوا النبي ﷺ وكل واحدا ابو الذي بعده الا في بيت ابي بكر رضي الله عنه ابو قحافة وابنه ابو بكر ، وابنه عبد

الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ، ومن اثبت غير ذلك كزيد بن حارثة وأبيه حارثة أي فانه أسلم وابنه أسامة بن زيد وابن اسامة فقد نوزع في ثبوت ان ابن أسامة رآه النبيﷺ ، فاما ابو بكر رضي الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم . وبقي من الأصنام التي كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة ، وكان من صفر . وفي رواية من نحاس موتد أبا وتاد من حديد الى الأرض ، فأمر النبيﷺ علياً رضي الله عنه أن يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون .

وروى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : انطلق بيﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال : اجلس فجلست الى جنب الكعبة ، فصعد على منكبي ثم قال : انهض فنهضت ، فلما رأى ضعفي تحته قال : اجلس فجلست ، ثم قال : يا علي اصعد على منكبي ففعلت فلما نهض بي خُيل لي أني لو شئت نلت أفق السماء ، فصعدت فوق الكعبة وتنحىﷺ فقال : ألق صنمهم الأكبر وعالجه ، قال : فلم أزل اعالجه حتى استمكنت منه فألقيته ، وقد أجاد القائل :

يا رب بالقدم التي أوطأتها	من قاب قوسين المحل الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها	كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما	قدمي وكن لي منقذاً او مسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له	ذخراً فليس سخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم رسول اللهﷺ مكة أبى ان يدخل البيت وفيه الآلهة اي بحسب زعمهم وكانت تماثل على صور شتى فأمر بها فأخرجت.

وفي رواية : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضي الله عنه هو الذي أخرجها ، وأخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام التي كانوا يستقسمون بها. فقال رسول اللهﷺ : قاتلهم الله ، اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قطوفي رواية عن جابر رضي الله عنه : وكان عمر رضي الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام ، فلما دخلﷺ رآها فقال : يا عمر ، ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام ، ثم رأى صورة مريم فقال : امسحوا ما فيها من

الصورة قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون وفي رواية أسامة بن زيد رضي الله عنهما : انه ﷺ دخل الكعبة فرأى صوراً ، فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولاً .

وذكر بعضهم ان صورة عيسى وامه بقيتا او بقي بعض أثرهما ، حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان : فقال : انكما لبلاد عربية ، فلما هدم ابن الزبير رضي الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما اثرثم نادى منادى رسول الله ﷺ بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً الا كسره فكسروا الأصنام التي كانت في بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضي الله عنها الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه وتقول : كنا منك في غرور ، ثم بعث رسول الله ﷺ السرايا الى كسر الأصنام التي حول مكة لأنهم كانوا اتخذوا لهم اصناماً جعلوا لها بيوتاً يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم فمنها العزى ومناة وسواع وسيأتي ذكر السرايا اليها ـ ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوا هو مشرك، فقام رسول الله ﷺ خطيباً بعد الظهر مسنداً ظهره الى الكعبة وقيل : كان على راحلته فحمد الله واثنى عليه وقال : ايها الناس ، ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ويوم خلق الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيام فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دماً ولا يعضد فيها شجرة . لم تحل لأحد كان قبل ولم تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحل لي الا هذه الساعة يعني من صبيحة يوم الفتح الى العصر ، غضباً على اهله إلا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فيبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم . ان رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد احلها لرسوله ﷺ ولم يحلها لكم .

وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ، ان شاؤوا قدم قاتله وان شاؤوا تعقله . ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الأقرع الذهلي ، وكان مع بني بكر . فلما دخل مكة وهو على شركة عرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعي بشقص في بطنه حتى قتله ، فلامه ﷺ وقال : لو كنت قاتلاً مسلماً بكافر لقتلت خراش . والشقص ما طال من النصل وعرض وقال ﷺ يوم الفتح : لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة اي لا تغزى على الكفر اي لا يقاتلوا على ان

يسلموا ، واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحاً او عنوة ؟ فقال الأكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعي واحمد في رواية عنه : انها فتحت صلحاً وجمع بعضهم بين الروايات بان اعلاها فتح صلحاً اي الذي سلكه النبيﷺ ، وأسفلها فتح عنوة اي الذي سلكه خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ولما قربﷺ من دخول مكة اي قبل أن يدخلها بيوم قال له اسامة بن زيد رضي الله عنهما ، يا رسول الله اين تنزل غداً زاد في رواية أتنزل في دارك ؟ فقال له النبيﷺ : وهل ترك لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور ؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو واخوه طالب ولم يرث جعفر ولا عليٌّ معهما شيئاً لأنهما كانا مسلمين ، وترك لهما النبيﷺ ما يخصه تفضلاً واستمالة وتأليفاً لهما . وقيل : تصحيحاً لتصرفات الجاهلية، كما تصحح انكحتهم ثم ان عقيلاً اسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل : اختطفته الجن .

وفي رواية للبخارى ، قالﷺ : منزلنا ان شاء الله إذا فتح الله مكة الخيف وفي رواية بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب ، وذلك ان قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب ان لايناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي ﷺ : كما تقدم وانما اختارﷺ النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم ، وتمكنه من دخول مكة ظاهراً غالباً على رغم من سعى في إخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين اساؤوا ومقابلتهم بالمنّ والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وعن جابر رضي الله عنه قال : لما رأى رسول اللهﷺ بيوت مكة وقف فحمد الله واثنى عليه ، ونظر الى موضع قبته اي التي ضربت له بعد ، وقال : هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضي الله عنه فذكرت حديثاً كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا . مكة في خيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك ايضاًﷺ في حجة الوداع فعن ابي هريرة رضي الله عنه انهﷺ قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب ، وبعد ان فتح الله مكة جاءﷺ الى الصـ ـفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء ، وقد احدقت به الأنصار فقال بعضهم لبعض : اما الرجل فقد ادركته رغبة في قريته ورأفه بعشيرته ، فنزل عليه الوحي بما ذكر القوم ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال : يا معشر الأنصار ، قلتم اما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفه بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : فما اسمي اذن ان فعلت ذلك ؟ كيف اسمي

وأوصف باني عبد الله ورسوله ؟ كلا لا افعل ذلك ، اني عبد الله ورسوله اي من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك ، هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والمهات مماتكم ، فأقبلوا اليه بيكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا الا الضنّ اي البخل بالله ورسوله اي لا نسمح ان يكون رسول اللهﷺ في غير بلدتنا يعنون المدينة . فقال رسول اللهﷺ : فان الله ورسوله يعذر انكم اي يقبلان عذركم ويصدقانكم .

وفي رواية : ان الأنصار قالوا فيما بينهم : اترون رسول الله ﷺ اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلما يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبيﷺ : معاذ الله المحيا محياكم والمهات مماتكم . وتقدم لهﷺ في بيعة العقبة نظير ذلك ، وهو أن الأنصار قالوا : يا رسول الله ، هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسمﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، واستقرضﷺ من ثلاثة نفر من قريش ، اخذ من صفوان بن أمية قبل ان يسلم خمسين ألف درهم ، ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم ، فرقها في أصحابه من أهل الضعف ، ثم وفاهاما غنمه من هوازن واقامﷺ بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً وقيل : ثمانية عشر يوماً واعتمده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته بها لأنه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان عمره إحدى وعشرين سنة . وفي رواية ان عمره كان ثماني عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، يعلم الناس الفرائض والسنن ، وجعل رزق عتاب كل يوم درهماً . فكان رضي الله عنه يقول : لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم .

وفي رواية : انه خطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول اللهﷺ كل يوم درهماً فلا حاجة لي إلى أحد ، وبقي على عمله الى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه . وتوفي في اليوم الذي توفي فيه الصديق رضي الله عنه . وقيل : بل استعمله عمر رضي الله عنه وعاش الى سنة إحدى وعشرين ، وكانت وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه وإنما استعمله النبيﷺ ، لأنه ﷺ كان رأى في المنام ان أسيداً والده ولي على مكة مسلماً فمات كافراً ، فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب

رضي الله عنه حين أسلم ، وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم . وجاء انه ﷺ لما ولاه قال له : انطلق فقد استعملتك على أهل الله ، قال ذلك ثلاثاً . وفي رواية : قال له : يا عتاب ، اتدري على من استعملتك ؟ على أهل الله فاستوص بهم خيراً يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضي الله عنه شديداً على المريب ، ليناً على المؤمن . وقال : والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه ، فانه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق . فقال أهل مكة : يا رسول الله ، لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابياً جافياً فقال ﷺ : إني رأيت فيما يرى النائم : كان عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلق الباب فقلقلها قلقالاً شديداً حتى فتح له فدخلها ، فأعز الله به الإسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم .

قال ابن الجوزي : إنما استعمل ﷺ عتاباً حين أراد الخروج الى حرب هوازن .

وفي كلام غيره : ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة ، حين أراد ﷺ الذهاب الى المدينة ، ولا تخالف لاحتمال أن يراد أنه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة ، وكان لعتاب رضي الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش ، حضر وقعة الجمل مع علي رضي الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه ، فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها . والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد أشار الإمام البوصيري لبعض ما وقع فيها فقال :

صرعت قومه حبائل بغي	مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا	ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافي ال	طعن منها ما شأنه الإيطاء
وأثارت بأرض مكة نقعاً	ظن أن الغدوّ منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى	دون إعطائه القليل كداء
ودهت أوجهاً بها وبيوتاً	مل منها الأكفاء والإقواء
فدعوا احلم البرية والعفـ	ـو جواب الحليم والإغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش	قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ	ـه عليهم بما مضى إغراء

وسواء عليه فيما أتاه من سواء الملام والإطراء
قام لله في الأمور فارضى اللـ ـه منه تباين ووفاء
وإذا كان القطع والوصل للـ ـه تساوي التقريب والإقصاء
ولو أن انتقامه لهوى النفـ ـس لدامت قطيعة وجفاء
فعله كله جميل وهل ينـ ـضح إلا بما حواه الإناء

وقد أجاد العلامة ابو محمد عبد الله بن ابي زكريا يحيى بن علي الشقراطيي ، حيث يقول في قصيدته المشهورة بعدما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتاً في قصة الفتح ، لأنهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسولهﷺ فيه ، وهذه يوم استيلائه على مكة التي هي من أشرف البقاع ويوم عزه في بلاده التي أوذي فيها ودخل الناس في دين الله أفواجاً فقال :

ويوم مكة إذ أشرفت في أمم تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها في قاتم من عجاج الخيل والإبل
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم في بهو إشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب متوّج بعزيز النصر مقتبل
يسموا أمام جنود الله مرتدياً ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما ملكت إذ نلت منه غاية الأمل
والأرض ترتجف من زهو ومن فرق والجويزهر إشراقاً من الجذل
والخيل تختال زهواً في أعنتها والعيس تنثال زهواً في ثني الجدل
لولا الذي خطت الأقلام من قدر وسابق من قضاء غير ذي حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب وذاب يذبل تهليلاً من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت له النبوّة فوق العرش في الأزل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه كالاسد تزأر في أنيابها العصل

فويل مكة من آثـار وطأته ... وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفـوا بفضـل العفـو منـك ولم ... تلمـم ولا بأليم اللـوم والعذل
أضربـت بالصفـح صفحـا عن طوائلهم ... طولا أطـال مقبـل النـوم في المقل
رحمـت واشـج أرحـام أتيح لها ... تحـت الـوشيج نشيج الـروع والوجل
عاذوا بظـل كريم العفـو ذي لطف ... مبـارك الوجـه بالتـوفيق مشتمل
أزكى الخليقـة أخلاقـاً وأطهرها ... وأكرم النـاس صفحـاً عن ذوي الزلل
زان الخشـوع وقـار منـه في خفر ... أرق من خفـر العـذراء في الكلل
وطفـت بالبيت محبـورا وطـاف به ... من كان عنـه قبيل الفتـح في شغل
والكفـر في ظلمات الـرجس مرتكس ... ثاوٍ بمنزلـة البهمـوت من زحل
حجـزت بالأمـن أقطـار الحجـاز معاً ... وملـت بالخـوف عن حيف وعـن طلل
وحـل أمـن ويمـن منـك في يمن ... لما أجابـت الى الايمـان عن عجل
وأصبـح الـدين قد حفـت جوانبه ... بعـزة النصر واستـولى على الملل
قد طاع منحـرف منهـم لمعترف ... وانقـاد منعـدل منهـم لمعتدل
أجـب بخلـة أهـل الحـق في الخلل ... وعـز دولتـه الغـراء في الدول

(هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله الذي صبه على الكفار)

وكانت عقب فتح مكة بخمس ليالٍ بعثﷺ خالد بن الـوليد رضي الله عنـه الى العزى ومعه ثلاثون فارساً ليهدمها واختلف في المراد من العزى فقيل : هي شجرة وقيل : صنم وضعه سعد ابن ظالم الغطفاني لما قدم مكة ، ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلها الى نخلة ، وهو موضع على ليلة من مكة ، وكانـت العـزى لقريش وجميع بني كنانة وحجابها بني شيبان من بني سليم ، وكانوا حلفاء بني هاشم ، وكانت اعظم اصنامهم ، وذلك ان عمرو بن لحي لعنه الله قال لهم : إن الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً . وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ، ويطوفون وينحرون عندها . ومع ذلك يعرفـون فضـل الكعبـة عليها لانها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده . قال ابن اسحق : فلما سمع سادن العزى بسير خالد اليه علق سيفه واستند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عز شدي شدة لا سوى لها على خالد ألقى القناع وشمري
أيا عز إن لم تقتلي المرء خالداً فبوئي بإثم عاجل أو تنصري

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التي هي فيه ، وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضي الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ بمكة فأخبره فقال : هل رأيت شيئاً خرج منها حين هدمتها : قال : لا . قال : فانك لم تهدمها أي الهدم الأبدي المزيل لها حقيقة . فان الذي فعلته هو إزالة الصورة الظاهرة وبقي أمر خفي لا تزول إلا بزواله . فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضي الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه ، فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثوا التراب على رأسها ووجهها ، فجعل السادن يصيح بها وهو يقول :

يا عز خبليه يا عز عوريه

ولا تموتي برغم فضربها خالد رضي الله عنه وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

فجزلها اي قطعها اثنتين . وفي رواية : فضرب الشجرة بالفأس فقلعها ، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها ، فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : نعم ، تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً .

(هدم سواع وهي سرية عمرو ابن العاص رضي الله عنه)

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة ، وكان بعثه في رمضان ايضا بعد الفتح . قال ابن جرير : سواع بن شيث بن آدم لما مات صوّرت صورته وعظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر ، فلما ماتوا صوّرت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، فاتخذوها آلهة . قال السهيلي : وكان بدء عبادتها في عهد مهلايبل بن قينان قبل نوه عليه السلام . وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما :

صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب وهي اسماء قوم صالحين ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ان انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم فلم تعبد ، فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت .

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : فانتهيت إلى سواع وعنده السادن قال : ما تريد ؟ فقلت : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه . قال : لا تقدر على ذلك فقلت : لِمَ ؟ قال : يمنعك . قلت : حتى الآن انتِ على الباطل ويحك ، وهل يسمع او يبصر حتى يمنعني ؟ قال : فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ، فلم نجد فيه شيئاً ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ فقال : أسلمت لله رب العالمين ، ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضي الله عنه .

(هدم مناة وهي سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه الى مناة)

وهي صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم ، وقيل : إنها ايضاً لهذيل وبني كعب وخزاعة وغسان . وكانت بالمشلل ـ بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة ـ جبل على ساحل البحر يهبطمنه إلى قديد ، وكان بعثه في رمضان ايضاً بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضي الله عنه في عشرين فارساً حتى انتهى اليها وعليها سادن . قال السادن : ما تريد ؟ قال : اريد هدم مناة . قال : أنت وذاك ؟ تهكما لظنه أنه لا يقدر عليها ، فأقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها . فقال السادن : مناة دونك بعض عصاتك ، فضربها سعد فقتلها . وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانته شيئاً ، وانصرف راجعاً الى النبيﷺ . ثم ما ذكرمن ان الذيذهب لهدمها سعد بن زيد الاشبيلي هو ما مشى عليه في المواهب تبعاً لطبقات ابن سعد . وقال ابن اسحق : إن الذي بعثه النبيﷺ لهدمها ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه . وفي سيرة ابن هشام : أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله اعلم .

غـزوَة حنـين

وهو اسم موضع في طريق الطـائف الى جنـب ذي المجـاز وهـو سوق كان في الجاهلية ، وقبل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى عزوة أوطاس ، وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى ايضاً غزوة هوازن . وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفـة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر . وسببها أنه ﷺ لما فتح مكة مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتاله ﷺ ، لأنهم خافوا أن يسير إليهم ويغزوهم . وقالوا : قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي ان نغزوه قبل ان يغزونا .

بل جاء في بعض الروايات : انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله ﷺ . وروي عن ابي الزناد : أن هوازن اقامـت سنـة تجمـع الجمـوع وتسـير رؤساؤهـم في العـرب تجمعهم . فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قالوا : لا ناهية له دوننا ، وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم . وقال بعض منهم : والله ما لاقى محمداً قوم يحسنون القتال ، فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل ان يسير اليكم ، فأجمعوا امرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف بن سعد ابن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ويقال له النصري بالصاد وأسلم بعد ذلك رضي الله عنـه ، فاجتمـع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر ، وهم الذين كان رسول الله ﷺ مسترضعاً فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعاً مجربـاً ، لكنه كبر لانه بلغ مائـة وعشرين سنـة وقيل : ما ئة وخمسين وقيل ، مائة وسبعين وقيل : قارب المائتين وقد عمي وصار لا ينتفع إلا برأيه ومعرفته بالحرب ، لأنه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب ، وكان قائـد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه ، وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف ، وانضم اليهـم من أعـداد سائـر العـرب جمـوع كثـيرة وكان

مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا ، وجعلوا أمر الجميع إلى مالك بن عوف النصري وكان عمره ثلاثين سنة ، واشترطوا عليه أن يأخذ برأي دريد بن الصمة . فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا بأوطاس قال دريد بن الصمة : مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر ؟ قالوا : ساق مالك ابن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين هو ؟ فحضر بين يديه فقال له : أنك تقاتل رجلاً كريماً قد أوطأ العرب وخافته العجم ، وأجلى يهود أي غالبهم إما قتلاً وإما إخراجاً عن ذل وصغار . فقال له مالك : لا نخالفك في أمر تراه . فقال : يا مالك ، أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال له : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فزجر كما تزجر الدابة ، وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به ، وهو معنى قول بعضهم صوت بلسانه في فيه ، ثم قال له رويعي ضأن ، والله ماله وللعرب اي من كانت هذه صفته ماله وللحرب . ثم أشار عليه برد الذرية والأموال وقال : هل يرد المنهزم شيء هي ان كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشي وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد : ما فعلت كعب وكلب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد قال : غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا . ثم قال دريد : إن يومك هذا الذي تلقى فيه محمداً ما بعده يوم ، فقال له مالك : إني لأطمع ان ترى ما يسرك ، ثم أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال : والله لا أطيعك إنك قد كبرت وضعف رأيك . فقال لهوازن : قد شرط مالك ان لا يخالفني وقد خالفني ، فأنا أرجع الى أهلي فمنعوه ، وقال مالك : والله لتطيعنن يا معشر هوازن أو لأتكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره ان يكون لدريد فيها رأي أو ذكر : فقالوا : أطعناك . فقال دريد : يا معشر هوازن ، إن هذا فاضحكم في عورتكم يعني النساء والذرية ، وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم ، فانصرفوا واتركوه فأبو ، فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها واضع

أقــود وطفــاء الزمع كانهـــا شاة صدع

ثم امر مالك بالخيل فجعلت صفوفاً وجعل المشاة خلفهم ، ثم جعل النساء فوق الإبل وراء المقاتلة صفوفاً ، ثم جعل الإبـل والبقـر والغنـم وراء ذلك كي لا يفـروا ، ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس : إذا رأيتموني شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد . ولما بلغ النبيﷺاجتماعهم وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم ، وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوّال ، وكان معه ﷺ اثنا عشر الفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤوا معه من المدينة لفتح مكة ، وألفان من الذين أسلموا في فتح مكة الذين منّ عليهم واطلقهم يوم الفتح ، وفصل بعضهم العشرة الآلاف الـذين جاؤوا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال : أربعة آلاف من الأنصار ، والف من المهاجرين ، والف من جهينة ، والف من مزينة ، والف من أسلم ، وألف من غفار ، والف من أشجع . وتقدم أنه ﷺ استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ، ومن عبد الله بن ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حويطب بن عبد العزيّ أربعين ألف درهم ، فرقها في اصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها ، وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ، ثم وفاها مما غنمه من هوازن . وقال : إنما جزاء السلف الحمد والأداء ، وكان صفوان بن امية على دين قومه وأخذ أماناً من النبيﷺ ، وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم إن شاء تبعه ودخل في الإسـلام وإن شاء ذهـب حيث شاء ، فأعطاه اربعة اشهر ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه .

وتقدم الكلام على قصة إسلامه مستوفى عند ذكره في عداد من أهـدر دمهـم ﷺ واستثناهم من الدخول في الأمان ، ثم إنهﷺ ذكروا له عند عزمه على الخـروج لحرب هوازنِ ، ان عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً فأرسل اليه فقـال : يا أبـا أمية أعرنـا سلاحك نلقي به عدوّنا غداً . فقال صفوان : أغضباً يا محمد قال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها إليك فقال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفي رواية : أربعماية درع . وسأله النبيﷺ أن يكفيهم حملها إلى موضع القتال ففعل .

وذكر بعضهم ان بعض تلك الأدراع فقد ، فأراد النبيﷺ أن يضمنها له فأبى بعد إسلامه وقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب ، واستعارﷺ من نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب وهو ابن عمهﷺ ثلاثة آلاف رمح . وقال : كأني أنظر إلى رماحك هذه

تقصف ظهر المشركين . ثم خرج النبيﷺ وخرج الناس معه وأهل مكة ركباناً ومشاة ، حتى النساء خرجن يمشين على غير وهن رجاء للغنائم ، ومن لم يكمل إسلامه لم يكره أن الصدمة برسول اللهﷺ وأصحابه ، واستعملﷺ على مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه ، وترك معه معاذ ابن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الأحكام والشرائع ، وقد تقدم الكلام على ذلك في غزوة الفتح . وخرج معهﷺ من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلاً منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما ، فانهما أسلما بعد ذلك . وقد تقدم قصة إسلامهما . فلما قرب النبيﷺ من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار ، فلواء المهاجرين أعطاه علياً رضي الله عنه ، وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه راية ، وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه راية ، وهكذا ، وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه ، ولواء الأوس لاسيد بن حضير رضي الله عنه ، وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ، ثم رتب قبائل العرب التي كانت معه وفرق عليهم الألوية والرايات ، ولبسﷺ درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء . وفي رواية : الشهباء وهي بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء ، لأن بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل ، وارسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيوناً وجواسيس ، ينظرون الى رسول اللهﷺ ومن معه ، فرجعوا إلى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا . رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وإن أطعتنا رجعت بقومك . فقال : أفٍ لكم ، بل أنتم أجبن القوم ، وحبسهم عنده خوفاً ان يشيع ذلك في جيشه ولم يصرفه ذلك ، ومضى على ما يريد وأرسل اليهم رسول اللهﷺ رجلاً من أصحابه ، وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه ، وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم قوله وطفار ـ بالطاء المهملة ـ سبق قلم ، والصواب بالظاء المعجمة ـ كما في البخاري والقسطلاني عليه ما أجمعوا عليه ، فدخل فيهم ومكث يوماً أو يومين وسمع ما يقولون ، ثم أتى النبيﷺ وأخبره أنه انتهى الى خباء مالك ابن عوف ، وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه : إن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة . وإنما كان يلقى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ، ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا اغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف ، واحملوا حملة رجل واحد ، واعلموا ان الغلبة لمن

حمل أولاً .

وفي رواية : ان ابن أبي حدرد رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم اي نسائهم ولعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين إن شاء الله . فقال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم عن قلة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وقوله فيا تقدم بعشرين الف سيف حق ، وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقاني في شرح المواهب . وقيل : كانوا ثلاثين الفاً . واما رواية : إنهم كانوا أربعة آلاف فرجوحة ، ولما كان ﷺ بحنين وانحدر في الوادي ، وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قدكمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه ، وذلك باشارة دريد بن الصمة ، فانه قال لمالك بن عوف : اجعل كميناً يكون لك عوناً إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم ، وكررت عليهم انت بمن معك ، وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد . فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة ، فاستقبلوهم بالنبل كانه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم . وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما : كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون في الرجوع منهزمين لا يلوي احد على أحد .

وفي رواية : فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة ، وذلك في غبش الصبح ، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية ، وكانت مع النبي ﷺ وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل : إن الطلقاء وهم أهل مكة . قال بعضهم لبعض : أي قال من كان منهم إسلامه مدخولاً خذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم ، وتبعهم الناس وسأل رجل البراء ابن عازب رضي الله عنهما فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال البراء : ولكن رسول الله ﷺ لم يفر ، وذلك ان رسول الله ﷺ انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه ﷺ ، وأسامة بن زيد وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، وأيمن ابن أم أيمن وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وأيمن هذا استشهد يومئذ ، واختلف في عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل : مائة ، وقيل ثمانون ، وقيل اثنا عشر ، وقيل عشرة ، وقيل ثلثمائة ، ولا مخالفة لإمكان الجمع باختلاف اللحظات ، فكانوا تارة قليلاً وتارة كثيراً وتارة يجتمعون

معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله ﷺ على بغلته لم يمض قدماً ، وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ آخذاً بلجام بغلته يكفها أن تتقدم في نحر العدو . وجاء في رواية : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان آخذاً باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة ، وكان ابو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبي ﷺ ورضي عنه آخذاً بركابه ﷺ . قال رضي الله عنه : لما لقينا العدوّ بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتاً ، والله يعلم اني أريد الموت دونه ﷺ ، وهو ينظر إليّ . فقال له العباس رضي الله عنه : يا رسول الله ، أخوك وابن عمك ابو سفيان فارض عنه . فقال ﷺ : غفر الله له كل عداوة عادانيها . قال : ثم التفت اليّ وقال : يا أخي ، فقبّلت رجله في الركاب . وقال ﷺ فيه : ابو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة . وفي رواية : سيد فتيان أهل الجنة . وكان النبي ﷺ يركض ناحية هوازن ويقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، وأخذ كفاً من تراب فرماه في وجوههم وقال : شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ الله عينيه من تلك القبضة .

وجاء في بعض الروايات : انه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضي الله عنه قريباً منه قال : فقلت ارتفع رفعك الله . فقال : ناولني كفاً من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت تراباً . وقيل : إنه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده .

وفي رواية : قال للعباس ، ناولني من الحصباء ، فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها ليمسّ الأرض فتناول من البطحاء فحنا في وجوههم وقال : شاهت الوجوه حم لا ينصرون . وعن مالك بن أوس قال : حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون : لقد رمى رسول الله ﷺ تلك الرمية من الحصى فما منا أحد الا شكى القذى في عينيه ، ولقد كنا نجد في صدورنا خفقاً كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان . وعن يزيد بن عامر السوائي ، وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول : إنا كنا نجد في اجوافنا مثل هذا . وعن ابي عبد الرحمن الفهري قال : حدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا : لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه

وفمه تراباً ، وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست وهذا الرمي وقع في هذه الغزوة ، وفي عزوة بدر . وفي ذلك قال الله تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

ورمـــى بالحصى فأقصـــد جيشا ما العصـــا عنـــده ومـــا الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان ، فقالوا لنا : شاهت الوجـوه ارجعـوا . قال : فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، ولما رأى رسول الله ﷺ ما رأى من الهزيمة صار يقول : إليّ أيها الناس إليّ . قال الراوي للحديث : فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه : اصرخ يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمرة ، يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان . وفي رواية : اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، ويا للانصار الذين آووا رسـول الله ﷺ ، وكان العباس رضي الله عنـه رفيع الصوت ، حتى جاء أنه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال . وفي رواية : قال له : نادِ يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، يا أصحاب سورة البقرة .

وفي لفظ : نادِ يا انصار الله وانصار رسوله يا بني الخزرج ، ولا تنافي بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبي صلى الله عليه وسلم له وتـكرر ندائـه ، وإنـه نادى بكل تلك الألفاظ . وفي رواية : إنه ﷺ نادى بنفسه ايضاً بعد نداء العباس فالتفتت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار ، فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر ، نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : يا معشر الأنصار فقالوا : لبيك يا رسـول الله أبشر نحـن معـك . وفي رواية : فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله ، وصار الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أي لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ، ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله ﷺ . قال بعض الرواة : ما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله ﷺ ، إلا عطفة الإبل . وفي رواية لفظ : عطفة البقر على أولادها . وفي رواية : قبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على اولادها .

وفي رواية : فجاء المهاجرون والأنصار بسيوفهم في أيمانهم كأنها الشهب فأمرهم النبيﷺ أن يصدقوا الحملة ، فاقتتلوا مع الكفار قتالاً شديداً ، فنظر الى قتالهم فقال : الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه ، يضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حر التنور . وهذا من فصيح الكلام ، ولم يسمع من أحد قبل النبيﷺ . فولى المشركون الأدبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم ، وكان في ركوبه ﷺ البغلة في هذا الموطن الذي هو موطن الحرب والطعن والضرب ، تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة وإلا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والأمن ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل ، لأن الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والإبل ، فبين عليه الصلاة والسلام أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلاً عليه . وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم انه ﷺ ما انهزم مع من انهزم ، بل صار يقدم في وجه العدوّ ، بل ما انهزم في موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك .

قال القاضي عياض : من قال انه انهزم يستتاب ، فان تاب وإلا قتل . ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى حدّث بعض من هوازن بعد إسلامه قال : ما خيل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا ، وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل ستة عشر ألفاً فقيل : إنهم قاتلوا ، وقيل لم يقاتلوا ، وإنما نزلوا لإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة . وجاء انّ النبيﷺ رفع يديه ودعا وقال : اللهم أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي ان يظهروا علينا ، اللهم كنت وتكون وانت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم ، وأنت حي قيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، يا حي يا قيوم ، اللهم إن تشأ أن لا تعبد بعد اليوم ، اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان ، فقال له جبريل عليه السلام : لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر كأن البحر أمامه وفرعون خلفه .

وكان في يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ، إن أدرك من أمامه طعنه برمحه ، وإن فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك إذا أهوى اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار يريدانه ، فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه ، واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجد والأساري

مكتوفين عند رسول الله ﷺ ، ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من اهل مكة لما في نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل ان يتمكن الإسلام في قلوبهم وقالوا : لا تنتهي هذه الهزيمة دون البحر ، وقالوا : غلبت والله هوازن ، ولم يرض صفوان ابن أمية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل : ذلك بفيك الكثكث أي الحجارة والتراب . وقال هشام بن كلدة وكان اخا لصفوان لأمة : بطل سحر محمد فقال له صفوان : اسكت فضّ الله فاك ، فوالله لأن يربني رجل من قريش احب إلي من ان يربني رجل من هوازن . ومر رجل على صفوان فقال له : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال : أتبشرني بظهور الأعراب ؟ فوالله لرب من قريش لمي مالك يدبر أمري أحب إلي من رجل من الأعراب . وقال عكرمة بن أبي جهل لمن قال لا يجبرونها ابداً : ليس هذا لك ولا بيدك ، الأمر بيد الله ليس إلى محمد منه شيء ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غداً ، ووصلت الهزيمة إلى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الإسلام في قلوبهم واظهروا الشماتة . وقال قائل منهم : ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغيروا عما هم عليه، حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبيﷺ وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم .

وعن قتادة قال : مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة ، فسرّ بذلك قوم من أهلها واظهروا الشماتة . وقال قائلهم : ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه . فقال عتاب بن أسيد رضي الله عنه : إن قتل محمد فان دين الله قائم ، والذي يعبده محمد حي لا يموت . فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصرهﷺ ، فسر عتاب ومعاذ وكَبت الله من كان يسره خلاف ذلك . ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا في قتالهم هوازن الى قتل الذرية ، فنهاهم رسول الله ﷺ عن قتل الذرية وقالﷺ : من قتل قتيلاً فله سلبه .

روي ان أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه قتل وحده عشرين قتيلاً وأخذ أسلابهم ، وأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله ، وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟ فقال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : ربيعة بن رفيع السلمي ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً . فقال له دريد يسخر به : بئس ما سلحتك أمك ، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل

ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت أضرب الرجال ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله ، فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له : أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا ؟ فقال : ما كنت لاتكرم عن رضا الله ورسوله . وقيل : القاتل لدريد الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة زيد بن سهل والأنصاري رضي الله عنه ، وكانت رضي الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر ، وكانت حاملاً بابنها عبد الله بن أبي طلحة فقال لها زوجها : ما هذا الخنجر الذي معك يا أم سليم ؟ قالت : ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به : فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم ؟ فاعاد عليه القول ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك . وقالت أم سليم رضي الله عنها للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد كفى وأحسن أي وقد غفر الله لهم كما قال تعالى : ﴿ وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ وجرح خالد بن الوليد رضي الله عنه جراحات أثقلت به . وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : رأيت النبي ﷺ بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول : من يدلني على رحل خالد بن الوليد ؟ حتى دل عليه فوجده قد اسند إلى مؤخرة الرحل لأنه أثقل بالجراحة ، فنفل ﷺ في جراحاته فبرأ لوقته .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيئاً أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك أنه الملائكة ولم تكن إلا هزيمة القوم . وعن جمع من هوازن قالوا : لقد رأينا يوم حنين رجالاً بيضاً على خيل بلق عليهم عمائم صفر ، قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض كتائب لا تستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم ، وكان جملة من قتل من المسلمين في هذه الوقعة أربعة فقط ، وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين ، قيل : وفي الانهزام أكثر من ثلثمائة ، وأسر منهم خلق كثير ، ومن النساء ستة آلاف نفس ، وغنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ، ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول

الله ﷺ .

وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال : أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي ﷺ بيده عن وجهي وصدري إلى ترقوتي ، ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ، ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس ، فأرسل اليهم ﷺ أبا عامر الأشعري رضي الله عنه كما يأتي على الأثر والله اعلم

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه)

وهو عم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس . بعث ﷺ أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي ﷺ ، منهم سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه فالتقوا باوطاس ، وهو وادٍ في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق : فرقة منهم لحقت بالطائف ، وفرقة بنخلة ، وفرقة بأوطاس ، فانتهى اليهم أبو عامر فاذا هم مجتمعون ، فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الإسلام فلم يجب . ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال : اللهم اشهد عليه فقال : اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظناً منه أنه أسلم ، فأفلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان ﷺ إذا رآه قال : هذا شريد أبي عامر . ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله أخوان ، وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم .

وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله ، وقيل : إن الذي قتله عاشر الإخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ، ثم خلف أبا عامر ابو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمر له . فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ، ودعا النبي ﷺ لأبي عامر وقال : اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة . وفي رواية : وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً

(ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه الى ذي الكفين)

وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي . وذلك انه لما أراد ﷺ السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف ، بعث الطفيل لإحراق ذلك الصنم وان يوافيه الطائف ، فخرج سريعاً فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعاً لأنه كان مطاعاً في قومه ، فوافوا النبي ﷺ بعد مقدمه من الطائف بأربعة أيام .

غزوة الطائف

وذلك انه ﷺ حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة ، سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته في الف من أصحابه ، وكانت ثقيف لما انهزموا ادخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم ، بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال ، وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه . ومرّ ﷺ في طريقه بحصن لمالك بن عوف فأمر به فهدم ، ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبي ﷺ . إما أن تخرج وإما أن نحرق عليك حائطك ؟ فأبى أن يخرج منه فأمر رسول الله ﷺ بإحراقه ، ولما وصل خالد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريباً من الحصن وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات ، وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً منهم عبد الله بن أبي امية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها واصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ وعينه في يده فقال : يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله : فقال النبي ﷺ : إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فعين في الجنة . قال : في الجنة . ورمى بها من يده ، وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدّم الكلام على ذلك .

ولما وصل ﷺ الطائف نزل قريباً من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق ، وهو أول منجنيق رمى به في الإسلام وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، بل قيل : انه صنعه بيده . وأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ينادي أهل الحصن ويقول : من يبارز ؟ فلم يطلع اليه أحد ، وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فانّ به من الطعام ما يكفينا سنين ، فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا إليك

بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبي ﷺ تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدارِ الحصن ليخرقوه ، ففطن لهم ثقيف فأرسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً والدبابة ـ بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث ـ هي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار ليقبوها ، وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً فسألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال ﷺ : فإني أدعها لله وللرحم ، ونادى منادي رسول الله ﷺ : أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر ، فخرج منهم بضعة عشر ، وقيل ثلاثة وعشرون رجلاً ، ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له : أبو بكرة وكان عبداً للحرث بن كلدة فأعتقهم رسول الله ﷺ ، ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله ﷺ في أن يأتي ثقيفاً في حصنهم ليدعوهم الى الإسلام .

فأذن له في ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم : تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن أذلّ من العبيد ، ولا تعطوا بايديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر . ثم رجع الى رسول الله ﷺ فقال له : ما قلت لهم يا عيينة ؟ قال : أمرتهم بالإسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : كذبت إنما قلت لهم كذا ، وقصّ عليه القصة . فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب الى الله وإلَيك من ذلك . وكان جملة من قتل من المسلمين اثني عشر ، منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه أخو أم سلمة رضي الله عنها ، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف . قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها : قلت له : يا رسول الله ، ما يمنعك أن تنهض إلى أهل الطائف ، قال : لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم ، وما أظن أن نفتحها الآن . فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت إنك قلته لها ؟ قال : قلته . قال : أو ما أذن الله فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا واستشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال له ثعلب في حجر إن أقمت أخذته وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحق : وبلغني انه ﷺ قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : إني رأيت

أني أهديت لي قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقالﷺ : وأنا لا أرى ذلك ، وكان الحكمة في انه لم يؤذن له في فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلاً ، فأخر الله أمرهم حتى جاؤوا طائعين مسلمين ـ كما سيأتي ذكره في الوفود ـ إن شاء الله . ثم أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن في الناس بالرحيل ، فضجّ الناس من ذلك وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات ، فقالﷺ : إنا قافلون إن شاء الله ، فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك تعجباً من سرعة تغير رأيهم ، لانهم رأوا ان رأيه ﷺ أبرك وأنفع من رأيهم ، فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله ﷺ : قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما ارتحلوا قال : قولوا : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون . وقيل له : يا رسول الله ، ادع على ثقيف أهل الطائف . فقال : اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين . ورحم الله الابوصيري حيث يقول :

جهلت قومه عليه فأغضى ... وأخو الحلم دأبه الأغضاء

وسع العالمين علماً وحلماً ... فهو بحر لم تعيه الأعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذي كتبه لهﷺ عند الهجرة بين اصبعيه وينادي : أنا سراقة وهذا كتابي . فقالﷺ : هذا يوم وفاء ومودة أدنوه فادنوه منه فأسلم رضي الله عنه ، وسأل النبيﷺ عن الضالة من الإبل ترد حوضه الذي ملأه لإبله هل له في ذلك أجر ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم في كل ذات كبد حري أجر . ولما وصلﷺ الجعرانة أمر باحصاء السبي فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والأسرى ، ومن الإبل أربعة وعشرين ألفاً ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألفاً ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الأمتعة . وكانﷺ قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبي ـ كما سيأتي ـ وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصري فقالوا : هو مع ثقيف بالطائف . فقال : اخبروه انه إن أتاني مسلماً رددت عليه اهله وماله وأعطيته مائة من الإبل ، فلما أخبروا مالكاً بذلك ركب مستخفياً فأدرك النبيﷺ

بالجعرانة ، وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل كما وعدﷺ ، وأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه ، وقال حين أسلم يمدح النبيﷺ :

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا احتدى ومتى تشا يخبرك عما في غد
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباة جاذر في مرصد

واستعمله النبيﷺ على من اسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا ، وشهد فتح القادسية وفتح دمشق في خلافة عمر رضي الله عنه . ولما جاء وفد هوازن الى النبيﷺ بعد أن قسم الغنائم سألوه ان يرد عليهم سبيهم واموالهم فقالﷺ : معي من ترون يعني من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون ، وقد قسمت فاختاروا إما السبي وإما المال فاختاروا السبي ، فكلم رسول اللهﷺ المسلمين في رد سبيهم عليهم فردوه كلهم ، الا عيينة بن حصن ، فانه أبى ان يرد عجوزاً كبيرة . وقال : هذه أم الحي لعلهم ان يغلوا فداءها ، ثم ردها بست قلائص ـ كما سيأتي ـ وكانت في السبي اختهﷺ من الرضاع وهي الشيماء قيل : وامه حليمة رضي الله عنها ، ولما قالت له الشيماء : أنا أختك يا رسول الله . قال : وما علامة ذلك ؟ فأخبرته بغضة كان عضها إياها حين كان مسترضعاً عندهم وأرته إياها فعرفها وتذكر ذلك ، فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضي الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء . لما ان عرفها : سلي تعطي واشفعي تشفعي . وقيل : ان قومها قالوا لها : ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته في قومك لرجونا أن يحابينا . فأتته فقالت : أتعرفني ؟ قال : من أنت ؟ قالت : أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك أني حملتك فعضضت كتفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبهم لها ، فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها ، وخيرهاﷺ فقال : إن أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعي الى قومك ؟ قالت : بل تمتعني وأرجع الى قومي ، فأعطاها نعماً وشاءً وغلاماً يقال له مكحول وجارية ، وقيل : أعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعماً وشاء . وقيل : القادم عليه أمه . وقيل : هما معاً جمعا بين الروايات .

وجاءه أبو صرد ويكنى بأبي برقان ، وكان عمالهﷺ من الرضاع ، فقال : يا رسول

الله . أنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، وأنّ فيمن أصبتم الامهات والأخوات والعمات والخالات ، ونرغب إلى الله واليك يا رسول الله . وقال زهير بن صرد : يا رسول الله . ان ما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك أي لأن مرضعته حليمة رضي الله عنها كانت من هوازن ، لو أرضعنا للحرث بن أبي شمر ملك الشام ، أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ، ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين . ثم أنشده أبياتاً يستعطفه بها منها قوله :

امنن علينا رسول الله في كرم   فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها   اذ فوك يملؤه من مخضها الدرر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه   هذي البرية ان تعفوا وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه   من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال ﷺ : ان أحسن الحديث اصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم ؟ فاختاروا إحدى الطائفتين أما السبي وإما المال . وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون لأنه ـ كما تقدّم ـ انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة . وفي رواية ، قال لهم : قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الأمرين أحب اليكم السبي أم الأموال ؟ وفي رواية قال لهم : أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم . ثم قال لهم : إذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله ﷺ الى المسلمين ، وبالمسلمين الى رسول الله ﷺ في ابنائنا ونسائنا ، واظهروا إسلامكم وقولوا : نحن إخوانكم في الدين ، فسأسأل لكم الناس . فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر قاموا فتكلموا بالذي امرهم به فقال رسول الله ﷺ بعد ان أثنى على الله بما هو أهله : اما بعد ، فان إخوانكم هؤلاء جاؤونا تائبين . واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن احب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أوّل ما يفيء الله فليفعل . وفي رواية قال : وأما من تمسك منكم بحقه من السبي فله بكل إنسان ست قلائص . وفي رواية : فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ في الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبي نصيبه . وفي رواية : فمن أحب أن يعطي غير مكره فليفعل ، ومن كره أن يعطى وأراد اخذ الفداء فعلي فداؤهم . ثم قال : أماما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرع بن حابس : اما انا

وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن الفزاري : اما انا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس السلمي : اما انا وبنو سليم فلا . فقال بنـو سليم : بلى ، ما كان لنـا فهـو لله ولرسوله ﷺ . فقال لهم العباس . وهنتموني أي اضعفتموني حيث صيرتموني منفـرداً .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ : هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرّتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ، ومن أبـى فليرد ، ذلك قرضاً علينا بكل إنسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا . قالـوا : رضينا وسلمنا . فردوا عليهم نساءهم وابناءهم .

وفي رواية : إنه ﷺ قال : إنا لا ندري لعل فيكم من لم يرض فمـروا عرفـاءكم فليرفعوا الينا ، فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضـوا ، وكان ﷺ عنـد تفـريق السبـي على المسلمين قد أمر منادياً ينادي : أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة ، وقد أشار صاحب الهمزية الى عفوه ﷺ عن هوازن ومنّه عليهم بقوله :

من فضــلا على هوازن إذ كا ن له قبــل ذاك فيه رياء
فحبــا ها برا توهمــت النا س به إنمــا السبــاء هداء
فغــدت فيه وهــي سيدة النســ ـوة والسيدات فيه إماء
وأتــى السبــي فيه أخــت رضاع وضــع الكفــر قدرهــا والسباء
بســط المصطفــى لهــا من رداء أي فضــل حواه ذاك الرداء

والصحيح انه ﷺ ردّ عليهم جميع السبـي ولـم يتخلف منـه أحـد إلا عجـوز من عجائزهم ، كانت عند عيينة بن حصن كما تقدّم فأبى ان يردّها ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب أن لها في الحي نسباً وعسى ان يعظم فداؤها ، فمرَّ عليه ولدها وهو زهير بن صرد فسامها منه وأعطاه مائة من الإبل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ، ثم مر عليه معرضاً فقال له عيينة : خذها بالمائة فأبى وقال : لا أدفـع إلا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ، ثم مر معرضاً فقال : خذها بالخمسين فقال : لا أدفع إلا خمسة وعشرين ، فأبى عيينة فغاب عنه ، ثم مر عليه معرضـاً فقـال : خذهـا بالخمسـة والعشرين . فقال : لا آخذها إلا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ، ثم معرضاً فقال : خذها بالعشرة . فقال : لا آخذها إلا بستة والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوهـا ببارد ، ولا صاحبها بواجدعند قوتها أي حزين ولا درّها بناكد ، أي غزير فقال له عيينة :

خذها لا بارك الله لك فيها ، وذلك بسبب دعائه ﷺ ، فانه دعا على من أبى أن يردّ من السبي شيئاً أن يبخص أي يكسد ثمنه . ولما أخذها ولدها قال لعيينة : إن رسول الله ﷺ كما السبي قبطية . فقال : لا والله ، ما ذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوباً ، والقبطية ـ بضم القاف ـ ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط ، روي ان رسول الله ﷺ أمر رجلاً ان يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً فلا يخرج الحر منهم إلا كاسياً ، وأمر رسول الله ﷺ بحبس اهل مالك بن عوف النصري عند عمته عاتكة ام عبد الله بن ابي امية المخزومي ، حتى جاء مالك فسلم اليه أهله ، وكان الوفد كلموه ﷺ في ذلك فقال : إنما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجري السهمان في مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الإبل كما تقدم .

(ذكر قسمة الغنائم)

لما رجع ﷺ إلى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم ، وهم ناس من قريش اسلموا يوم الفتح إسلاماً ضعيفاً ، وأراد ﷺ أن يتمكن الإيمان في قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم ، كصفوان بن أمية ، ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء ابو سفيان الى النبي ﷺ : لما رأى كثرة المال قال : يا محمد ، اصبحت أكثر قريش ، فتبسم ﷺ ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال : يا رسول الله ، ابني يزيد وكان يقال له يزيد الخير ، وكان أكبر من معاوية ، فأعطى ﷺ لابنه يزيد مائة من الإبل وأربعين اوقية من فضة فقال : يا رسول الله ، ابني معاوية فأعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية من فضة فأخذ ابو سفيان وابناه ثلثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة . فقال ابو سفيان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأنت كريم في الحرب وكريم في السلم ، لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، وسالمتك فنعم المسالم كنت ، هذا غاية الكرم جزاك الله خيراً وجاء حكيم بن جزام فسأل النبي ﷺ فأعطاه مائة من الابل ، ثم سأل النبي ﷺ فأعطاه مائة ، ثم سأله فأعطاه مائة ، ثم قال له : يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه . وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى ، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها . وقال : يا رسول الله : والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى افارق الدنيا .

فكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء ، فيأبى ان يقبل منه شيئاً ،

ثم كان عمر رضي الله عنه في زمن خلافته يدعوه ليعطيه ، فيأبى ان يقبل ، فكان عمر رضي الله عنه يقول : يا معشر المسلمين ، إني أعرض على حكيم حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى ان يقبله رضي الله عنه ، والذين أعطاهم النبيﷺ مائة مائة من الإبل كثير ، منهم ابو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن جزام والاخنس بن شريق وجبير ابن مطعم والجد بن قيس السهمي والحرث بن الحرث ، والحرث بن هشام اخو أبي جهل ، وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد ابن أسيد وخلف بن هشام وزهير ابن أبي أسيد وزيد الخيل والسائب ابن أبي السائب وصيفي بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبي وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفي وسفيان بن عبد الاسد المخزومي وصفوان بن أمية . وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبيﷺ مائة ثم مائة ثم مائة ثم وادياً مملوءً إبلاً وغنما فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضي الله عنه . وتقدمت قصته عند ذكره فيمن أهدر دمهمﷺ ، وممن أعطاه النبيﷺ مائة الأقرع بن حابس التميمي وعيينة ابن حصن الفزاري ، وأعطى العباس بن مرداس السلمي دون المائة ، وكان مثلهما رئيساً على قومه كما أنهما رئيسان على قومهما ، فقال يخاطب النبيﷺ :

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وقد كنت في الحرب ذا تدرؤ فلم اعط شيئاً ولم أمنع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبيﷺ : اقطعوا عني لسانه وأعطوه مثل اصحابه . وفي رواية : يا ابا بكر اقطع عني لسانه وأعطه مائة من الإبل ، فأعطي تمام المائة ، والعبيد اسم فرسه ، وأعطىﷺ جماعة من المؤلفة خمسين من الإبل منهم : عثمان بن وهب المخزومي وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدي بن قيس السهمي وعمرو بن مرداس السلمي اخو العباس بن مرداس ، ومخرمة بن نوفل الزهري وهشام بن عمرو العامري وسعيد بن يربوع وذكر بعضهم : ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوي وابا سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبيﷺ ، وعكرمة ابن عامر العبدري وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الأهتم والعلاء بن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك ابن

عوف رئيس هوازن ومطيع ابن الأسود القريشي والنضير بن الحرث ـ بالتصغير ـ اخو النضر المقتول ببدر ، ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي . وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن اعطاه مائة ، وقيل : انه لم يكن حاضراً وهو الصحيح لأنه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بأمان من النبيﷺ ، فرجع كما تقدم ثم قسم النبيﷺ بقية الغنائم على بقية الأعراب .

قال أهل المغازي : أمرﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من أعظم كتابهﷺ بإحضار الناس والغنائم ، ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الإبل وأربعتين شاة ، فان كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل ومائة وعشرين شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الأنصار ولا كبار المهاجرين شيئاً . فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله تعالى : فأخبرﷺ بذلك فغضب وقال : إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما : ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله ، فقال : دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس اني أقتل أصحابي ، فعامل النبيﷺ ذلك الرجل بظاهر حالة تألفاً للناس ليدخلو في الإسلام . وقال ناس من الأنصار : ليسوا منافقين يغفر الله لرسول اللهﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، والله إن هذا العجب إذا كانت شدة فنحن ندعي لها ، وتعطى الغنائم لغيرنا وددنا أن نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وإن كان من النبيﷺ استعتبناه ، فبلغ الخبر النبيﷺ فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ، فلما اجتمعوا قامﷺ فقال : ما حديث بلغني عنكم ؟ فقال فقهاء الأنصار : أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسولهﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقالﷺ إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وإني أردت أن أخبرهم أو أجبرهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالأموال وفي رواية : بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم ، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا .

وفي رواية : فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الانصار فبكى القوم حتى أخضلّت لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً

وحظاً ، وفي رواية : انه خطبهم فقال : يا معشر الأنصار ، لم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وكنتم عالة فأغناكم الله بي ، وكلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله امنّ . قال : ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله ؟ لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم ، اتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فواسيناك ، وخائفاً فأمناك . قالوا : بل لمن علينا الله ورسوله ﷺ ، وإنما قال ذلك ﷺ تواضعاً وإنصافاً وإظهاراً لشرف قدرهم والافالجة البالغة والمنة الظاهرة . في جميع ذلك له عليهم ، فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه ، لما بقي فيه من طمع البشر من حب المال ، فكان ذلك سبباً لاجتماع قلوبهم على محبته ﷺ ، لأن القلوب جبلت على حب من احسن اليها ، وإنما لم يعط ﷺ أكابر المهاجرين والأنصار مع استحقاقهم جميعاً لرسوخ الإيمان في قلوبهم ، فوكلهم الى قوة إيمانهم فكان في قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم ، فيكون سبباً لإسلامهم ولتقوية قلب من دخل في الإسلام منهم فيتبعهم من دونهم ، فكان فيه مصلحة عظيمة . ولذا لم يقسم من أموال مكة عند فتحها شيء مع احتياج الجيوش الى المال الذي يعينهم على ما هم عليه ، ولما قيل له ﷺ : أعطيت عيينة والأقرع وتركت جعيل بن سراقة قال : أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ، ولكني أتألفهما ليسلما أي يقوي إسلامهما ، ووكلت جعيل بن سراقة لإسلامه واني لأعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه . وفي رواية : إني لأعطي أقواماً أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب ، قال عمرو : فوالله ما أحب ان لي بها حمر النعم . وقد جاءت أحاديث كثيرة في مدح الأنصار رضي الله عنهم ، والدعاء لهم ولأبنائهم وابناء ابنائهم وقال حسان رضي الله عنه في مدحهم :

سماهم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعد إن الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترضوا ... للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفي البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه : بينما انا مع النبي ﷺ مقفلة من

حنين إذ علقت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون : يا رسول الله ، أقسم علينا فيأنا حتى اضطروه اي ألجؤه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف ﷺ فقال : أعطوني ردائي فلو كان عندي عدد هذه العضاة نعماً . وفي رواية : لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجيدوني بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً أي إذا جربتموني لا تجدوني ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن . ثم قام ﷺ الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس : والله مالي من فيئكم أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم أي لأن أكثره كان يصرفه ﷺ في مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر ﷺ من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذي القعدة ، وقيل لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلة الأربعاء ، وقيل ليلة الخميس ، ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتاً بها ، والجعرانة بالتخفيف أفصح من التشديد ، وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً سمي باسم امرأة تلقب بالجعرانة ، وكانت مدة إقامته بها ثلاث عشرة ليلة .

وجاء في الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبياً ثم توجه ﷺ الى المدينة ، واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أي تركه باقياً على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما ، يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين ، وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة ، وقيل لست بقين منه . قال الحافظ بن حجران : ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوماً .

قال كثير من أهل المغازي ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأتا جمرة العرب وأنفدتا سهامهم ، وأذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله ، وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم ، وأنجز الله بها الوعد لرسول الله ﷺ فانه وعده إذا فتح مكة أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً وتدين له العرب بأسرها . فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام ، وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه ﷺ ليظهر الله امره وإعزازه لرسوله ﷺ ونصره لدينه ، ولتكون غنائمهم جبراناً لأهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلي دينهم على سائر الأديان ، بقهر هذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها ، حتى لا يقاومهم بعدها أحد

من العرب ،

واقتضت حكمته سبحانه وتعالى : أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعُددهم وقوة شوكتهم ، ليخفض بذلك رؤوساء رفعت بالتفح لمكة والنصر على أهلها ، فابتلاهم الله بقصة حنين منعاً لهم عن الترفع وتنبيهاً على أن المطلوب منهم التواضع وإظهار الشكر ، كما فعلﷺ حين دخل مكة فانه دخل منحنياً على ناقته ، متواضعاً خاضعاً لربه ، وليبين سبحانه لمن قال : لن نغلب اليوم عن قلة إن النصر إنما هو من عند الله ، وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر نه ، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي تولى النصر لنبيهﷺ ، وهو الذي انزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها : وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الإنكسار كما قال تعالى : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواتهﷺ ولهذا يجمع بينهما في الذكر : فيقال : بدر وحنين ، وفي لبسهﷺ الدرع والبيضة والمغفر دليل على أن من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدراً وشرعاً فانهﷺ اكمل الخلق توكلاً وقوة يقين ، وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ، ولبس يوم حنين درعين ، وقد أنزل الله عليه : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ومن تمام العبودية استعمال الأسباب في مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ، ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الأسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر ، وشقي وسعيد ، فلو كانت جميع الأشياء تجري على خرق العادة لما بقي كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الإسلام بظهور الخوارق ، ولو بقيت الأشياء كلها على ظواهرها من ربطها بأسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للإسلام ، وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الأسباب فأظهر الله بعض الأشياء على وفق العادة وخرق في بعضها العادة . ثم انه كشف ذلك لأناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

وفي صبرهﷺ على جفاء الأعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليهﷺ من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر ، وغير ذلك من صفاته الحميدةﷺ ، والله سبحانه وتعالى أعلم :

بعث قيس بن سعد الى صداء

بعثﷺ قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنهما إلى ناحية اليمن ، بعد انصرافه من الجعرانة في أربعمائة فارس ، وامره ان يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد ، وفتح الدال والمدوهم حي من اليمن ، فقدم زياد بن الحرث الصدائي فسأل عن ذلك البعث فأخبرته فقال : يا رسول الله : أنا وافدهم إليك فأردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومي وطاعتهم . فقال : اذهب اليهم فردهم . فقال : ان راحلتي قد كلّت ، فبعثﷺ اليهم خلفهم فردهم ، ورجع الصدائي الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا .

البعث الى بني تميم

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم . وسببها أنهﷺ بعث بشر بن سفيان العدوي الكلبي الى بني كعب من خزاعة ، لأخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم ، وقد استكثروا ذلك : لم تعطوهم اموالكم ؟ فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشراً من أخذ الصدقة . فقال لهم بنو كعب : نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة . فقال بنو تميم : والله لا ندع بعيراً واحداً يخرج ، فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبيﷺ بذلك ، فعند ذلك بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فهجم عليهم وأخذ منهم احد عشرة رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً فجاء بهم المدينة ، فأمر بهمﷺ فحبسوا في دار رملة بنت الحرث .

فجاء في أثرهم جماعة من رؤوسائهم منهم : عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر والأقرع بن حابس وقيس ابن الحرث ونعيم بن سعدو عمرو ابن الأهيم ورباح بن الحرث ، فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤوا الى باب النبيﷺ ، بعد أن دخلوا المسجد ووحدوا بلالاً يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ ، فاستبطؤه فجاؤوا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف : اخرج الينا نفاحرك ونشاعرك : فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد ، اخرج الينا ، فخرج رسول اللهﷺ وقد تأذى من صياحهم ، وفيهم أنزل الله : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾ وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه فوقف معهم فقالوا له : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك ، فقال لهم النبي ﷺ : ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا . ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد ثم قالوا : إن مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال رسول الله ﷺ : كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ، ثم قالوا : فأْذن لخطيبنا وشاعرنا . قال : أذنت فليقم . وفي رواية : إني لم أبعث بالشعر ولم أؤمر بالفخر ولكن هاتوا ، فقدموا عطارد بن حاجب وفي رواية : قال الأقرع بن حابس لشاب منهم : قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك . فتكلم وخطب فقال : الحمد الله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق عدداً فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤوس الناس وأولى فضلهم ، فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وإنا لو شئنا أكثرنا ، وإنما أقول هذا لأن يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس .

وفي رواية : انه قال : الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء ، فنحن خير أهل الأرض أكثرهم عدداً وأكثرهم سلاحاً ، فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هي أفضل من فعالنا ، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له : قم فأجب الرجل في خطبته ، فقام ثابت رضي الله عنه فقال :

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط ، الا من فضله ، ثم ان من فضله أن جعلنا ملوكاً اصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم قلباً وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس الى الإيمان فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحساباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس مقالاً ثم كان اول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله ﷺ نحن فنحن أنصار الله ورسوله ؟ نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيراً ، أقول هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم . وفي رواية : انه قال : الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهدُ ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، دعا المهاجرين من

بني عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظم الناس اخلاقاً ، فأجابوه والحمد لله للذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزاً لدينه ، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ، ومن أباها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هيناً . اقول قولي واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات . ثم قال الزبرقان لرجل منهم : قم يا فلان قل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك ، فقام فقال أبياتاً منها :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا نحن الرؤوس وفينا يقسم الربع
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله ﷺ : علي بحسان بن ثابت رضي الله عنه فحضر فقال له : قم فأجبه ، فقال : يسمعني ما قال : فاسمعه فقال حسان رضي الله عنه أبياتاً منها :

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم عاتٍ من بعيد وحاضر
واحياؤنا من خير من وطىء الحصا وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضي الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله ﷺ افتقده رسول الله ﷺ يوماً فقال : من يعلم لي علمه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فذهب فوجده في منزله جالساً منكساً رأسه فقال له : ما شأنك ؟ فقال : أخشى أن أكون من أهل النار لأني رفعت صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ أي وقد انزل الله : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبطا أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ وكان ثابت بن قيس رضي الله عنه يرفع صوته لثقل في سمعه فكان يظن أن الناس لا يسمعونه إلا أن رفع صوته ، فرجع الرجل الى رسول الله ﷺ فأعلمه بما قال ثابت ، فقال : اذهب اليه فقل له : لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة . وقال ﷺ فيه : نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ، ولم يزل رضي الله عنه في عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه . وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ رآه في منامه يقول له : إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول حلم فتضيعها إني لما قتلت مربي رجل من المسلمين فأخذ

درعي ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة ، وفوق البرمة رحل فأت خالداً فمره فليأخذها فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له : إن علي من الدين كذا وكذا وأن فلاناً من رقيقي عتيق . فاستيقظ الرجل فأتى خالداً فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد أن وجدها على ما وصفه ، ثم لما قدم المدينة اخبر ابا بكر رضي الله عنه برؤياه ، فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ، ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه ، كل واحد منهما يذكر قصيدة فيها مفاخرة فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها :

إنا أبينا ولن يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس : إني والله يا محمد قلت شعراً فاسمعه فقال : هات فانشده :

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا ... إذا حالفونا عند ذكر المكارم
وإنا رؤوس الناس من كل معشر ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله ﷺ : قم يا حسان فأجبه ، فقال حسان رضي الله عنه :

بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله ﷺ للأقرع : لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم ، ان تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه ، فكان هذا القول من رسول الله ﷺ أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الأقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي ﷺ : اخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من

شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي ﷺ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : ما يضرك ما كان قبل هذا ؟ روي ان الأقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ يقبل الحسن ابن علي رضي الله عنهما فقال : يا رسول الله ، إن لي من الولد عشرة ما قبّلت واحداً منهم . فقال رسول الله ﷺ : من لا يَرْحم لا يُرْحم ، واسم الأقرع فراس ، وإنما لقب بالأقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر ، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام . ووقع ان عمرو بن الأهيم مدح الزبرقان للنبي ﷺ فقال : إنه لمطاع في انديته سيد في عشيرته . فقال الزبرقان : لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ، ولقد علم افضل مما قال . فقال عمرو : انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال .

وفي رواية : ان الزبرقان قال : يا رسول الله ، أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم وامنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهيم . فقال عمرو : انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في ادانيه . فقال الزبرقان : والله لقد كذب يا رسول الله وما يمنعه ان يتكلم إلا الحسد ، فقال عمرو : أنا أحسدك والله إنك لئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الوالد ، مبغض في القبر فعرف عمرو الإنكار في وجه رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، والله لقد صدقت في الأولى ، وما كذبت في الثانية ، رضيت فقلت : أحسن ما علمت وسخطت فقلت : اقبح ما علمت ، فعند ذلك قال النبي ﷺ : أن من البيان لسحراً ، ثم أنه ﷺ ردّ عليهم الأسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد أن أسلموا كلهم ، وأعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية من الفضة ، واختلف في عدد هذا الوفد فقيل : كانوا سبعين رجلاً وقيل : ثمانين ، وقيل تسعين . قال ابن عبد البر في الاستيعاب : أن القوم لما أسلموا بقوا في المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ، ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبي ﷺ أموالهم ونساءهم . وقال : أما بقي منكم أحد ؟ وكان عمرو بن الأهيم في ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناً له : لم يبق منا إلا غلام حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم ، وقيل : بل أعطاه خمس اواق فقط ، ولما بلغ عمرو بن الأهيم ما قاله قيس بن عاصم في حقه أنشد أبياتاً تتضمن لومه على ذلك ، وكان عمرو خطيباً بليغاً شاعراً ، يقال ان شعره كان حللاً منشورة ، وكان جميلاً يدعى الكحل لجماله ، وهو القائل :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى اعلم .

بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق

بعث النبي ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ الصدقات من بني المصطلق ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة ، وكان بينهم وبين الوليد عداوة في الجاهلية ، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد ، فلما سمعوا بدنوّ الوليد خرج منهم عشرون رجلاً بالإبل والغنم ، يؤدّونها عن زكاتهم فرحاً وتعظيماً لله ولرسوله ﷺ فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله لرؤية السلاح ، معهم مع أنهم انما خرجوا بالسلاح تجملاً ، فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه ، وأخبر النبي ﷺ مستنداً لظنه أنهم لقوه بالسلاح ، يحولون بينه وبين الصدقة . وفي رواية : أخبره أنهم ارتدوا فهمّ ﷺ أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم . وفي رواية : انه ﷺ بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية في عسكر معه ، وأمره أن يخفي عنهم قدومه ، فلما دنا منهم بعث عيوناً ليلاً فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون ، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة وخيراً ، فرجع اليه ﷺ فأخبره .

وفي رواية : بعث ﷺ اليهم بعثاً فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعي وكان رئيس القوم فقال : الى أين بعثتم ؟ قالوا اليك . قال : ولمَ ؟ قالوا : ان رسول الله ﷺ بعث الوليد فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله فقال : لا والذي بعث محمداً بالحق ، ما رأيته ولا أتاني . ثم قدم على النبي ﷺ ، فلما دخل عليه ﷺ قال له ﷺ : منعت الزكاة واردت قتل رسولي : قال : لا والذي بعثك بالحق ، وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبي ﷺ الخبر على وجهه ، فبعث ﷺ معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات اموالهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن ، والوليد بن عقبة ابن ابي معيط كان اخا لعثمان رضي الله عنه لأمه ، ولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ثم عزله ، ولما مات عثمان رضي الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع علي رضي الله عنه ولا غيره ، وأقام بالرقة الى أن توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه

سرية عبد الله بن عوسجة

رضي الله عنه الى بني عمرو بن حارثة وقيل : حارثة ابن عمر . وفي مستهل صفر وقبل ربيع الأول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الإسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا

بصحيفة النبي ﷺ فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهـم . فأخبـر ﷺ بذلك فدعـا عليهـم بذهاب العقل فقال : ما لهم ذهب الله بعقولهم ؟ فهم الى اليوم أهل رعدة اي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم ، وكلام مختلطلا يفهم . قال الواقدي : رأيت بعضهم ذاعي لا يحسن الكلام . .

سرية قطبة بن عامر

الخزرجي رضي الله عنه إلى خثعم قريباً من تربة ـ بضم الفوقية وفتح الراء ـ من اعمال مكة على يومين او أكثر ، وكانت في صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلاً وأمره أن يشنّ الغارة عليهم فجاؤوهم واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت الجرحى في الفريقين ، ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة ، والله أعلم .

سرية الضحاك بن سفيان

الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب في ربيع الأول سنة تسع بجيش ، فجاءهم ودعاهم الى الإسلام فأبوا ، فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم .

سرية علقمة بن مجزر

ـ بضم الميم وفتح الجيم ـ ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجي رضي الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريباً من جدة ، بعثـه في ثلثمائـة فانتهـى الى جزيرة في البحر ، فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيداً . ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش ، وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، فأمّره علقمة عليهم وكان فيه دعابة اي مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها . فقال لهم عبد الله بن حذافة : عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار . فلما همّ بعضهم بذلك قال : امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ لما قدموا فقال : من أمركم بمعصية فلا تطيعوه . وفي رواية : انهم لما اوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون : فررنا من النار أي فكيف نلقي أنفسنا فيها ؟ وفي رواية : انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقالوا : لو دخلوها ما خرجوا منها .

أي ان كانوا مستحلين الدخول . وجاء في بعض الروايات وصف الأمير المذكور بالأنصاري . قال الحافظ ابن حجر : يحتمل حمله على المعنى الأعم أي انه نصر النبيﷺ ، في الجملة فلا ينافي ان عبد الله ابن حذافة من المهاجرين . وفي رواية ان الذي أمّره عليهم النبيﷺ فيحتمل أنه أسند اليهﷺ في هذه الرواية لأن تأمير أميره كتأميرهﷺ ، وعبد الله ابن حذافة هذا رضي الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدراً ومات، بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه .

ومن مناقبه ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال : وجه عمر رضي الله عنه جيشاً الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم : تنصر وأشركك في ملكي ، فأبى فأمر به أن يصلب إن لم يتنصر ، فلما ذهبوا به بكى فقال : ردّوه فقال له : لم بكيت ؟ قال : تمنيت ان لي مائة نفس تلقي هذا في الله ، فعجب منه ثم قال له : قبل رأسي وأنا أخلي عنك . فقال : وعن جميع أسارى المسلمين قال : نعم . فقبَّل رأسه فخلى سبيلهم ، فقدم به على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبّل رأسه رضي الله عنهما .

سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لهدم صنم طيء بموضع يسمى الفلس ـ بضم الفاء وسكون اللام ـ بعثه ، ﷺ في ربيع الأول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار . وفي رواية : كانوا مائتي رجل فأغار على احياء من العرب وشنّ الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر ، وحرّق الصنم بعد هدمه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع ، وغنم سبياً ونعماً وشاء وفضة وقدم بذلك الى المدينة وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي وهي ـ بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث ـ فأسلمت وحسن إسلامها رضي الله عنها . ومنّ عليهاﷺ فدعت له فقالت : شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سبباً لردّها عليه . وكان المنّ عليها سبباً لإسلام أخيها عديّ بن حاتم رضي الله عنه . وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتدّ من العرب بعد وفاة النبيﷺ ، بل ثبت على الإسلام وكان يبعث بصدقات قومه إلى الصدّيق رضي الله عنه ، وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل : مائة وثمانين سنة .

وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق في قصة سبي اخت حاتم أصابت خيله ﷺ : ابنة حاتم في سبايا فجعلت في حظيرة في المسجد ، فمرّ بهاﷺ فقامت اليه وكانت جزلة فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فقال : ومن وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ فمضى حتى كان الغد قالت : مرّ بي فقلت له وقال لي مثل ذلك ، حتى كان بعد الغدر مر بي ويئست فأشار إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خلفه ، أن قومي اليه فكلميه فقمت فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن عليّ من الله عليك . قال : قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنين فقدم رهط من طيء قالت : فأخبرته ان لي فيهم ثقة وبلاغاً فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي فقال : ما ترين في هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فان يك نبياً فللسابق اليه فضيلة ، وان يكن ملكاً فلن تزال في عز اليمن وأنت أنت ، فقلت : والله هذا هو الرأي ، فقدم فأسلم ، والقصة طويلة .

وروى ابن المبارك في الزهد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه : ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا اشتاق اليها . وفي رواية : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء ، وكان جواداً . وقد روى الامام أحمد أن رجلاً سأله مائة درهم فقال: تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم ؟ والله لا أعطيك . وروى ابن سعد : ان الذي سبى أخت حاتم خالد بن الوليد ، وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالداً كان في جيش علي رضي الله عنهما وتوزع بان الجيش كله كان من الأنصار ويمكن أن يقال المراد أكثر الجيش من الأنصار فلا ينافي كون خالد معهم ، او يكون منهم نظر المعنى النصرة بالمعنى الأعمّ والله أعلم .

ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه

الى الجباب ـ بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف ـ أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة ـ وبلى ـ بفتح الباء وكسر اللام وشدة التحتية ـ وهما قبيلتان من قضاعة ، وقيل : ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك ، وكانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ما جرى والله أعلم .

غـزوة تـبُوك

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتـأنيث وجـوز بعضهـم صرفه على إرادة المكان ، وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة ، وبينه وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة ، وقيل اثنتا عشرة مرحلة . وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق ، وهي غزوة العسرة بمهملتين ، الأولى مضمومة بعدها سكون مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ وتعرف بالفاضحـة لافتضاح المنافقين فيها قالوا : لا تنفروا في الحر وقد فضحهم الله في آيات كثيرة في سورة التوبة كقوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ﴾ وكقوله تعـالى : ﴿ ولئـن سألتهـم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابـن حجر : وذكر البخاري لها بعد حجـة الـوداع من خط النسـاخ . قال بعضهـم : ولعـل البخاري تعمد تأخيرها للإشارة الى انها آخر مغازيهﷺ . وكان الوقت حين خروجهﷺ حراً شديداً وقحطاً كثيراً ، ولذلك لم يروّ عنها كعادته في سائر الغزوات .

وقد روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن ﷺ يريد غزوة ، الأوري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً وغزا عدوّاً كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذي يريد والتورية . ذكر لفظ : يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع إرادة القريب والمتكلم يريد البعيد .

وروى عبد الرزاق : أنهم خرجوا في قلة من الظهر مع كثرتهم وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء ، فسـميت غزوة العسرة أي الشـدة والضيق ، واختلف في سببها فقال بعضهم : سببها أنهﷺ بلغه من الإنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم ،

واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب ، وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه ﷺ ذلك ، ندب الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبو لذلك بما يحتاجونه في السفر والحرب .

وروى الطبراني ، من حديث عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما قال : كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ، ان هذا الرجل الذي يدّعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له قباذاً وجهز معه أربعين ألفاً ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ولم يكن للناس قوة في الذهاب لتلك الأرض لفقد الظهر والنفقة ، وكان عثمان رضي الله عنه قد جهز عيراً إلى الشام فلما سمع النبي ﷺ يحثّ على النفقة والحملان قال : يا رسول الله ، هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتا أوقية .

قال عمران رضي الله عنه : فسمعته ﷺ يقول : لا يضر عثمان ما عمل بعدها ، وهذا إشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة إنفاقه في سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنباً إن وقع ، ولا يلزم من الصلاحية وجوده ، وقد أظهر الله صدق رسوله ﷺ ، فانّ عثمان رضي الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا . وقيل : سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش : لتقطعنّ ع:ا المتاجر والأسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها ، فعوضهم الله بالأمر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ﴾ الى قوله : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ فعزم ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس اليه ، وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الإسلام ، ولما أراد ﷺ الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤوا بصدقات كثيرة ، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم : فقال ﷺ : هل أبقيت لأهلك شيئاً : قال : أبقيت لهم الله ورسوله . وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فسأله : هل أبقيت لهم شيئاً ؟ قال : نعم ، نصف مالي . وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي أوقية اليه ﷺ ، وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر ، وجهز عثمان رضي الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال : ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم . قال ابن إسحق : أنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم

ينفق أحد مثلها . وروي عن قتادة انه قال : حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً ، وروى الإمام أحمد والبيهقي عنن عبد الرحمن ابن سمرة رضي الله عنه قال : جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ﷺ ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم .

وجاء في رواية عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما : أنّ الذي جاء به عثمان رضي الله عنه عشرة آلاف دينار . قال بعضهم : يمكن أن الألف جاء بها والعشرة بعث بها . وجاء في هذه الرواية زيادة : ان الدنانير صبت بين يديه ﷺ فجعل ﷺ يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن الى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان بعدها ، ففيه بشارة عظيمة بأن الله غفر له الذنوب أي سترها عنه فمنعه منها ببركة دعائه له ، ونفقته في سبيل الله فليس يبالي بما عمل ، إذ لا يقع منه إلا الخير وفي بعض الروايات : قال ﷺ : اللهمّ ارضَ عن عثمان فاني عنه راضٍ .

وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال : خطب ﷺ فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان : علي مائة بعير باحلاسها وأقتابها ، ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان : علي مائة بعير أخرى باحلاسها واقتابها ، ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان : علي مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب . وقال : ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها ، وأرسل ﷺ إلى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم . وجاء البكاؤون يستحملونه أي يطلبون منه ما يركبون عليه فقال : ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم ابن عمير الأنصاري وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الأنصاري والعرباض ابن سارية السلمي وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصاري وعمرو بن عثمة الانصاري وعبد الله بن مغفل المزني وآخرون غيرهم ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون ﴾ ومنهم قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ففي البخاري عن ابي موسى رضي الله عنه : أنه أرسله أصحابه الى النبي ﷺ يسأله الحملان فقال : والله لا أحملكم . وفي رواية : وما عندي ما أحملكم عليه . فرجع حزيناً الى قومه . ثم جاء النبي ﷺ ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه إياها واستخلف ﷺ على

المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلفه أيضاً على أهله وعياله ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً ، فأخذ عليّ رضي الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال : يا بني الله زعم المنافقون انك إنما خلفتني لأنك استثقلت مني وتخففت مني فقال : كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائي فارجع في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي . فرجع الى المدينة .

وفي رواية : فقال علي رضي الله عنه رضيت ثم رضيت ثم رضيت ، قال أهل السنة ، إن هرون عليه السلام إنما كان خليفة في حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات ، فدل ذلك على تخصيص خلافة علي رضي الله عنه بحياة النبي ﷺ فقط ، فلا حجة فيه للشيعة على أن الخلافة لعلي وأنه أوصى له بها وكفّرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره . وزاد بعضهم : فكفّر علياً لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم في الحديث المذكور ولا متمسك لهم به ، لأنه إنما قال هذا حين استخلفه بالمدينة في هذه الغزوة ، فالحديث إنما دل على أن علياً رضي الله عنه خليفة على أهل النبي ﷺ مدة غيبته بتبوك ، كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة ، وقد استخلف ﷺ في مرات أخر غير علي رضي الله عنه ، فيلزم أن يكون مستحقاً للخلافة ، ولما سئل علي رضي الله عنه في زمن خلافته : هل أوصى لك النبي ﷺ بالخلافة ؟ قال : لا . ولو أوصى لي بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معي إلا سيفي وردائي ، ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وقول الرافضة إن ذلك كان منه تقية كذب وزور ، فانه كان رضي الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بني هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة ، فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل ، وحاشاه الله من ذلك ورضي عنه وكرم وجهه .

ولما ارتحل ﷺ عن ثنية الوداع متوجهاً إلى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر رضي الله عنه ، ورايته العظمى للزبير رضي الله عنه ، ودفع راية الأوس لاسيد بن خضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار وقبائل العرب لواء أو راية ، أي لبعضهم لواء ولبعضهم راية ، وسار بالناس وهم ثلاثون ألفاً . وقيل أربعون ألفاً ، وقيل سبعون ألفاً ، وكانت الخيل عشرة آلاف ، وقيل اثني عشر ألفاً ، وقع له ﷺ في هذه الغزوة كثير من الأخبار بالمغيبات وغيرها من

المعجزات وخوارق العادات ، وسيأتي إن شاء الله التعرض لكثير منها ، وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، بعد أن كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ، ثم قال : يغزو محمد بني الاصفر أي وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا طاقة له به ، يحسب محمد أن قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين في الحبال ، يقول ذلك إرجافاً برسول الله ﷺ وبأصحابه ، ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي ، فقال بعضهم : أتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأني بهم يعني الصحابة غداً مقرنين في الحبال يقولون ذلك ارجافاً وترهيباً للمؤمنين ، والجلاد الضراب بالسيوف ، فأوحى الله الى النبي ﷺ اجتماع القوم وما قالوا . فقال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما : أدرك القوم فأسألهم عما قالوا . فان انكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا ، فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه وقالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، وقال ﷺ للجد بن قيس : يا جد هل لك في جلاد بني الاصفر ؟ قال : يا رسول الله ، أوتأذن لي في التخلف ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني وإني اخشى أن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنت لك . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا ﴾ والفتنة التي سقطوا فيها هي التخلف عن رسول الله ﷺ والرغبة عنه .

وفي رواية : أنه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له : والله ما يمنعك إلا النفاق ، وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه ، فلما نزلت الآية قال له : ألم أقل لك ؟ فقال له : اسكت يا لكع ، فوالله لانت أشد علي من محمد وفي رواية إن الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي ﷺ : ولكن أعينك بمالي فأنزل الله تعالى : ﴿ قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم ﴾ والمحققون على أن الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضي الله عنه ، وعاش الى الخلافة عثمان رضي الله عنه . وقال بعض المنافقين لبعض : لا تنفروا في الحر ، فانزل الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ .

وجاء المعذرون من الأعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم في التخلف ، فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلاً ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جراءة على الله ورسوله ، وقد عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾

وتخلف جمع من المسلمين منهم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر ، وكانوا ممن لا يتّهم في إسلامهم وستأتي قصتهم إن شاء الله تعالى . وكان ممن تخلف ابو خيثمة الأنصاري رضي الله عنه ، فلما ان سارﷺ ومضت أيام دخل ابو خيثمة على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبرد تا فيها ماء وهيئتا طعاماً . وكان اليوم يومئذ شديد الحر ، فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول اللهﷺ : في الحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ؟ ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول اللهﷺ فهيأ لي زاداً ففعلتا ، ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ، ثم خرج في طلب رسول اللهﷺ حتى ادركه نزل بتبوك ، وقد كان ابو خيثمة أدرك عمير بن وهب في الطريق يطلب رسول اللهﷺ فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال ابو خيثمة لعمير : إن لي ذنباً فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول اللهﷺ ففعل ، فلما دنا ابو خيثمة قال الناس : هذا راكب مقبل ، فقال رسول اللهﷺ : كن أبا خيثمة ، فلما دنا ونظروه قالوا : يا رسول الله ، هو والله ابو خيثمة ، فلما أناخ أقبل يسلم على رسول اللهﷺ ، فقال له رسول اللهﷺ : أولى لك يا أبا خيثمة ، وأولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول اللهﷺ خبره فقال له رسول اللهﷺ : خيراً ودعا له بخير ، ولما مرﷺ بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحثّ راحلته وقال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وانتم باكون خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم ، وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار ، فكأنه أمرهم بالفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم فيها مدة طويلة ثم أيقاع نقمته بهم وشدة عذابه ، وهو سبحانه مقلّب القلوب فلا يأمن المؤمن ان تكون عاقبته مثل ذلك . ونهىﷺ الناس أن يشربوا مائها شيئاً وأن يتوضئوا به للصلاة ، وان يعجن منه عجين ، وان يحاس به حيس ، وان يطبخ به طعام . والعجين الذي عجن به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه الابل ، والطعام الذي طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئاً ، ثم ارتحلﷺ بالناس ولم يزل سائراً بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة . وأخبرهمﷺ أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال : من كان له بعير فليشد عقاله . ونهى الناس في تلك الليلة عن أن يخرج أحد منهم وحده بل معه صاحبه . فخرج شخص وحده لحاجته فخنق ، وخرج آخر في طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى القته في جبل طيء ، فأخبر بذلك رسول اللهﷺ : فقال : ألم أنهكم أن يخرج

احد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا للذي خنق فشفي والذي القته الريح بجبل طيء ارسلته طيء له ﷺ حين قدم المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس ، واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر ، فكان يطوف في أصحابه على العسكر ، وأصبح الناس يوماً ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم ، حتى حملهم ذلك على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها .

فعن عمر رضي الله عنه ، خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل ليخر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده . وفي لفظ : على صدره فشكوا ذلك للنبي ﷺ فقال له ابو بكر : يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيراً فادع الله لنا . فقال : اتحب ذلك ؟ قال : نعم . فرفع يديه ﷺ فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه . وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر ، وان رجلاً من الأنصار قال لأخر منهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال : إنما مطرنا بنوء كذا وكذا ، فانزل الله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ أي وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للأنواء ، وقيل : انه قال له : ويحك هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة .

وفي لفظ : انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلي : لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا ، فقالوا : يا نبي الله ، ما هذا بحين أنواء ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ثم قام فصلى ، فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد ، فمر رسول الله ﷺ برجل يغترف بقدحه وهو يقول : هذا نوء كذا ، فنزلت الآية ، وضلت ناقته ﷺ يوماً فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه : إن محمداً يزعم أنه نبي وأنه يخبركم بخير السماء ، وهو لا يدري أين ناقته : فقال ﷺ : إن رجلاً يقول كذا وكذا ، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، ولقد دلني الله عليها إنها في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤوا بها . قيل : وقع نظير هذا في غزوة بن المصطلق ، وان الواقعة تعددت وقيل : انه من الاشتباه على بعض الرواة . ولما قال ﷺ ، إن رجلا يقول كذا وكذا الخ . جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن في الرحل : والله لعجب في شيء حدثناه رسول الله ﷺ عن مقالة رجل قال كذا وكذا ، وأخبر الله نبيه ﷺ به فقال له بعض من في الرحل : هذه المقالة قالها فلان قبل ان تأتي بيسير يعني شخصاً حاضراً في رحله فقال : يا عباد الله ، في رحلي داهية وما أشعر

أخرج أي عدو الله من رحلي ولا تصحبني فيقال إنه تاب ، ويقال : إنه لم يزل على شر حتى هلك . وتباطأ حمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الإعياء فتخلف عن الجيش ، فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً فأدركه نازلاً في بعض المنازل ، وقبل مجيئه قالوا له : تخلف أبو ذرّ يا رسول الله ابطأ به بعيره فقال : دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه .

ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال : يا رسول الله ، هذا رجل يمشي على الطريق وحده . فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر . فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، وكان كما قال ﷺ فقد مات وحده بالربذة رضي الله عنه ، سكنها في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة في بعض ألفاظ القرآن ، وتفسير بعض من معانية ، فخشي عثمان وأبو ذر رضي الله عنهما اتساع الأمر فاستأذن ابو ذر عثمان رضي الله عنهما أن يسكن الربذة فأذن له فبقي بها حتى توفي وحده ، كما اخبر ﷺ ، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله ﷺ لحاجته بعد الفجر ، وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ، ولم يأتهم رسول الله ﷺ فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم ، فانتهى رسول الله ﷺ بعد أن توضأ ومسح خفيه إلى عبد الرحمن بن عوف ، وقد صلى ركعة فصلى رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية ، وقال لهم بعد فراغه : احسنتم او أصبتم . ثم قال : لم يتوف ، نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته ، وهذا لا ينافي انه ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه ، بل قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يصلّ النبي ﷺ خلف أحد من أمته إلا خلف أبي بكر ، والمراد صلاة كاملة فلا ينافي صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ، ولم ينقل انه ﷺ صلى خلف أحد غير ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما . وتقدم انه ﷺ كان يستخلف أبا بكر رضي الله عنه على عسكره يصلي بالناس ، فلعل ذلك في بعض الأيام فلا ينافي صلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بهم في هذا اليوم أو أنه كان يصلي مع ابي بكر رضي الله عنه بعض القوم ومع النبي ﷺ بعض لكثرة القوم . فلما تأخر ﷺ في قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضي الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبي ﷺ والله أعلم . ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله ﷺ غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففاوت عينها حتى امتلأت .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : بلغ رسول الله ﷺ أن في الماء قلة أي ماء عين تبوك ، وقد قال لهم : إنكم تأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي .وأمر منادياً نادى بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك ، تبضّ من ماء وقد سبق اليها أربعة . وقيل : رجلان من المنافقين ومسّا من مائها فسبهما رسول الله ﷺلما بلغه ذلك ، ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شيء في شن ، فغسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه ومضمض ، ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير .

وفي رواية : فجعلوا فيها سهاماً دفعها اليهم فجاشت بالماء . وقالﷺ لمعاذ رضي الله عنه : يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملىء جناناً اي بساتين ، فرأى ذلك . وروى ابن عبد البرعن بعضهم قال : أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا خضرة نضرة ، وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، وقد كان قال لبلال رضي الله عنه : اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه ، ثم قال لهﷺ : ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر . وفي رواية : ان بلالاً قال لهم : ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا إلا بحر الشمس . فقال له رسول الله ﷺ : يا بلال أين ما قلت ؟ قال : يا رسول الله ، ذهب بي مثل الذي ذهب بك . وفي رواية : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . وقالﷺ للصديق رضي الله عنه : إن الشيطان صار يهدي بلالاً للنوم كما يهدي الصبي حتى ينام ، ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً وسأله عن سبب نومه ، فأخبر بما قاله النبيﷺ للصديق . فقال الصديق رضي الله عنه للنبي : أشهد أنك رسول الله . ثم انتقلﷺ غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء . وفي منصرفه ﷺ من تبوك قال ابو قتادة رضي الله عنه : بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ وهو قافل من تبوك وأنا معه ، إذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال : يا أبا قتادة . هل لك في التعريس أي النزول للنوم ؟ فقلت ما شئت يا رسول الله ، قال : انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة ، فقال : ادعهم . فقلت : أجيبوا رسول الله ﷺ فجاؤوا فعرسنا .

وفي رواية : قال أبو قتادة : فبينا رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه ، فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان أوقظه حتى اعتدل على راحلته ، ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة اخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار ، حتى

إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال : من هذا . قلت : أبو قتادة قال : متى كان هذا مسيرك معي ؟ قلت : ما زال هذا مسيري منذ الليلة . قال : حفظك الله بما حفظت به نبيه ﷺ .

وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أوانه من الاشتباه على بعض الرواة . قال أبو قتادة رضي الله عنه ، ثم قال رسول الله ﷺ : هل ترى من أحد يعني من الجيش ؟ قلت : هذا راكب ، ثم قلت : هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة . وفي رواية : خمسة برسول الله ﷺ ، فمال رسول الله ﷺ عن الطريق ثم قال : احفظوا علينا صلاتنا ، فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره ، فقمنا فزعين ثم قال : اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء . وفي رواية : جرعة من ماء ثم قال لي : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله ﷺ الفجر بعد طلوع الشمس ، أي بعد أن ارتحلوا . ففي رواية : ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان .

وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : كنا في سفر مع النبي ﷺ وانا لنسير حتى كنا في آخر الليل وقعناوقعة ولا وقعة احلى للمسافر منها ،فما ايقظنا إلأ حر الشمس ، وكان النبي ﷺ اذا نام لم يوقظه احد حتى يكون هو استيقظ لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه اي من الوحي ، فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما اصاب الناس اي من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي ﷺ وفي رواية : ان الصديق استيقظ اولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ ، عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله ﷺ ، فلما استيقظ شكوا اليه الذي أصابهم اي من فوات صلات الصبح فقال ﷺ : لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس .

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ماكفارة ما صنعنا من تفريطنا في صلاتنا ؟ فقال النبي ﷺ : ما هذا الذي تهمسون دوني ، فقلنا يا نبي الله تفريطنا في صلاتنا قال امالكم في اسوة ثم قال ليس في

النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى ، وقد اختلفت الروايات في حكاية هذه القصة فرواها بعضهم في غزوة خيبر وبعضهم في الحديبية ، وبعضهم في تبوك ، فاختلف العلماء في توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة وبعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة ، وجزم بعضهم بانها في غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله ﷺ ، نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واجيب بان القلب انما يدري المعاني المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ، واجيب ايضا بانه ﷺ كان له نومان : نوم تنام فيه عينه وقلبه ، ونوم تنام فيه عينه فقط ، ينبغي ان يكون هذا الثاني اغلب احواله وان الأنبياء مثله في ذلك ، ثم ان اكثر الجيش كان قد تقدم وما بقي معه ﷺ الا سبعة او خمسة كما تقدم فقال ﷺ لمن كان معه : ما ترون الناس ، يعني الجيش . فعلوا قالوا : الله ورسول اعلم فقال : لو اطاعوا ابا بكر وعمر رشدوا وذلك ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ارادا ان ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما ، فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الأرض لا ماء بها ، وقد كادت اعناق الخيل والركاب تنقطع عطشاً . فقال ﷺ ؛ اين صاحب الميضأة ؟ قيل هوذا يا رسول الله قال : جئني بميضأتك فجاء بها وفيها شيء من ماء وفي رواية عاد رسول الله ﷺ بالركوة فأفرغ ما في الاداوة فيها ووضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين اصابعه واقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ، وروت خيلهم وركابهم .

قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ فنزل المطر وفي كلام بعضهم ، ان رسول الله ﷺ لما حصل للقوم العطش ارسل نفراً من أصحابه وفيهم علي والزبير رضي الله عنهما لكن تقدم ان علياً رضي الله عنه تخلف في غزوة تبوك ، فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبي ﷺ ، او ان ذلك كان في غزوة اخرى بعث ﷺ اولئك النفر لطلب الماء وامرهم ان يستعرضوا الطريق واعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم : اشتروا منها ماءها بما عز وهان وائتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان إذا بالمرأة ومعها السقاء .

وفي رواية : اذا بأمرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت : انا وأهلي احوج اليه منكم فسألوها ان تأتي رسول الله ﷺ مع الماء فأبت وقالت : هذا الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابىء وخير الاشياء ان لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم : حلوا عنها . ثم قال لها اتأذنين لي في الماء ولتضبين ماءك كما جئت به ؟ قالت :

نأنكم فقال لأبي قتادة رضي الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضأة ماءً قليلاً ثم وضع يده فيه ثم قال : ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملأوه وارووا إبلهم وخيلهم ، وبقي في الميضأة ثلثاها والميضأة هي الاداوة التي يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث ، لأن الثاني وضعﷺ يده في الركوة التي صب فيها من الميضأة وفي هذا وضع يده في الميضأة بعد ان لم يجدوا في الميضأة شيئاً .

وفي رواية ان تلك المرأة اخبرتهﷺ انها مؤتمة اي لها ايتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لهامن كسر وتمر ، ثم قال لها اذهبي واطعمي هذا عيالك ، وفي رواية ايتامك . وصارت تعجب مما رأت ، ولما قدمت على اهلها قالوا لها لقد احتبست علينا ؟ فقالت ، حبسني إني رأيت عجباً أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهم قريب من سبعين نفراً وملأوا من القرب والزاد والمطاهر ما لا احصى . . ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما ان يكون ذلك الرجل اسحر اهل الأرض او هو نبي كما يقول ، فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ، ما رأينا امرأة دخلت على قومها من البركة مثل ما ادخلت هذه المرأة على قومها .

وفي صحيح مسلم : لما كان يوم غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تمصهاجماعة يتناوبونها فقالوا : يا رسول‌الله لوأذنت‌لنا فتنحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يا رسول الله ان فعلت ففي الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك البركة فقالﷺ نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل ازوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء اخر بكف تمر ويجيء الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول اللهﷺ بالبركة ثم قال لهم خذوا في اوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضله فقال رسول الله ﷺ اشهد ان لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة .

وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية . ولا مانع من التعداد او هو من خلط بعض الرواة ، ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزور فأطعمهم وسقاهم فقال لهﷺ : انت طلحة الفياض وسماه يوم أُحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر .

وعن بعض الصحابة قال : كنت في غزوة تبـوك على نحـي السمـن فنظـرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبيﷺ طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت، فانتبهت لخرير النحي فقمت فاخذت رأسه بيدي فقالﷺ ، وقد رأى ذلك لو تركته لسال الوادي سمناً وعـن العربـاض بن سارية رضي الله عنـه قال : كنـت مع رسـول اللهﷺ بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء ؟ فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا. فقال ، انظر عسى ان تجد شيئا فاخذ الجرب ينفضها جراباً جراباً فتقع التمـرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ، ثم دعا بصحفة فوضـع التمـر فيهـا ثم وضـع يده على التمرات وقال : كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة انفس واحصبت اربعاً وخمسين تمرة اعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا ايدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال : يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل منها شبعاً فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضعﷺ يده عليهن ثم قال : كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ثم رعفنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول اللهﷺ لولا اني استحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينةمن آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل ﷺ تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعمائة فارس إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني ، وكان ملكاً عظيماً من قبل هرقل بدومة الجندل ، وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له : إنك ستجده ليلاً يصيد البقر ، فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقـر يطاردهـا هو واخـوه حسـان ، فشـدت عليه خيل خالـد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حساناً ، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول اللهﷺ قبل قدومه ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم فيعجبون منه فقالﷺ : أتعجبون من هذا ، فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما ، فدخلوا الصحن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول اللهﷺ ، على أن يفتح لخالد دومة الجندل وصالحه على ألفي بعـير ، وثمانمائـة فرس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسة ، ثم قدم باكيدر على النبيﷺ فحقنﷺ دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله ، وكان هرقل مقيماً بحمص . وفي هذه الغزوة كتب لهﷺ يدعوه الى الإسلام ـ وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في مكاتباتهﷺ ، وأتاهﷺ وهو بتبوك صاحب أيلة ومعه أهل جرباء تأنيث أجرب يمد ويقصر . وهي قرية بالشام وأهل أذرح ـ بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء

المهملة ـ مدينة هناك ، وأهدى صاحب أيلة لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه رسول الله ﷺ برداً فصالح رسول الله ﷺ على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم .

وكتب له ولأهل أيلة كتاباً صورته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا منة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم في البر ، والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي ﷺ ، ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن احدث منهم حدثاً فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

وكتب لأهل أذرح وجرباء ما صورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي ﷺ لأهل أذرح وجرباء إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ﷺ ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل بالنصح والإحسان الى المسلمين ، وصالح أهل مينا على ربع ثمارهم ، وأقام ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ، وقيل عشرين ليلة ، ولم يلق كيداً ، وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعباً منه ﷺ عند سماعهم بمسيره ، فكان من الحكمة في هذه الغزوة ما حصل من إغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين وإذلالهم ، واستشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، أن كنت أمرت بالسير فسر ، فقال رسول الله ﷺ : لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه . فقالوا : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنونا وقد أفزعهم دنوّك ، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله أمراً .

وأخرج البيهقي عن عبد الرحمن بن غنم : ان اليهود قالوا له ﷺ وهو بالمدينة : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الانبياء ، فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك انزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ الآيتين ، فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث ، فرجع ﷺ ، فقال جبريل : سل ربك ، فان لكل نبي مسئلة ، وكان جبريل له ناصحاً . وكان النبي ﷺ له مطيعاً . قال : فما تأمرني أن أسأل ؟ فقال جبريل : ﴿ قل رب أدخلني مدخل صدق ﴾ الآية . ثم انصرف ﷺ قائلاً الى المدينة وبنى في طريقه عشرين مسجداً ، وكان في بعض الطريق ماء قليل جداً فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه ،

فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذي فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يجد فيه شيئاً فقال : من سبقنا الى هذا الماء : فقيل فلان وفلان ، فقال : ولم أنههم ان يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ، ثم لعنهم ودعا عليهم .

ثم نزل في موضع الماء ومسح بيده ودعا بما شاء ان يدعو به ، فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو بقي منكم أحد لتسمعن بهذا الوادي ، وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أي هذا خلاف عين تبوك التي تقدم له فيها ما يشبه هذا ، حيث قال لمعاذ : يا معاذ يوشك إن طالبت بك حياة أن ترى ما هنا ملىء جناناً لأن تلك العين كانت عين تبوك ، وهذا عند منصرفه من تبوك .

واجمع رأي من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلاً ، وقيل اربعة عشر ، وقيل خمسة عشر رجلاً على أن يؤذوا رسول الله ﷺ في العقبة التي بين تبوك والمدينة ، فقالوا : إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي ، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك ، فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد ، واسلكوا بطن الوادي فانه أسهل لكم وأوسع ، فلما سمع المنافقون النداء اسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادي ، وسلك رسول الله ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته ﷺ ، وأمر حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن يسوق من خلفه .

وفي دلائل النبوة للبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال : كنت ليلة العقبة آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقودها وعمار بن ياسر يسوقها وانا أسوقها وعمار يقودها أي يتناوبنان ذلك ، فبينا رسول الله ﷺ يسير في العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه ، فنفرت ناقة رسول الله ﷺ حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم ، وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن ، فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول : إليكم اليكم يا اعداء الله ، فإذا هو بقوم ملثمين .

وفي رواية : انه ﷺ صرخ بهم فولوا مدبرين ؛ فعلموا ان رسول الله ﷺ اطلع على مكرهم به ، فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادي واختلطوا بالناس فرجع حذيفة

رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ : هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ؟ قال : لا ، كان القوم متلثمين والليلة مظلمة .

وفي رواية : أن حذيفة رضي الله عنه قال : عرفت راحلة فلان وفلان . قال : هل علمت ما كان من شأنهم وما ارادوه ؟ قال : لا . قال : انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني ويطرحوني منها الى الوادي ، وأن الله أخبرني بهم وبمكرهم ، وسأخبركما بهم فاكتماهم ، ولما أصبح ﷺ جاء إليه أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ؟ فقد كان أسهل من العقبة . فقال : أتدري ما أراد المنافقون ؟ وذكر له القصة . فقال : يا رسول الله ، قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا وإن أحببت فبين أسماءهم والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم فقال : إني أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم وأقبل عليهم يقتلهم : فقال . يا رسول الله ، هؤلاء ليسوا بأصحاب . فقال رسول الله ﷺ : أليسوا يظهرون الشهادة ؟ ثم جمعهم ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه ، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذي ذكر . فأنزل الله : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ﴾ الآية .

وقال ﷺ للمسلمين عند انصرافهم من تبوك : ان بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم . قالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : نعم . حبسهم العذر ، ولما قرب ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء ويقولون أن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا ، فلما بلغتهم سلامة النبي ﷺ وأصحابه وبان كذبهم ، ساءهم ذلك وانزل الله : ﴿ ان نصبك حسنة تسوءهم ﴾ الآية . وخرج مع الناس لتلقيه ﷺ النساء والصبيان والولائد ، وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمة الى المدينة ، ولا مانع من تعدد ذلك ، ولما أشرف

ﷺ على المدينة قال : هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ، والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بان يخلق له المحبة كتسبيح الحصا وحنين الجذع ، وقيل : المراد يحبنا أهله ونحبهم . ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : أتأذن لي يا رسول الله أن أمتدحك ؟ قال : قل لا يفضض الله فاك فقال :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لأبشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتماً في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله ﷺ : لا تكلموا رجلاً منهم فأعرض عنهم رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف . من المنافقين بضعة وثمانون رجلاً ، وتخلف أيضاً كعب بن مالك رضي الله عنه ، وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهما ، وكانا من الأوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق ، فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون ، فقبل رسول الله ﷺ ظاهرهم وعلانيتهم ، واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى ، وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم ، وأنزل الله فيهم : ﴿ وآخرون مرجون لأمرار ما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ ونزلت هذه الآية في أول أمرهم ونزل في آخر أمرهم عند قبول توبتهم : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلفوا ﴾ الآية .

وكان كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه في غزوة تبوك قال كعب رضي الله عنه : لم اتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، إلا في غزوة تبوك . غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاقب ﷺ أحداً ممن تخلف عنها ، انما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد ، وقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام ، وما أحب ان لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس ، وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها

راحلتين قطحتى جمعتهما ما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل ﷺ سفراً بعيداً ومفاوز واستقبل عدوّاً كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، وأخبر الناس بوجههم الذي يريدون ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان : قال كعب : فقل رجل يريد أن أن يتغيب إلا ظن أن ذلك يخفي ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى ، وغزا ﷺ حين طابت الثمار والظلال ، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً . وأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض شيئاً فهممت ان ارتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ، ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ ، يحزنني أن لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق او رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ ، حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه حب برديه والنظر في عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه : بئسما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب : فلما بلغني ان رسول الله ﷺ توجه قافلاً من تبوك طفقت اتذكر الكذب ، وأقول بم اخرج من سخط الله غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل : ان رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء ابداً فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء ، المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له ، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت: يا رسول الله ، اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، يوشك ان الله يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لي من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله ﷺ : اما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ، فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني . وقالوا : ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت ان تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله ﷺ ، وما زالوا يؤنبوني حتى كدت أرجع الى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي . قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي احد ؟ فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت : وقال لهما النبي ﷺ مثل ما قال لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً فقلت لي فيهما أسوة ومضيت حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيتها الثلاثة من بين من تخلف عنه ؟ وتغير علينا الناس حتى انكرت في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، واما انا فكنت اشد القوم وأجلدهم فكنت اخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق فلا يكلمني احد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي هل حرك شفته برد السلام ام لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فان اقبلت على صلاتي نظر إليّ واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائطاً لأبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس اليّ فسلمت عليه فوالله ما ردَّ علي السلام .

فقلت : يا ابا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت فعدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم : ففاضت عيناي وتوليت ، فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط أهل الشام ، ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع لي كتابا من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فاذا فيه : اما بعد ، فانه بلغنا ان صاحبك قد جافاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا بضيعة . فالحق بنا نواسك . قال : فقلت حين قرأته : وهذه الرسالة ايضاً من البلايا فألقيتها في التنور فسجرتها حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي ، فاذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال :

ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تعتزل امرأتك . قال : فقلت الحقي بأهلك فكوني معهم حتى ينقضي هذا الأمر . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنك فقالت : والله ما به حركة الى شيء فوالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما

كان الى يومه هذا قال كعب : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في اهلك . قال : قلت وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟ قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت علي الأرض بما رحبت ، وضاقت علي نفسي اذ سمعت صارخاً او في على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك ، فخررت ساجداً لله تعالى وعلمت ، انه قد جاءني فرج . قال : وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرساً ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه . وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الي من الفرس وجاء في رواية ان الذي ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضي الله عنه . وفي رواية فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي له فكسوته إياهما ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله ﷺ وتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنوني بالتوبة ، يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله ﷺ حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني ، والله ما قام لي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة ، فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور قال : ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك قال : قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله ؟ قال : بل من عند الله ، وكان ﷺ اذا سرّ استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال . وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، انما نجاني الله بالصدق ، وان من توبتي ان لا احدث إلا صدقاً ما بقيت قال : فوالله ما زلت في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ الى يومي هذا ، واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقي .

وجاء في رواية قلت يا رسول الله ، ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله . قال رسول الله ﷺ امسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك قال فأنزل الله ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ حتى بلغ ﴿ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا

ان الله هو التواب الرحيم ، يا أيها الذين آمنـوا اتقـوا الله وكونـوا مع الصادقـين ﴾ قال كعب : والله ما أنعم الله علي بنعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله ان لا اكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لأحد فقال سبحانه وتعالى ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم . انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبـون يحلفـون لكم لترضـوا عنهـم فان ترضـوا عنهـم فان الله لا يرضي عن القـوم الفاسقين ﴾ .

وفي رواية عن كعب رضي الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر؛ فما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبيﷺ ؛ او يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكملني احد منهم ولا يصلي ولا يسلم علي قال وأنزل الله توبتنا على نبيهﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول اللهﷺ عند ام سلمة رضي الله عنها ، وكانت ام سلمة محسنة في شأني معتنية في امري فقال رسول اللهﷺ يا ام سلمة تتيب على كعب فقالت : يا رسول الله ، أفلا أرسـل اليه ابشرة ، قال : اذن يحطمـكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل ، حتى إذا صلى رسول اللهﷺ صلاة الفجر ، اذنﷺ بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضي الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وانزل الله توبته في قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ والصحيح ان قصة ابي لبابة انما كانت في غزوة بني قريظة لما استشاروه في النزول على حكم النبيﷺ فأشار لهم الى عنقه يعني انه الذبح قال : فما برحت قدماي من موضعهما حتى علمت اني خنت الله ورسوله ، فذهب وربط نفسه بسارية من سواري المسجد حتى نزلت توبته .

وتقدمت القصة بتمامها في غزوة بني قريظة وأن الله انزل في ذنبه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسـول وتخونـوا اماناتـكم وانتـم تعلمـون ﴾ الآية وأنـزل في توبتـه ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ الآية ولما رجعﷺ من تبوك قبل ان يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه ان يأتي مسجده ليصلي فيه ، وهو مسجد الضرار الذي بنوه الاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم ، فدعاﷺ بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ﴾ الآية الى قوله ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه ابداً ﴾ فدعاﷺ مالك بن الدخشن ومعن بن عدي بن عارم بن السـكن ووحشياً .

وقال : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ، فخرجوا مسرعين حتى اتو بني سالم بن عوف وهم رهطمالك ابن الدخشن فقال مالك : انظروني حتى آتيكم بنار، فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد ، وفيه أهله فحرقوه وهدموه ، وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله ﷺ ان يتخذوا ذلك الموضع كناسة فلقى فيه الجيف والقمامات وقدم ﷺ من تبوك في رمضان سنة تسع ، وبعد قدومه ﷺ وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى ، فقذفها بشريك بن سحماء فلاعن بينهما ﷺ في المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة في الصحيحين وغيرهما .

سرية ابي سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما .

وكانت هذه السرية بعد ان رجع ﷺ من تبوك ، وذلك انه وفد عليه ﷺ ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتي قصة وفدهم فأرسل ﷺ ابا سفيان والمغيرة بن ثعلبة رضي الله عنهما الهدم اللات بالطائف ، فذهبا في بضعة عشر رجلاً فهدموها حتى سووها بالأرض وفي رواية ان المغيرة ، اراد ان يقدم أبا سفيان في هدمها فأبى ذلك ابو سفيان عليه ، وقال : ادخل انت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول اي الفأس العظيم التي يقطع بها الصخر ، وقام قومه دونه يحمونه خشية ان يرميه احد بسهم ، وخرج نساء ثقيف من الحجال حسراً أي مكشوفات يبكين على الطاغية ، وكانوا يظنون انه لا يمكن هدمها لأنها تمنع من ذلك .

وفي رواية وأراد المغيرة ان يسخر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفي لفظ : اخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا : ابعد الله المغيرة قتلته الراية وقالوا : والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم : فيحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدرفا فاقبلوا عافية الله واعبدوه ، ثم اخذ في هدمها فهدمها الى ان كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابه لما سمع سادنها يقول : ليغضبن الأساس فليخسفن بهم ، ثم اخذوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه ﷺ فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله اعلم .

سرية جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

الى ذي الخلصة ـ بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة ـ وذو الخلصة اسم بيت كان فيه

صنم لقوم جرير ، وكانت هذه السرية قبل وفاته ﷺ بنحو شهرين . قال جرير رضي الله عنه : قال لي النبي ﷺ : الأ تريحني من ذي الخلصة ؟ فقلت : بلى ، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من احمس ، وكانوا اصحاب خيل ، وكنت لا اثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب في صدري وقال : اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً فما وقعت عن فرس بعد . وكان ذو الخلصة بيتاً في اليمن لخثعم وبجيلة يقال له : الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها . ثم بعث الى رسول الله ﷺ فقال رسول جرير : والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، فبارك في خيل احمس ورجالها خمس مرات .

وروى الطبراني عن جرير قال : بعثني النبي ﷺ الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم ان يقولوا لا إلّه الا الله قال الحافظ بن حجر : والذي يظهر انه غير بعثه الى الصنم ، ويحتمل انه بعثه الى الجهتين على الترتيب ، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث جرير : انه ﷺ قال له : يا جرير : انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذي الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جداً ، وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ، ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبي ﷺ : وحكى بعضهم ان موضع ذي الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم .

سرية اسامة بن زيد رضي الله عنهما

الى ابني ـ بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فالف مقصورة ـ وهي ناحية بالبلقاء من ارض الشام وهي آخر السرايا ، كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات لما كان يوم الاثنين لأربع ليال يقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ، امر ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال : سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحاً على اهل ابني وأحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك ، فلما كان يوم الأربعاء بداية ﷺ وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد ﷺ لأسامة لواء بيده ثم قال : اغز بسم الله وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق احد من المهاجرين الأولين والأنصار الا اشتد لذلك وتهيأ للخروج منهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين

والأنصار هذا الغلام ، وكان سن أسامة سبع عشرة سنة ، وقيل تسع عشرة سنة ، وقيل عشرين فبلغ رسول الله ﷺ مقالتهم فغضب غضباً شديداً ، فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال .

اما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امارته فلقد طعنتم في امارة أبيه من قبله ، وأيم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة ، وان كان من أحب الناس الي ، وانه ما ظنه لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم . ثم نزل فدخل بيته ، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله ﷺ ويخرجون الى المعسكر بالجرف ، وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول : نفذوا بعث أسامة واستثنى ابا بكر وأمره بالصلاة بالناس ، فلا منافاة بين من روى ان ابا بكر رضي الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لأنه كان من الجيش اولا ثم تخلف لما استثناه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس .

وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعناً في ابي بكر رضي الله عنه انه تخلف عن جيش اسامة ، وانه ﷺ لعن المتخلف عن جيش اسامة ، لما علمت ان تخلفه كان بأمر منه ﷺ لأجل صلاته بالناس ، وفيه إشارة الى انه الخليفة بعده ، واما اللعن الذي ذكروه فلم يرد في حديث فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فجاء اسامة رضي الله عنه فطأطأ فقبله ﷺ وهو لا يتكلم ، ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ثم رجع اسامة الى معسكره ثم دخل عليه ﷺ يوم الاثنين فقال له : اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل ، فبينما هو يريد الركوب وفي رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل فان رسول الله ﷺ ثقيل فأقبل واقبل معه عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما وانتهوا على رسول الله ﷺ وقد توفي حين زاغت الشمس . فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقوداً حتى أتى الى رسول الله ﷺ فغرزه عنده ، فلما بويع لأبي بكر رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة وان يمضي اسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله ﷺ ظهر النفاق وقويت شوكة اهله ، وقويت نفوس اهل النصارنية واليهودية ومن كان يرغب فيهم ، وصارت المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، وارتدت طوائف من العرب وقالوا : نصلي ولا ندفع الزكاة وكل

ذلك ظهر قبل ان يتوجه جيش اسامة ، فعند ذلك كلم الناس ابا بكر رضي الله عنه ان يمنع اسامة من السفر وقالوا : كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فأبى ابو بكر رضي الله عنه ان يمنع اسامة من الخروج وقال : والله الذي لا إله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل ازواج رسول الله ﷺ ما ارد جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده .

وفي لفظ والله لأن يخطفني الطير أحب الى من ان ابدأ بشيء قبل تنفيذ امر رسول الله ﷺ يعني تنفيذ جيش اسامة .

وفي رواية ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعمر : ارجع الى خليفة رسول الله ﷺ واسأله يأذن لي ان أرجع بالناس ، فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ ، وثقله وأثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون . وقالت الأنصار لعمر رضي الله عنه : فان أبى ابو بكر رضي الله عنه إلا ان يمضي الجيش فأبلغه منا السلام واطلب اليه ان يولي امرنا رجلاً اقدم سنا من اسامة فقدم عمر الى ابي بكر رضي الله عنهما فأخبره بما قال اسامة فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لو تخطفتني الذئاب والكلاب لم ارد قضاء قضي به رسول الله ﷺ : قال عمر رضي الله عنه : فان الأنصار أمروني ان ابلغك انهم يطلبون ان تولي رجلاً اقدم سناً من اسامة ، فوثب ابو بكر رضي الله عنه وكان جالساً فأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال : ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني ان انزعه .

فخرج عمر رضي الله عنه الى الناس فقال : امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله ﷺ خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الأنصار لم يكونوا اسمعوا من النبي ﷺ الأنكار على من طعن في ولاية اسامة رضي الله عنه ولا بلغهم او جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك ، حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوز ذلك ايضاً ثم كلم ابو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه ان يأذن له في التخلف ، ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمر الخلافة ففعل ، وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطبيبا لقلبه ، فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج اسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيه الف فرس ، وودعه ابو بكر رضي الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشياً وأسامة رضي الله عنه راكب ، وعبد الرحمن

ابن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه ، فقال اسامة يا خليفة رسول الله ، اما ان تركب واما ان انزل . فقال : والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، ثم ان اسامة رضي الله عنه سار الى أهل ابني ، فشن عليهم الغارة اي فرق الناس عليهم ، وكان شعارهم ، يا منصور أمت . فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث ارضها ، فازال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ، ولم يقتل من المسلمين احد وكان اسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل ابيه . وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهماً واخذ لنفسه مثل ذلك ، فلما أمسى امر الناس بالرحيل وأسرع السير ، وبعث مبشراً الى المدينة بسلامتهم . وخرج ابو بكر في المهاجرين والأنصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون اسامة ومن معه وسروا بسلامتهم . ودخل اسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ، فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته . وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب ارادوا ذلك ، وقالوا : لولا قوة اصحاب محمدﷺ ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، فثبتوا على الاسلام . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد ان ولي الخلافة اذا رأى اسامة رضي الله عنه قال : السلام عليك أيها الأمير ، فيقول اسامة : غفر الله لك يا امير المؤمنين ، تقول لي هذا فيقول : لا ازال ادعوك ما عشت الأمير . مات رسول اللهﷺ وانت علي امير وقد كان اسامة رضي لله عنه يدعى حب رسول اللهﷺ وابن حبه .

وفي الصحيحين : انهﷺ كان يأخذ اسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول : اللهم احبهما فاني احبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وارادﷺ قطع يدها : فلم يجسر احد ان يكلمهﷺ غير اسامة بن زيد رضي الله عنهما فكلمه . فقالﷺ : اشتفع في حد من حدود الله ومناقبة رضي الله عنه كثيرة توفي بالمدينة او بوادي القرى سنة خمس أو اربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله اعلم ، ومما ينبغي ان يلحق بالغزوات والسرايا بعوثهﷺ .

بعث الصديق رضي الله عنه.

بعثﷺ ابا بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة يحج بالناس ، واما في السنة الثامنة فأمر عتاب بن اسيد رضي الله عنه ان يحج بالناس ، وكان اميراً على اهل مكة كما

تقدم في قصة فتح مكة ، فخرج ابو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة ، وبعث ﷺ معه بعشرين بدنة قلدها واشعرها بيده الشريفة وساق ابو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه : استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال : لا ولكن بعثني اقرأ براءة على الناس ، وانبذ الى كل ذي عهد عهده ، وكان العهد بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عاماً وخاصاً ، فالعام ان لا يصدّ احد عن البيت اذا جاءه ولا يخاف احد في الأشهر الحرم ، والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب الى آجل مسماة ، وكانت عادة العرب ان لا ينبذ العهد ، إلا من كان قريباً ممن اراد النبذ ، لذلك بعث ﷺ علياً رضي الله عنه ولم يكتف بأبي بكر رضي الله عنه ، فمضى ابو بكر رضي الله عنه فحج بالناس . قبل : كان الحج ذلك العام في ذي القعدة للنسيء الذي كانوا يصنعونه والصحيح انه كان في ذي الحجة .

وجاء في رواية انه بعد ان توجه ابو بكر رضي الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له ﷺ : لو بعثت بها ابا بكر ، فقال ﷺ : لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا علياً رضي الله عنه فقال : اخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى ، فقرأ علي بني ابي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر وقال : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، لأنهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون اصواتهم بقولهم : لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب ، ويقول الواحد منهم : اطوف بالبيت كما ولدتني امي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم ، وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره او يكتريه ، واذا طاف بثوب من ثيابه القاه بعد طوافه فلايمسه وقيل : كانت المرأة تلبس درعاً مفرجاً وقد كانت امرأة تطوف وهي عارية ويدها على قلبها وهي تقول . اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا احله .

وفي ايجاب ستر العورة انزل الله تعالى ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴾ الآية وفي رواية لما لحق علي ابا بكر رضي الله عنه قال له اميرا ومأمور قال : بل مأمور فكان على رضي الله عنه في تلك السفرة يصلي خلف ابي بكر الى ان رجع الى المدينة وفي ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبي ﷺ عزل ابا بكر رضي الله عنه عن امارة الحج بعلي ، وقد تواتر أن ابا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس ، وكان علي من جملة رعيته في

تلك السفرة ويصلي خلفه الى ان رجعوا الى المدينة .

وفي حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قام ابو بكر رضي الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم ، حتى اذا فرغ قام علي رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة ، وجاء في رواية ؟ انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ، ثم يوم النحر ، ثم يوم النفر ، فيحمل على تعدد وقوع ذلك وبذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول في السنة التاسعة في ذي القعدة ، وجاء ابنه الى رسول الله ﷺ وقال : ان أبي احتضر فأحب ان تشهده وتصلي عليه قال : ما اسمك ؟ قال : الحباب ، فقال : بل انت عبد الله الحباب اسم الشيطان . وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ، وكان يحمل امر أبيه على ظاهر الاسلام ، وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبي ﷺ وسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه بعهد من ابيه .

بل جاء في رواية الطبراني وعبد الرزاق عن قتادة قال: ارسل عبد الله بن أبي الى النبي ﷺ : فلما دخل عليه قال : اهلك حب يهود ؟ فقال : يا رسول الله ، انما ارسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتوبخني ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض ابن أبي جاءه ﷺ فكلمه فقال : قد فهمت ما تقول فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي ، فأعطاه القميص ثم لما أراد ﷺ ان يصلي عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ، اتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ وعدد عليه اشياء مثل قوله : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله : ليخرجن الاعز منها الأذل .

وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، اتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه ، وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ﴾ فقال له النبي ﷺ : انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه ، فقال ﴿ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وسأزيد على السبعين قال عمر رضي الله عنه : انه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ لأنه لم ينزل عليه نهي صريح بترك ذلك ، ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام ، واستصحا بالظاهر الحكم ولإكرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافاً لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم عن النفاق ذلك اليوم ، لما رأوا عبد

الله يسأل النبيﷺ ان يكفنه في قميصه وان يصلي عليه ، وصلى عمر مع النبيﷺ وترك رأي نفسه ، وأطالﷺ في تلك الصلاة واكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي ، وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال : ما رأيت رسول الله ﷺ أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي من الوقوف وفي حديث ابن عباس : ومشى معهﷺ حتى قام على قبره حتى فرغ منه ، وانما فعلﷺ ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطيب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم ، فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه ، فاستعملﷺ أحسن الأمرين في السياسة الى ان كشف الله الغطاء وقيل : انما اعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن ابي اعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين اسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي ﷺ ﴿ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ . فكان في ذلك لتأييد لرأي عمر رضي الله عنه، فهي من الآيات التي جاءت موافقة لرأيه رضي الله عنه ، وكان نزولها بعد فراغهﷺ من امره على الصحيح وقيل : بعد فراغ الصلاة وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت .

وروى الطبراني عن قتادة قال : ذكر لنا انهﷺ قال : وما يغني عنه قميصي من الله واني لأرجو بذلك ان يسلم الف من قومه فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله .

وفي شرح القسطلاني على البخاري : اسلم الف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه ﷺ ، ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى اعلم .

البعث الى اليمن

بعثﷺ ابا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع في السنة العاشرة وقيل في التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان ، كل واحد منهما على مخلاف ، واليمن مخلافان والمخلاف ـ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ، ـ بلغة أهل اليمن الناحية . ويقال له : الكورة ـ بضم الكاف ـ والاقليم والرستاق ، وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن ، وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون ـ بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبي موسى السفلى .

وقال لهما النبيﷺ يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا .

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللهﷺ لمعاذا : انك ستأتي قوماً اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا إلّه الا الله وأن محمداً رسول الله ، فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم . واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب .

وروى الامام احمد عن معاذ رضي الله عنه قال : لما بعثنيﷺ الى اليمن قال : قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن اطاعك من عصاك وروى الامام احمد ايضاً وابو يعلى : انهﷺ لما بعث معاذاً الى اليمن ، خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول اللهﷺ يمشي تحت ظل راحلته ، فلما فرغ قال : يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك ان تمر بمسجدي وقبري : فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه .

وروى ابن عساكر انهﷺ مشى معه ميلا ومعاذ رضي الله عنه راكب لأمرهﷺ بذلك : قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذاً رضي الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا وقاضياً فقال ابن عبد البرانة كان قاضياً وقال الغساني : انه كان اميراً على المال ، وحديث ابن ميمون فيه التصريح : بانه كان اميراً على الصلاة وهذا يرجح انه كان والياً .
وقد جاءت احاديث كثيرة في فضله رضي الله عنه منها : اعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ومنها معاذ بن جبل ، امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم - بكسر همزة - امام وبعضهم - بفتحها - وأما أبو موسى رضي الله عنه فقدم على النبيﷺ في حجة الوداع والتقى به بمكة ، واستدل العلماء بارساله على انه كان عالماً فطناً حاذقاً ولولا ذلك لم يوله النبيﷺ الامارة ، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين ، والحق انه لم يصد منه ما يقتضي وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى ان يجعل الأمر شوري بين من بقى من الصحابة من اهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الأمر الى ما آل اليه ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

بعث خالد بن الوليد

بعث النبيﷺ خالد ابن الوليد رضي الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر ، وقيل في ربيع الآخر ، وقيل في جماد الأولى سنة عشر الى بني عبد المدان ،ـ بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم ـ وعبد المدان الذي نسبت القبيلة اليه هو جدهم الأعلى ، واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ، ويقال لتلك القبيلة ، بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمى باسم نجران بن زيد بن سبأ فأمرﷺ خالداً ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثاً قال : فان استجابوا فاقبل منهم ، وان لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون : ايها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه ، فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبيﷺ يعلمه بذلك ، فكتب اليهﷺ ان يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية شوّال اوصدر ذي القعدة وسيأتي في الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى .

بعث علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن .

بعث رسول اللهﷺ علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر ، وعقد له لواء وعممه بيده ، وقال له : امض ولا تلتفت : فقال علي رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما اصنع ؟ قال : اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، وادعهم الى قول لا إله إلا الله فان قالوا نعم ، فمرهم بالصلاة فان اجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك ، والله يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت وروى ابو داود وغيره من حديث علي رضي الله عنه قال : بعثني النبيﷺ الى اليمن فقلت : يا رسول الله تبعثني الى قوم اسن مني ، وانا حديث السن لا ابصر القضاء ، قال : فوضع يدهﷺ في صدري وقال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه : وقال : يا علي ، اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال علي : والله ما شككت في قضاء بين اثنين فخرج علي رضي الله عنه في ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق اصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال ، وكانت الغنائم نعماً وشاء ، ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وخرج

منهم رجل من مذبح يدعو الى المبارزة ، فبرز اليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود واخذ سلبه ، ثم صف علي رضي الله عنه اصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان الأسلمي فقتل منهم عشرين رجلاً ، فتفرقوا وانهزموا فكفّ عن طلبهم قليلاً ، ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام ، فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ، وجمع على الغنائم فجزأها خمسة اجزاء فكتب في سهم منها لله ، واقرع عليها فخرج اول السهام سهم الخمس ، وقسم على أصحابه بقية المغنم ، ثم قفل علي رضي الله عنه فوافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر .

وجاء في بعض الروايات انه ﷺ بعث علياً رضي الله عنه الى اليمن ، وذلك في رمضان سنة عشر ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، فكتب بذلك اليه ﷺ فخرّ ساجداً لله ، ثم جلس فقال : السلام على همدان وتتابع اهل اليمن على الاسلام لكن قوله في التاريخ سنة عشر وهم لأن بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر ، انما كان سنة عشر بعثه الى بني مذحج ، واما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث علي رضي الله عنه الى اليمن حصل مرتين .

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد الى اليمن ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال : مر أصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل ، فكنت فيمن عقب معه فغنمت اواقي ذوات عدد زاد الاسماعيلي ، فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت همدان جميعاً فكتب علي الى رسول الله ﷺ بإسلامهم ، فلما قر بالكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان ، وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف ، وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح في ان البعث الأول كان في اواخر سنة ثمان وانه الى همدان واما الثاني فكان في رمضان سنة عشر الى مذحج .